باقر شريف القرشي

النظام التربوي في الإسلام

دراسة مقارنة

دار الكتاب الإسلامي

باقر شريف القرشي

النظام التربوي في الإسلام

دراسة مقارنة

دار الكتاب الإسلامي

الإهـــداء

إلى ... العاملين في حقول التربية والتعليم

إلى ... الذين يعنون بسلوك الإنسان، وتطوير وعيه

إلى ... كل من يعمل على نشر التربية الإسلامية.

أرفع لهم جميعاً ما قدمه الإسلام من الطاقات التربوية الهـادفة إلى ازدهار الشخصية، وبلورة الفكر، وغرس النزعات الخيرة فـي دخـائل النـفوس وإبعادها عن عوامل الشذوذ والانحراف، واتسامها بالتوازن والإيمان بـالله الذي تبتني عليه قوى الخير والسلام في الأرض.

المؤلف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

- ١ -

إن النهضة الفكرية في جميع مراحل التأريخ إنما هي نتيجة حتمية لتطور التربية وازدهارها ونموها، وتفاعلها مع الحياة الفردية والاجتماعية، فالشعوب التي تتوفر لها عناصر التربية الحية لابد أن تبلغ أهدافها في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واما الشعوب التي لم تنعم بذلك فلابد أن تتخلف عن موكب الحضارة، ومسايرة الأمم المتطورة.

إن الانسان بصورة جازمة لا يمكنه أن يبلغ أي مبلغ من النضوج العلمي أو التقدم الاجتماعي من دون أن تتوفر له التربية الواعية الهادفة إلى تكوينه، وتنمية وعيه، وبناء شخصيته..فإن التربية لم تعد بجميع ما لها من المخططات والشؤون لونا من الوان الترف، أو ظاهرة من الظواهر الكمالية التي يمكن الاستغناء عنها، وإنما هي ضرورة من ضروريات الحياة، وشأن أصيل من شؤون الانسان فلها دخل ذاتي في حياته الخاصة والعامة فهي تعده للمجتمع بما له وما فيه من قواعد ونظم، وقيم وتقاليد، كما تمكنه أن يكيف نفسه مع أفراد مجتمعه في إطار هذه القواعد، ومن ثَمّ فقد ذهب بعض المربين إلى أن التربية هي المرآة التي تنعكس عليها فلسفة المجتمع وتطلعاته واهدافه.

إن الحضارة الانسانية لم تكن ميراثاً يأخذه الخلف عن السلف من دون جهد أو عناء وانما هي ميراث اجتماعي جاهد الجنس البشري في اكتسابه وحافظ عليه الآف السنين، ولم ينتقل من جيل إلى جيل إلا بالتربية فهي التي نقلت الثروات الفكرية، والقيم الكريمه، والعادات الطيبة من الآباء إلى ابنائهم

يقول بعض المربين:

«إن السبب الذي من أجله يحتاج إلى التربية هو أن الاطفال لا يولدون بشراً بل يصيرون بشراً بفضل التربية...»[١].

إن العمليات التربوية هي التي تضع الخطط السليمة لنمو الحركة الاجتماعية واستمرارها، ولولاها لما أمكن أن تدوم أي حياة للفرد أو للمجتمع، واكد ذلك جون ديوي بقوله:

«إن وجود المجتمعات وبقاءها واستمرارها يتوقف على عملية النقل الثقافي، وهذا النقل يتم بانتقال عادات العمل والتفكير والشعور من الكبار إلى الناشئين، فبغير إنتقال المثل العليا، والآمال، والمطامح، والمعايير والآراء إلى أولئك الوافدين عليها لا يمكن لحياة الجماعة أن تدوم...»[٢].

إن المكونات الاجتماعية والنفسية التي يكتسبها الانسان ناشئة عن التربية وبذلك كانت ضرورة للفرد كما هي ضرورة للمجتمع على حد سواء[٣]. وليس من نافلة القول ما ذكره بعض المربين «أنه لو انتقل سكان الكرة الأرضية إلى المريخ تاركين وراءهم أطفالهم الصغار، ثم عادوا إليهم بعد عشرين عاماً لوجدوهم قطيعاً من البهائم..»[٤].

ومما يدل على عمق هذا القول واصالته أن بعض الذئاب كانت تختطف بعض الاطفال في المقاطعات الشمالية الغربية من بلاد الهند. فكانت تفترس الكثيرين منهم، وكانت تشفق على بعضهم، وتتعهدهم، ولما عرف بعض رجال الخير الأماكن التي تأوي إليها الذئاب، ذهبوا إلى الغابات التي تأوي إليها الذئاب، فوجدوا بعض الأطفال على قيد الحياة، فانتشلوهم من برائنها وأسموهم بأولاد

(١) الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية: ص ١٩.

(٢) الديمقراطية والتربية: ص ٣.

(٣) الأسس الاجتماعية للتربية: ص ٤ ـ ٥.

(٤) الوعي التربوي: ص ١٩.

الذئاب أو أولاد المتوحشين ومن الغريب أنهم كانوا يسلكون مسالك الذئاب، ويقلدونها في أصواتها ويأكلون كما تأكل الحيوانات المفترسة، ويمزقون ملابسهم التي وضعت عليهم ويميلون إلى العزلة، والالتجاء إلى الاماكن المظلمة، ويربضون كما تربض الذئاب، وحاول بعض الناس أن يربوهم ويعلموهم الكلام أو العمل فلم يفلحوا.

ووصف (فلانتين بول) في كتابه «الحياة في أدغال الهند» أحد هؤلاء الذين عثر عليهم بعض الهنود فحملوه إلى ملاجئ الايتام في يوم (٤ / ٢ / ١٨٦٧ م) فقال:

«لقد كانت تظهر عليه علامات العته التي يشاهدها الانسان في المعتوهين العاديين كانخفاض الجبهة، والقلق، والاضطراب، وكثيراً ما يكشّر عن نابه كما يفعل الحيوان المفترس، وكان يعتمد في تعرف الأشياء على حاسة الشم أكثر من اعتماده على حاسة الذوق ولم يكن من الممكن استمراره في أي عمل بدون مراقبة مستمرة، وكان يمشي على أربع، ولم يقدر على المشي على رجليه إلا بعد بضعة أشهر، وكان إذا مشى يقف وقفات فجائية ويسير سيرة المتعثر، كما كان يحرك رأسه بسرعة يمنة ويسرة، ويحدق بنظره كأنما يترقب هجوم عدو مخيف، وظلت حياته على هذا الحال حتى توفي»[١].

إن التربية ـ حسب هذه البحوث التجريبية ـ من الامور الكسبية التي ينطبع عليها الانسان، وقد المع القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة قال تعالى: ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾[٢] وقد دلت الآية بوضوح على أن ما يحصله الانسان من علم ونمو فكري بعد أن يولد إنما هو عن طريق الكسب بسبب ما يلتقطه السمع والبصر والعقل، وقد سبق القرآن بذلك ما قرره علماء التربية في هذا المضمار.

---

(١) النهج الحديث في أصول التربية وطرق التدريس: ١ / ١١٠ ـ ١١٧.

(٢) سورة النحل: آية ٧٨.

والمهم أن التربية إنما تكون قاعدة اساسية لتطور الانسان، وارتقائه فكريا فيما إذا استهدفت الازدهار التام لشخصيته، وعنت بغرس النزعات الخيرة في نفسه، وإذا لم تعن بذلك فإن الانسان يفقد أصالته وذاتياته.

- ٢ -

واسمى أنواع التربية وأكثرها عطاءً للانسان هي التربية الدينية التي تهدف إلى النمو الروحي، والتهذيب النفسي، وتنمية السلوك، وتعويد النفس على العادات الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والمثل الكريمة، وأكد علماء النفس هذه الظاهرة في بحوثهم فقالوا:

«إن الدين يمنح الانسان قوة الايمان، والتعقل والبصيرة، وهذه القوى تشكل طاقات روحية تسعى إلى تدعيم الخير في قلوب البشر، وهذا هو أسمى وأنبل الغايات الانسانية..»[١].

إن الدين هو العاصم الوحيد من الشذوذ والانحراف، فهو يعمل على تهذيب الغرائز، وتشذيب الرغبات، وطهارة النفوس، وإنقاذها من الانحلال وصيانتها من الانهيار، وعدم تلوثها بالآثام والمغريات، فهو إذا استحكم في النفس أودع فيها قوة هائلة متماسكة تصدها عن ارتكاب الجريمة، وتحجزها من الانحراف، وتوحي لها فعل الخير، والتسابق في ميادين البر.

إن التربية التي تصاغ على وفق الاساليب الدينية تحقق للمجتمع أعظم الانتصارات، فإنها تقضي على اسباب القلق، وعوامل التمرد، كما تؤهل الفرد للحياة في بيئته.

إن التربية التي لا تعنى بالدين لابد أن تفشل، ويمنى الانسان في ظلالها بكثير من الاضطراب والاخفاق.

إن القوى الروحية تؤثر أثراً ايجابياً على السلوك الإنساني، وعلى توجيهه

---

(١) مجالات في علم النفس: ص ٤٥.

بما يتسم بالاتزان العقلي والنفسي...فان الايمان إذا كان عن فكرة وعقيدة فأثـره يجري في الاعضاء والجوارح افعالاً وسلوكاً، واندفاعاً نحو قوى الخير.

لقد أجمع علماء النفس وغيرهم على أن للدين أثراً فعالاً في تكوين الحياة العامة، وفي ايجاد وسائل الأمن والاستقرار في الأرض، وان من المحال أن يظفر الانسان باية حياة كريمة تتوفر فيها عناصر الدعة والمحبة والاستقرار من دون أن تسود التربية الروحية الواعية الهادفة إلى إصلاح النفوس، وتهذيب الطباع، وابعادها عن بواعث الهوى والغرور، ويؤكد ذلك أنه لما ضعف الوازع الديني في هذه العصور انتشرت الجرائم، وشاع الانحلال والتفسخ وتعاقبت المحن الكبرى يتبع بعضها بعضاً، ومني المجتمع الإنساني بكثير من المشاكل الرهيبة حتى طغت على العقول فكونت عنصر هلع وخوف للانسان المعاصر فقد سيقت الشعوب في طريق لا تدري ما هو مؤداه، فأخذت الدول الكبرى تطارد بعضها بعضاً عبر الفضاء والغابات واعماق البحار مستخدمة أسلحة التدمير والفناء من القنابل الذرية والهيدروجينية والرؤوس النووية، كل ذلك من أجل امتداد نفوذها وسلطانها، واستعمار الشعوب الضعيفة التي لا تملك وسائل القوة في الدفاع عن أوطانها.

وبالرغم مما انتشر في هذا العصر من الوان الثقافة، وتزايد الوعي العلمي فإن ذلك لم يكن يجدي بأي حال من الاحوال في انقاذ الانسان من ويلات الحروب، وغيرها من مشاكل الساعة التي ارهقت الانسان، واجهدته إلى حد بعيد. وإن من أوهى الآراء القول بأن في نشر العلوم والثقافات ضمانا للسلام والرخاء، وعوضاً عن التهذيب الديني والخلقي فان هذا القول أوهى من بيت العنكبوت لأن العلم سلاح ذو حدين فهو يصلح للهدم والتدمير ويصلح للبناء والتعمير، ولما فقد الوازع الديني في نفوس ساسة العالم وقادته صار العلم نكبة على البشرية، وسبباً لإغراق العالم في المخاوف والذعر، يقول (روبرت ميلكان):

«إن أهم أمر في الحياة هو الايمان بحقيقة المعنويات، وقيمة الاخلاق ولقد

كان زوال هذا الايمان سبباً للحرب العامة، وإذا لم نجتهد الآن لاكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية..»[1].

ويقول (روبرت هشنس): «لقد بلغ العلم ـ أي العلم المادي ـ في آن واحد إلى الأوج في المعرفة والتكنولوجيا[2] والتحكم في الطبيعة وإلى الحضيض في حياته الاخلاقية والسياسية».

لقد سجل العلم انتصاراته الرائعة في حقول العلم الطبيعية والبيولوجية فهناك سباق في دنيا الاختراع والاكتشاف، وهناك انطلاق مذهل في عالم الفضاء وعالم الكواكب، فالوصول إلى القمر الذي لم تحلم به الانسانية في جميع أدوارها قد تحقق وبات الانطلاق إلى غيره من سائر الكواكب أمراً مفروغاً عنه.

وهل حققت هذه الاكتشافات المذهلة خيراً للإنسانية، وانطلاقاً في ميادين التعاون والتكافل والرخاء..إنها لم تحقق أي شيء من ذلك بل على العكس قد وصلت الإنسانية إلى الحضيض من التقاتل الوحشي، والتخاصم الفظيع الذي جعلها في رعب دائم وخوف مستمر، كما انتهت إلى الحضيض في الانحلال الخلقي والفوضى الجنسية.

إن تيارات العلوم الحديثة دفعت الإنسان إلى احتقار أخيه الإنسان والتيه عليه كما هو الحال في امريكا فقد قضت أنظمتهم التشريعية بان يحال بين الإنسان الأبيض والأسود في المدارس والجامعات، وان يكون للأبيض منازل عليا، وللسود منازل سفلى، بل حتى العقوبات ينبغي أن تتفاوت فقد أعلنت صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ٣٠ / ٨ / ١٩٥٨: «أن الهيئة الدولية لمناهضة العنصرية دعت جميع معتنقي مبادئها إلى الاحتجاج على حكم الإعدام الذي صدر على (جيمي ولسون) الزنجي الأمريكي بتهمة سرقة دولار و٩٥ سنتا من سيدة بيضاء ومن المقرر أن ينفذ حكم الإعدام في (ولسون) يوم ٦ سبتمبر».

---

(١) التفكير الفلسفي الإسلامي: ص ١٧٤.

(٢) التكنولوجيا: علم يبحث عن أصول الفنون والصنايع على اختلاف أنواعها وصورها.

ولم يستطع التقدم العلمي الذي أحرزته الولايات المتحدة أن يقضي على هذا الظلم والغبن في التفرقة بين أبناء الإنسان.

إن العلوم المادية لم تستطع على إيجاد التوازن، وخلق روح المودة والتعاون بين أفراد المجتمع، وقد عدل الكثيرون من فلاسفة العالم عما كانوا يعتقدون به من قبل من أن نجاة الإنسان، وانقاذه من ويلات الحروب وكوارثها إنما يكون بتقدم العلوم وتطورها، وقد أعلنوا وهم ذلك وعدم اصالته وواقعيته يقول (المستر ليمان): «لقد اعتقدنا خلال الحرب العالمية الأولى أن خلاص العالم هو في تقدم العلوم، ولكننا اليوم قد زالت عن أعيننا غشاوة هذا الوهم..»[1].

وحذر إقبال أشد الحذر من هذه العلوم بقوله: «إياك أن تكون آمناً من العلم الذي تدرسه فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها..».

وتحدث إقبال عن التعليم فقال: «إن التعليم الحديث هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيماوية، فهو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخاً إلى كومة تراب..»[2].

وعلى أي حال فإن العلوم الحديثة لم تعن بتنمية السلوك الإنسانية، ولا باعداد النشئ لتعليم الحياة الاجتماعية، وممارستها في إيجاد مجتمع سليم تسوده المحبة والتعاون.

إن أخطر ما تستهدف إليه العلوم المادية نبذها للجانب الروحي، وعدم عنايتها بالتهذيب النفسي، وقد نجم عن ذلك انتشار الأوبئة الأخلاقية ومن أهمها شيوع الجريمة، وانعدام الروابط الإنسانية، وتحلل روابط الأسرة وقواعد الأخلاق مما جعل الإنسان المعاصر يرزح تحت كابوس ثقيل من جراء الظلم والغبن.

---

(١) التربية لعالم حائر: ص ٥٢.

(٢) نحو التربية الإسلامية ص ٣٥ ـ ٣٦.

- ٣ -

ولم تعالج الديانة المسيحية الشؤون التربوية بصورة موضوعية، فقد أهملت ذلك، ولم تشر إليه بقليل ولا بكثير، وإنما كانت قاصرة على الدعوة إلى الحياة الأُخرى، وإلى امتهان الحياة الدنيا ونبذ ما فيها من متع وملاذ، ودعت إلى المعيشة في الأديرة والكنائس والإعراض عن السكنى في غيرها، يقول بعض المعنيين بالبحوث التربوية: «وقد أصبحت التربية المسيحية مقصورة على الإعداد للحياة الآخرة، أما هذه الحياة التي نحياها فلا تحاول التربية المسيحية شيئاً مما يتصل بها سواء أكان هذا الشيء يرمي إلى تربية الذوق الجميل أم يمت إلى الحياة العقلية بصلة، ولذا كانت التربية المسيحية مضادة للتربية الفردية الحرة عند اليونان، وللتربية الاجتماعية العملية عند الرومان..»[1].

لقد وجه رجال الدين المسيحي جميع جهودهم على قصر التربية في الشؤون الأُخروية، يقول (وليولا): «إن الغرض من التربية هو إصلاح ما أفسده آباؤنا، وذلك بمعرفتنا لله حق المعرفة، ومحبتنا له والتزامنا طريقته بفضل اكتسابنا للفضائل»[2].

وقد وقفت الكنيسة تحارب رجال الفكر، وتحارب كل من يدعو للتقدم والإصلاح، كما وقفت إلى جانب الاستعمار تحمي مصالحه وأطماعه، مستخدمة في ذلك التربية المسيحية، يقول (ميريل كيرتي): «وفي المستعمرات التي بلغ فيها التحالف بين الكنيسة والدولة من القوة والاشتداد ما بلغه في ولايات (نيو انكلند) كانت التربية وهي تحت سيطرة مختلف الطوائف الدينية تستعمل سلاحاً استراتيجياً لزيادة القوة السياسية للفئات المسيطرة عليها أو لحمايتها ضد منافسة

(١) تطور النظرية التربوية: ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) تطور النظرية التربوية: ص ٢٥ ـ ٢٦.

المبادئ والعادات المناهضة»[1].

وقد أناطت تلك الدول خلال القرن الثامن عشر وظائف المعلمين بالكنيسة، فالذي لا يظفر بتزكيتها يحرم من مهنة التعليم[2].

وأخذت الكنيسة تحارب الوعي الفكري، وتنكل بكل من يدعو إلى الإصلاح فساقت للمحاكم (٣٠٠/٠٠٠) عالم، واحرقت منهم (٣٢/٠٠٠) وكان منهم العالم الطبيعي (برنو) وقد نقمت منه الكنيسة آراءً من أشدها قوله بتعدد العوالم، وقد حكمت عليه المحكمة بالحرق حياً، وحكم بالإعدام على (كاليه) لقوله بحركة الأرض حول الشمس.

ونتيجة الصراع القائم بين العلم والكنيسة قرر الثائرون من علماء الطبيعة أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان[3]، واندفعت سائر القوى العلمية والإصلاحية إلى إعلان الحرب على الكنيسة والقضاء على خرافاتها وعقائدها الوضعية التي تجافي القواعد المنطقية والعلمية، وأدت هذه الثورة الفكرية إلى الثورة الفرنسية الكبرى، التي انتجت اعلان حقوق الإنسان، ومن أهمها الاعتراف بالمساواة، والحرية، والعدالة بين الناس على اختلاف قومياتهم وعناصرهم.

وعلى أي حال فان المسيحية لم تقرر في جميع بنودها التشريعية أي مادة ترجع إلى التربية العلمية أو المهنية، فقد كانت التربية المسيحية بصورة عامة خاضعة لخرافات الكنيسة، وأضاليل القساوسة، وأوهام الرهبان.

أما الاسلام ـ والحمد لله ـ فانه منذ بزوغ نوره قد استخدم جميع طاقاته، وأجهزته بشكل ايجابي وبنّاء إلى ايجاد التربية الصحيحة الهادفة إلى تنمية الوعي الإنساني، ورفع المستوى الفكري، والاجتماعي، وذلك في ضمن عملية تربوية

---

(١) التربية والصراع الاجتماعي: ص ١٢.

(٢) التربية والصراع الاجتماعي: ص ١٤.

(٣) التكامل في الإسلام: ٥ / ١١٥.

واحدة يتم على أساسها تشكيل الأفراد وهم على نمط واحد انقياداً للحق، وانصياعاً للعدل، وتسابقاً في ميادين البر والخير، إن طابع التربية الاسلامية لم يكن دينياً محضا كما كان عند المسيحيين والاسرائيليين في الصدر الأول من تاريخهم ولم يكن دنيوياً محضا كما هو الشأن عند الرومان، وإنما كان يلائم بين الدين والدنيا، فكان يهدف إلى الاصلاح الشامل للحياتين.

لقد تناولت التربية الاسلامية جميع الطبقات الاجتماعية فوضعت لها المناهج الخلاقة المبتنية على أحدث الوسائل التي تنتهي إليها سير الحضارة الانسانية، وتقدم الانسان وتطوير حياته، ونضوج عقله...إنها بكل اعتزاز المصدر الوحيد لحضارة المسلمين ومجدهم في أيام عصورهم الذهبية، يقول بعض الباحثين عن التربية الاسلامية: «لا يستطيع أحد من المربين والمؤرخين أن ينكر أن التربية الاسلامية هي الاساس المتين لحضارة المسلمين، والمثل العليا في تلك التربية تتفق مع الاتجاهات الحديثة في عالم التربية اليوم، فقد قدس الاسلام العلم والعلماء، وسما بالعلم إلى درجة العبادة، وعنى العناية التامة بجميع أنواع التربية، وخاصة التربية الروحية والدينية والخلقية، ونادى بالحرية والمساواة، وتكافؤ الفرص بين الاغنياء والفقراء في التعليم، وقضى على نظام الطبقات، وفرض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، واعطاهما كل وسيلة للتعلم إذا وجدت لديهما الرغبة في العلم والاقبال عليه.

وقد فتحت المساجد والمعاهد، ودور العلم والحكمة، ودور الكتب والحلقات الدراسية، والمنتديات الأدبية والعلمية أمام الطلاب للتعلم والدراسة والبحث، وقدمت إليهم الدولة الاسلامية كل ما يحتاجون إليه من طعام ومسكن وعلاج ومساعدات مالية لتمكنهم من المعيشة والتفرغ لطلب العلم وإننا لنفخر إذا قلنا إن مبادئ التربية الحديثة التي نادينا بها في منتصف القرن العشرين، ولم تستطيع الدولة المتمدنة تنفيذها كلها حتى اليوم، قد روعيت ونفذت في

التربية الاسلامية في عصورها الذهبية قبل أن تخلق التربية الحديثة بمئات السنين»[1].

لقد قدّم الاسلام لجميع شعوب الأرض الثروات الفكرية الحافلة بجميع مقومات النهوض والارتقاء، والاصلاح الشامل لجميع مناهج الحياة.

إن الاسلام جعل العلم بصورة عامة عنصراً أساسياً من عناصر التكوين الاجتماعي، والنهضة الفكرية للمسلمين، وقد حث عليه باصرار، وجعل طلبه فريضة من فرائض الاسلام، وسنتعرض لذلك بصورة مفصلة عند الحديث عن الاطار الثقافي في التربية الاسلامية.

- ٤ -

وحينما استولت القوى الاستعمارية الغادرة على الوطن الاسلامي الكبير ومزقته إلى دويلات خاضعة لنفوذه لا تتمكن على حماية نفسها، ولا تستطيع الحصول على استقلالها، قد ربطها بعجلته، وسيرها تحت ارادته، وبعد فراغه من هذا التخطيط الذي قضى فيه على أصالة المسلمين وقوتهم، اتجه بجميع طاقاته ووسائله إلى محاربة الوعي الاسلامي فحارب العقيدة الاسلامية وحارب الخلق الاسلامي.

لقد أدرك الاستعمار أساس القوة التي يتمتع بها العالم الاسلامي في أثناء حروبه، وصموده، وفتوحاته، وهي عقيدته الأصيلة التي تأبى الضيم والذل والعبودية، فوضع الخطط، والنظم إلى محاربة الوعي الاسلامي، وإلى اجتذاذ أنواره من النفوس فاستعمل الحرب الفكرية التي هي من أفتك أنواع الاسلحة النفسية، ومن أحدث الوسائل الفنية لسيطرته وبقائه، وقد اعتمد في ذلك على ما يلي من الوسائل.

---

(١) التربية الإسلامية: ص ٣ ـ ٤.

١ ـ تغيير المناهج التعليمية

وعمد المستعمرون إلى تغيير جميع مناهج التربية والتعليم في البلاد الإسلامية فجرّدوها تجريداً تاماً من المحتويات الدينية، كما عمدوا إلى تشويه التاريخ الإسلامي، والدس والافتراء على معتقدات المسلمين واخلاقهم.

لقد عهدت الحكومة البريطانية في مصر إلى (دنلوب) بوضع مناهج التعليم، وقد قام بدوره بوضع سياسة خاصة للتعليم أقصى عنها جميع الاسس التربوية الإسلامية. واستبدلها بأنظمة هزيلة تنتج العقم الفكري، وقلب المفاهيم الدينية.

وتقوم سياسة التعليم التي وضعها دنلوب على دعامتين:

١ ـ توجيه أكبر قسط من العناية في المدرسة إلى حشو الذهن بالمعلومات واغفال ما عدا ذلك من مقومات التربية اغفالا تاماً أو وضعه في المرتبة الأخيرة وتشغل المدرسة بمظاهر سطحية لا ترمي إلى هدف، ولا تحقق فائدة.

٢ ـ نظام التجانس العقيم الذي وحّد أساليب التربية والتعليم ومناهجها وخططها في جميع مدارس المرحلة الواحدة حتى استحالت متكرره متشابهة وانعدم بذلك الطابع الشخصي، الذي يجب أن تطبع به كل مدرسة في حدود بيئتها الخاصة[1].

ومن الطبيعي أن هذه الضحالة في برامج التعليم قد قضت على الوعي الأصيل في نفوس النشئ، وجعلته أداة طيعة بيد المستعمرين.

وفي العراق عمدت سلطات الاحتلال الانكليزي إلى الإمعان في وضع المناهج لخدمة مصالحهم، والقضاء على الروح الوطنية والدينية، فقد جاء في مذكرات (طه الهاشمي) أن (مس بل) طالبت باستخدام الضباط المتقاعدين الذين خدموا في الجيش العثماني سابقاً ليكونوا في الجيش العراقي، فأجابها مسؤول

(١) عوامل التربية: ص ١٧ ـ ١٩.

بريطاني كان يعمل في السفارة البريطانية: «كيف نستخدم هؤلاء الضباط في الجيش العراقي الجديد، وهم من هم وطنية واخلاصاً؟ إنهم ينشئون جيلاً وطنياً لا غبار عليه».

فابتسمت (مس بل) بخبث وقالت له: «لا تخش شيئاً، ان المستر فلانا في المعارف، وهو المسؤول عن تربية الجيل الجديد»[١].

لقد أخذت المخططات التربوية التي وضعها الاستعمار تعمل على تجريد الناشئة الاسلامية من عقائدها الدينية. وقد نجحت بذلك إلى حد بعيد، يقول القسيس (صموئيل زويمر): «والتعليم المدرسي، والتربية الاخلاقية الغربية قد اسفرا عن نتائج جمة وأثمرا ثمرات نافعة في الاطفال والمراهقين على السواء..لقد استطعت ان أقنع التلاميذ المسلمين مرة، وأضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية ثم حوّلت عليها نوراً قوياً، وأقنعتهم بذلك أن الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتياً من عند الله لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة»[٢].

وصرح جيب في زهوة ونشوة عما أحدثته التربية الاستعمارية من زعزعة العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين يقول:

«لقد استطاع النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين ـ عن غير وعي منهم ـ أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد..ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من آثار.. فالواقع أن الاسلام كعقيدة، وإن لم يفقد إلا قليلا من أهميته وسلطانه ولكن الاسلام كقوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانه..»[٣].

لقد استطاعت التربية الاستعمارية أن تحول بين المسلمين وبين دينهم،

---

(١) مجلة الأقلام الجزء الثاني من السنة الرابعة. من مقال لمحمود شيت خطاب تحت عنوان (المعنويات).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي.

(٣) من مقدمة كتاب إلى أين يسير الإسلام.

فاكتسحت منهم تلك الروح الوثابة الأصيلة التي تسحق الطغيان، وتدمر الظلم وتحطم الماردين.

لقد عبثت بهم القوى الاستعمارية فاجهزت على قيمهم ومثلهم، واصالتهم وتركتهم ـ كما يريد الاستعمار ـ انقياداً للغرائز، وإعراضاً عن الحق، وصدوفاً عن العدل.

ان المناهج التربوية التي صنعها الاستعمار قد فتكت بالمسلمين فأوجدت فيهم ناشئة قد تعرّت من جميع الاخلاق الكريمة، واصبحت أمل المستعمر وطلائعه وجنوده، ولنستمع إلى الامام شرف الدين عملاق الفكر الاسلامي يحدثنا عما أحدثته الأنظمة التربوية في مدارسنا من الويلات والكوارث يقول:

«فاستحوذ ـ أي الاستعمار ـ علينا دخولا في مدارسه، واصغاءً إلى وساوسه فاندفعنا للزج بأفلاذ أكبادنا إلى أحضانه تحوطهم طوائف منه أو من حملة مبادئه بالحضانة واللقانة، حتى إذا خرج الفوج الأول من شبان الجيل المأمول، علمنا أن الخسارة أكبر من الربح، والاثم أكبر من المنفعة وذلك لأنهم تعلموا دون توجيه، أو تعلّموا في ظل توجيه مفسد يخضع الثقافة إلى مناهج استعمارية تغزو أرواح أبنائنا بأفتك مما يغزو به الاحتلال في بلادنا.

وكنا في تعليم أبنائنا هذه المعارف المسمومة كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه، وفي الحق لقد خدعت أمتنا بأوهام من الغرور باطلة حيث أرادت استرجاع مجدها بتعليم ناشئتها فدفعتهم إلى احضان هذه المدارس التي لم تتأسس في الشرق إلا للاستيلاء عليه بجميع ما فيه من دنيا أو دين فأضرتهم ضرراً لا يتدارك، واضاعت مجدها على وجه آخر هو الفن، وأسرع له واشد وافضع، إذ تخرّجوا جنوداً علينا وعلى مقدسات مبادئنا، وتلك مصيبة ما مني الإسلام والشرق بمثلها...»[١].

وهو رأي وثيق للغاية فان الإسلام والشرق ما منيا بمثل ذلك الغزو الثقافي الذي أفسد العقائد والأخلاق.

---

(١) الإمام شرف الدين حزمة ضوء على طريق الفكر الإمامي: ص ١٣٤.

٢ ـ التبشير المسيحي

وكان المفروض في التبشير المسيحي أن يحمل روح المسيح في هديه وصفائه، وزهده واستقامته إلا أنه من المؤسف أن الاستعمار قد استخدمه لتخدير الشعوب، وإرغامها على الظلم والاستبداد وتضليل المسلمين، وإبعادهم عن دينهم.

ان التبشير المسيحي كان الركيزة الأولى التي يعتمد عليها الاستعمار الغربي في بقائه ونفوذه، وقد أدلى بذلك وزير خارجية بريطانيا في مؤتمر (دنبرج) قال: «ان المبشرين هم ساعد الحكومة في الأمور الهامة، ولولاهم لما أمكن أن تقاوم كثير من العقبات، وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين بالنصرانية».

ولنستمع إلى تقرير آخر أدلى به رئيس غرفة التجارة في (همبورغ) قال فيه: «إن نمو ثروة الاستعمار متوقف على الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية ادخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة، لأن هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية».

لقد اعتمد المستعمرون على التبشير المسيحي لاختلاس ثروات الشعوب واستنزاف أرزاق الملايين وتجويعهم، وقد اتجه التبشير ـ بوحي من الاستعمار ـ يعمل بكل طاقاته وأجهزته ضد الإسلام الذي يهدد مصالح المستعمرين ويحجر بينهم وبين أطماعهم، وقد أكدت الدوائر الاستعمارية ذلك، فقد جاء في قرار المؤتمر الالماني ما نصه:

«إن ارتقاء الإسلام يهدد مستعمراتنا بخطر عظيم، ولذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح الحكومة بزيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة والمؤتمر الاستعماري مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماماً في

الشؤون الدينية ويشير على الذين أمسكوا زمام المستعمرات ان يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام، وان ينتفعوا من أعمال ارساليات التبشير التي تبث مبادئ المدنية، خصوصاً بخدماتهم التهذيبية والطبية، ومن رأي أن الخطر الإسلامي يدعو إلى ضرورة المسيحية الالمانية لاتخاذ التدابير ـ من غير تسويف ـ في كل الأرجاء التي لم يصل إليها الإسلام بعد...».

إن الدوائر الاستعمارية تحارب الإسلام، وتناهضه بجميع أجهزتها وإمكانياتها، وتسعى جاهدة لتنصير المسلمين أو انحرافهم عن دينهم، وقد أثمرت نتائج المبشرين في هذا الموضوع إلى حد بعيد فقد تنصّر جملة من المسلمين، ففي اندوسيا تنصر ربع مليون مسلم، وهكذا في غيرها من المناطق الإسلامية، وهو أمر طبيعي لأن الكثيرين من المسلمين قد جهلوا واقع دينهم فلابد أن تجرفهم الدعايات المضللة والكاذبة.

وعلى أي حال فان لجان التبشير المسيحي تكيد للمسلمين في غلس الليل وفي وضح النهار، وتسعى لسلب العقيدة الإسلامية من النفوس، يقول (المسيو شاتيله) أحد دعائم التبشير المسيحي: «مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم وهو الهدم فان نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية، والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبيل لإعمال المدنية الأوربية، اذ من المحقق أن يضمحل من الوجهة السياسية، وسوف لا يمضي زمن غير قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية...».

ان مخططات التبشير المسيحي تحمل شارات الموت والدمار للشعوب الإسلامية فهي من أعظم الوسائل للقضاء على أصالة المسلمين، واستعبادهم، وإخضاعهم للسيطرة الاستعمارية.

٣ ـ المدارس المسيحية

وثالث الاثافي التي يعتمد عليها الاستعمار الغربي في محاربته للوعي الاسلامي نشره للمدارس المسيحية فليس الغرض منها تثقيف العقول وتربية النشء، وانما الغرض منها شل الحركة الاسلامية، وتنصير المسلمين أو تقريبهم من النصرانية، وقد أكد ذلك بعض المبشرين بما يلي: «المدارس هي من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين، وقد كان عدد التلاميذ في المدرسة التبشيرية في طهران قبل سنتين من ٤٠ إلى ٥٠ فصاروا (١١٥) وكلهم يتلقون التربية النصرانية..».

وقد أولى الاستعمار مزيد اهتمامه وعنايته في المدارس المسيحية للبنات لأنها الثغرة الوحيدة التي يسلك منها لإفساد الاخلاق، يقول (جيب): «إن مدارس البنات هي بؤبؤ عيني، لقد شعرت دائماً أن مستقبل سورية انما هو بتعليم بناتها ونسائها، لقد بدأت مدرستنا للبنات في بيروت ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها، وهاهي قد أثارت اهتماماً شديداً في أوساط الجمعيات التبشيرية، وقد اهتمت فرنسا بالاشراف على مناهج التعليم..».

ان المدارس المسيحية بصورة عامة انما هي قواعد استعمارية انشئت لمناهضة الاسلام، وتنصير المسلمين، ويقول (ا. ل شاتليه) في بحث له عن ارساليات التبشير البروتستانتية:

«ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية في المدرسة..وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية..».

وحاول بعض أحرار المسلمين إنشاء جامعة إسلامية تعمل لصالح المسلمين فأوجب ذلك انتشار الذعر في الأوساط الاستعمارية فعقدوا مؤتمراً في (لكنو) وجاء فيه هذا التقرير الخطير إلى القس (رسيمون): «ولكن عبثاً يبني هؤلاء

آمالهم على الجامعة الإسلامية، لأن التربية النصرانية قد انبثت في دمائهم بفضل مدارس التبشير، وباحتياطات استمدتها حكومة هولندة من أصول الدين النصراني، ومن شأنها أن تزعزع آمال المسلمين الباطلة...».

المدارس المسيحية تبث سمومها في الناشئة المسلمة، وتسلب عنهم كل وعي إسلامي، وتغرس في نفوسهم الميوعة والاستهتار.

٤ ـ استخدام الطب

واستخدم الاستعمار الغربي الطب، وجعله وسيلة من وسائل الغزو الفكري لمحاربة الإسلام، ونشر الأفكار المسيحية في الوطن الإسلامي، فقد ذكرت جريدة المؤيد المصرية بعددها (٦٦٨٧) أن أهم الوسائل التي يستخدمها المبشرون لتذليل الصعوبات التي تقف في طريق التبشير هي:

١ ـ توزيع الكتاب المقدس.

٢ ـ التبشير من طريق طب لأنه في مأمن من مناوأة الحكومة له، والمسلمون يلجأون بأنفسهم إلى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم.

وجاء في العدد نفسه تقرير للقس (سن كليرلسرال) ما نصه: «واكتسب المبشرون محبة الناس لهم بسبب الأعمال الطبية التي تصدر عن المبشرين، فتجعل الأعداء لهم يعترفون بأن النصرانية مصدر عمل صالح، وأضاف يقول: والوسائل التي يتذرع بها المبشرون هنا هي الإرساليات الطبية من نساء ورجال، ورحلات المبشرين، والأعمال النسائية».

وختم تقريره بالقول: «ويتقرب المبشرون الألمان إلى المسلمين بالمدارس، والإرساليات الطبية، وهي مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين».

وجاء في العدد نفسه تقرير آخر للقسيس (سلستين) عن الارساليات الطبية جاء فيه: «وتوجد إرسالية تبشير طبية دانمركية في (حوبي مردان) تقوم بها النساء المسلمات، ووظيفتهن التبشير بين النساء المسلمات، وهي على أهبة الهبوط إلى كابل عاصمة الافغان، ومما لا شك فيه ان النساء اللاتي يتعاطين الطب يلاقين

مزيد الحفاوة لأن المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات...».

وتحولت جمعية الاسعاف الأرمني إلى جمعية تبشير كما أدلى بذلك القس (ليبسوس) فقد جاء في تقرير له: «ان الاهتمام في صيانة الكنيسة الشرقية لا يكفي للنهوض بالشرق بل تجب مناهضة ومناوأة الإسلام عدو المسيحيين الشرقيين الأقدمين، وعلى أثر ذلك تحولت جمعية إسعاف الأرمن إلى جمعية التبشير الألمانية».

وقد عهد بعمادة هذه الجمعية إلى (ليبوس) وهو من أخبث الحاقدين على المسلمين، وهو صاحب الكلمة المشهورة: «أنه لا يكفي المناضلة والمناوأة للمسلمين بل يجب شهر السلاح ضدهم».

هذه بعض الوسائل التي اعتمد عليها الاستعمار الغربي في غزوه الفكري إلى الوطن الإسلامي، والغرض منها سلب العقيدة الدينية من نفوس المسلمين والقضاء على أصالتهم ومجدهم المتمثل في وعيهم الإسلامي، وقد خطب (رومير) في مؤتمر للمبشرين بجبل الزيتون في فلسطين فأعرب عن مدى حقدهم البالغ ضد المسلمين، قائلاً: «ولكن علينا أن لا نبغي إخراج المسلمين من الإسلام، ثم إدخالهم إلى الديانة المسيحية، ولكننا نكتفي بإخراجهم من الإسلام، وإبقائهم بلا دين، وبذلك تكونون أنتم الطليعة الأولى للركب الاستعماري باركتكم عناية الرب»[1].

هذا هو اتجاه الاستعمار الغربي، في طلائعه التبشيرية نحو المسلمين حقداً وعداءً ونكاية حتى لا تبقى في نفوسهم أية ركيزة دينية ليشيع بينهم التفسخ والانحلال، وهذا أسوء مصير تصيل إليه الأمة في مجاهل هذه الحياة، ومن الطبيعي أن المجتمع الذي لا يقبل على الدين لهو مجتمع قد ضعفت قواه العقلية، وروابطه الفكرية، وهو حتماً لابد أن ينعزل عن موكب الحياة، ويسير بخطى سريعة نحو التأخر والزوال.

---

(١) مصادر البحث، الغارة على العالم الإسلامي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، جريدة المؤيد المصرية، سر انحلال الأمة العربية، مجلة العربي.

وحققت القوى الاستعمارية جميع ما تحلم به وتصبوا إليه من استعباد المسلمين، وإذلالهم، وإشاعة الفقر والحرمان في ربوعهم، فاستنزفت ثرواتهم، واستولت على سائر إمكانيّاتهم الاقتصادية، فصرفتها على بناء كيانها العلمي والاقتصادي، والعالم الإسلامي يرزح تحت كابوس ثقيل من الجهل والفقر، قد تأخر في جميع الميادين الصناعية، والاقتصادية والعسكرية.

ومن أعظم الخطوب والبلايا التي تركها الاستعمار جاثمة في الوطن الإسلامي خلقه لإسرائيل، وإيجاده لهذه العصابة التي لفظتها جميع الأمم، وقيامه بحمايتها وتسديدها، وأغدق الأسلحة والأموال عليها بلا حساب، والغرض من ذلك حماية مصالحه، وقمع جميع الحركات الإسلامية أو الوطنية العربية.

إن إسرائيل هي الوطن الأم للاستعمار، والقاعدة الأولى لعدوانه. فهي ركيزته ومصدر انطلاقه لغزو الشعوب، وسلب ثرواتها، وقد وقف الاستعمار إلى جانبها يسدد عدوانها، ويبرر اعتدائها، ويدفعها إلى التوسع وإلى ضرب العرب، وإرغامهم على ما يكرهون...لقد بنت إسرائيل سياستها على العدوان، وعلى أموال أمريكا تصرفها في قتل العرب، وإجلائهم عن أراضيهم، واستيطانهم بها ليخلقوا الوطن الإسرائيلي الكبير بدلاً من الوطن العربي. وقد أدلت الأوساط السياسية الإسرائيلية بذلك، كما صرحت بأن على العرب أن يستوطنوا في ديار غير ديارهم لأنها ملك لإسرائيل أوعدتهم بها أنبياؤهم، كما يزعمون.

لقد عمدت إسرائيل إلى استئصال العرب في فلسطين، وإبادتهم إبادة جماعية بشكل وحشي لم يعهد له نظير حتى في عصر الغاب...وأمريكا تعزز هذه الإجراءات القاسية التي انتهكت فيها كرامة الإنسان، وتمدها بطائرات الفانتوم،

والأجهزة الالكترونية، ويقف أسطولها السادس لحمايتها كما تقف إلى جانبها في هيئة الأمم المتحدة تسدد عدوانها، وتلتمس لها المعاذير، وتدفعها إلى التوسع، والظفر بمكاسب جديدة...تفعل أمريكا ذلك، وتستفيد شركاتها من البترول العربي في كل سنة ما يزيد على ثلاثين ألف مليون دولار، بالإضافة إلى احتكارها لأسواق المسلمين، والسيطرة عليها.

لقد تفوقت أمريكا على سائر دول العالم بالأموال التي تجني الكثير منها من بلاد المسلمين، فكان جزاؤهم منها جزاء سنمار فسلطت عليهم شذاذ الآفاق يمعنون في قتلهم وإرهاقهم، ويشردونهم من ديارهم...والادهى من ذلك أن تعقد في بعض العواصم الإسلامية اتصالات دبلوماسية مع إسرائيل، ويسمح لها بتأسيس الشركات الاحتكارية التي تقوم بعمليات التجسس، واستنزاف ثروات المسلمين.

لقد استشف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من وراء الغيب أن اليهود عنصر من عناصر الهدم والتخريب، وانهم يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويبغون لهم الغوائل فأمر صلى الله عليه وآله بإجلائهم وإخراجهم من الجزيرة العربية وأكد ذلك بإصرار بالغ في ساعاته الأخيرة من حياته، ولو ان المسلمين استجابوا لنداء نبيهم لما منوا بهذه الكارثة الكبرى التي تهدد كيانهم. وتنذرهم بالويل والدمار.

إن إسرائيل تشكّل أعظم خطر على العالم العربي والإسلامي، وذلك بما تحمله من نوايا الحقد والكيد على الإسلام، فهي تسعى جاهدة لإزالة معالمه، وإطفاء نوره، وتجلى ذلك في إحراقهم للمسجد الأقصى، وإبادة جميع المعالم الإسلامية من البلاد المحتلة..والغرب يؤيد جميع خطواتها، ويمدّها بأحدث الأسلحة لأنها تحمي مصالحه وأطماعه فالواجب على الحكومات القائمة في الوطن العربي والإسلامي أن توحد كلمتها، وتزيل ما بينها من خلاف لانقاذ المسلمين من هذه العصابة.

ان الدول العربية مدعوة وملزمة قبل غيرها باتخاذ جميع الوسائل لصيانة أراضيها من الغزو الإسرائيلي، فان إسرائيل آخذة بالتوسع، وهي تدعو جميع يهود العالم للهجرة إليها لتقيم في ربوع وطننا العربي الوطن الإسرائيلي الذي تحلم به، وهي تعتمد على قابلياتها الدبلوماسية وعلى تأييد الولايات المتحدة، وما تغدقه عليها من الأموال والأسلحة...فلابد لها من اتخاذ موقف حاسم وموحد، ولابد أن تجهّز نفسها بأحدث الأسلحة، وتقيم في مناطقها المعامل للاسلحة الثقيلة لئلا تعتمد في ذلك على الدول الخارجية التي تسعى لضمها تحت مناطق نفوذها، ومن أهم الأمور ـ فيما نحسب ـ بث الوعي التربوي والعمل على تغذية النشء في المعاهد والجامعات بخطر إسرائيل والصهيونية العالمية، وأن تستخدم في سبيل ذلك جميع أجهزة الإعلام من الإذاعة والتلفزيون والصحافة، ولابد من نشر الوعي بصورة خاصه بين القوات المسلحة التي هي العمود الفقري للأمة، فإنها ان تسلحت بالوعي والإيمان أحرزت الأمة الانتصار، ومحت عنها هزيمة الذل والعار.

إن العالم الإسلامي يمر بمرحلة دقيقة حاسمة من تأريخه، فقد عبث به الاستعمار فأقعده عن السير في طريق التقدم، وتركه جريحاً على مفترق الطرق تتحداه عوامل الانحلال من الداخل والخارج، فعلى رجال التربية والتعليم أن يهبوا إلى تكوين العقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وتنمية أحاسيسهم بالخطر المحدق في البلاد من الصهاينة والاستعمار، وعلى وزارة التربية والتعليم أن تنشئ أجهزة خاصة مسؤولة عن كل ما يتصل بعمليات التخطيط في ميادين التربية لتقوم بدراسات إسلامية، يعهد بتدريسها في جميع المعاهد العلمية حتى تستطيع تنمية السلوك الديني بين أبناء الجيل.

إن سبب الأزمة التي يعانيها النظام التقليدي التربوي في البلاد الإسلامية إنما هي وليدة الأنظمة التربوية الاستعمارية الحاقدة على هذه الأمة، فلابد من اكتساحها وإزالتها حتى يتكوّن جيل من الشباب يؤمن بوطنه، ويجاهد من أجل

تحريره من الاستعمار الاقتصادي، والسياسي، والثقافي الذي فرضه الانجليز في البلاد.

على الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية أن تعيد النظر في سياستها التربوية في حرص وأمانة، وان تناقشها بعمق وشمول فان فلسفة التربية والتعليم في العصور الماضية ما كانت تهدف إلى إيجاد نشء يستطيع النهوض بوطنه، وتطويره في نواحيه المختلفة، فان الغاية من التعليم فيما مضى وحتى في هذا الوقت إنما كانت تعنى إلى خلق موظفين في جهاز الحكم ليس لهم أي هدف أو فلسفة اجتماعية، لذا أصبح من المحتم دراسة الخطط والمناهج والأساليب في التعليم حتى تتمكن من إعداد نشء قادر على تحمل المسؤولية في بناء مجتمعه، كما ان الواجب تمحيص جميع الكتب المدرسية على اختلاف أنواعها، وإزالة ما فيها من زيغ فكري وعقائدي، وان ننحي جميع المبادئ والآراء المناهضة للدين الإسلامي، وهناك واجب آخر وهو لزوم الرقابة الشديدة على الهيئات التعليمية فتفصل عنها دعاة الأفكار الهدامة، وأصحاب العقائد الخرافية كالوجودية فتبعدهم عن هذه المهنة، وتحول بينهم وبين عقول النشء.

لقد قدّم الإسلام منهاجاً كاملاً للتربية يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح الذي يتسابق في ميادين الخدمة الاجتماعية، ويسعى إلى تحقيق التكامل في بيئته ومجتمعه... إنه منهج متميز قد توفرت فيه جميع عوامل النهوض والارتقاء والتماسك، فقد جعل المسلمين في عصورهم الأولى قوة متماسكة لا مثيل لهم في الأرض، يفتحون، ويغزون، ويعمرون، ويقيمون المثل الكريمة القائمة على أواصر الإنسانية والمحبة والتعاون.

إن التربية الإسلامية الخلّاقة قد استطاعت ـ بكل اعتزاز وفخر ـ أن تنتج خيرة الرجال وعظماء الإنسانية في قابلياتهم ومواهبهم، وقدراتهم أمثال عمار بن ياسر وأبي ذر وسلمان وغيرهم من بناة التأريخ الإسلامي الذين ناهضوا الظلم، وتنكروا للجور، وحالفوا الحق، وبعثوا في هذه الأمة روح التضحية والنضال

لاحتضان العدل ومناجزة الظلم والطغيان.

يعاني العالم الإسلامي في هذه المرحلة الحاسمة من تأريخه أزمة حادة في كيانه التربوي فقد انتشرت فيه الميوعة والتسيّب والانحلال، وسادت فيه الأهواء الخاصة التي تجانب الحق، ولم يعد أي ظل للتربية الإسلامية فقد تلاشت أكثر عناصرها ومقوماتها، فقد انعدم الوفاء، وفقدت المحبة والتعاون في سبيل الله، وعم النفاق الاجتماعي، وساد الجشع والتهالك على الظفر بالمادة من أي طريق كان، فلا تحرّج في الكسب، ولا نصح في العمل، ولا تجنب عن الخدع، فلم يعد هناك احتياط، ووقوف في الشبهات، أو تورع عما حرمه الله، كما لم يعد ظل للعطف والرأفة والتراحم بين الناس مما أوجب تفكك المجتمع وتفلله، واصابته بكثير من الأوبئة والامراض الاجتماعية.

ومن بين المحن الكبرى التي مني بها المجتمع الاسلامي انفصال الكثيرين من الناشئة الحديثة عن اسرهم، وتخليهم عن جميع الروابط والتقاليد الاجتماعية فلم يهتموا بصورة ملحوظة بالعواطف الجياشة التي تكنّها الآباء لهم، كما لم يعنوا بأداء ما عليهم من الواجبات التي فرضها الله لآبائهم خصوصاً في حال شيخوختهم وعجزهم فقد اصبحوا يعانون كثيراً من جفاء أبنائهم وفقدانهم للرعاية والعطف.

إن محنة الآباء لقاسية جداً خصوصاً من أبنائهم الذين يتلقون معارفهم في العواصم الغربية فإنهم قد اكتسبوا عادات الغرب وطباعه في التخلي عن الأسرة وعدم الاهتمام بأي شأن من شؤون التقاليد الاجتماعية. فالشاب والفتاة لا يخضعان في سلوكهما إلى الأبوين، خصوصاً إذا لم تكن لهما مركزية اجتماعية فإنهم ينفرون منهما، ويقابلونهما بمزيد من الامتهان والاحتقار.

لقد أصبح أكثر الشباب ينسابون وراء شهواتهم، وميولهم ورغباتهم الجنسية، قد احتضنتهم دور السينما والملاهي، وانصرفوا إلى اللهو وإلى ما تبثه

شاشة التلفزيون من الصور الخلاعية، ولم تعد عندهم حياة للجد، وسبب ذلك فقدانهم للتربية الواعية التي تهدف إلى صيانتهم، وتحلّيهم بالعادات الكريمة والاخلاق الفاضلة.

وقد عني هذا الكتاب بدراسة موضوعية وشاملة ما منيت به التربية الحديثة من عوامل النقص والانحلال، كما عني بعرض شامل للتربية الاسلامية وما تهدف إليه من تنمية الوعي، ورفع مستوى الفكر، وحفل بعرض المخططات الثقافية الاسلامية الهادفة إلى نشر العلم المركّز على الايمان بالله، وتهذيب النفوس..آملا أن اكون قد ساهمت في تنمية الوعي الاسلامي، وخدمة الاسلام وابراز بعض افكاره التربوية الخلاقة. انه تعالى ولي القصد والتوفيق.

النجف الاشرف — باقر شريف القرشي

٢٧ / صفر / ١٣٩١ هـ

معاني التربية وأهدافها

ونحن مدعوون للبحث عن مدلول التربية في اللغة، والاصطلاح العلمي وبيان ضرورتها، وأهدافها. وايضاح الجهة التي تربطها بالتعليم والفلسفة والسياسية، فقد عني علماء التربية بتحقيق ذلك كله،وبما أن ضرورة البحث المقارن تقتضي تحقيق ذلك، كمقدمة أولية أو تمهيدية إلى البحوث التربوية الحديثة مع مقارنتها بالنظم التربوية الاسلامية التي هي موضوع بحثنا، فإذن لابد أن نعرض إلى ذلك بشيء من الايجاز.

المدلول اللغوي

التربية: (في اللغة) مأخوذة من ربّ ولده، والصبي يربه (رباه) أي أحسن القيام عليه حتى أدرك[1]، وفي الحديث: «لك نعمة تربها» أي تحفظها وتراعيها. كما يربي الرجل ولده، وفي حديث ابن ذي يزن «أسد تربب في الفيضان اشبالا» أي تربى، وهو أبلغ منه، وترب الذي فيه، وتربيه، وأرتبه ورباه على تحويل التضعيف، وترباه على تحويل التضعيف أيضاً أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولة كان ابنه أو لم يكن[2].

ان التربية ـ حسب المعنى اللغوي ـ عبارة عن تعاهد الطفل بالتغذية والرعاية، وحسن القيام عليه حتى يفارق طفولته، وهو شامل لتنمية مداركه وعقله.

(١) تاج العروس: ١ / ٢٦١.

(٢) لسان العرب: ١ / ٤٠١.

المصطلح العلمي

وعني علماء التربية ـ منذ أقدم العصور ـ بتفسير هذه الكلمة وايضاح مدلولها العلمي، ولكنهم لم يستقروا على تفسير واحد لها، وفيما يلي عرض ذلك:

١ ـ أسبق تعريف لها، هو ما أدلى به أفلاطون بقوله: «التربية اعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال، وكل ما يمكن من الكمال»، وشمل هذا التحديد التربية البدنية والروحية، فالتربية البدنية: هي التي توجد النمو والازدهار في الجسم، والتربية الروحية هي التي تبعث الكمال والفضيلة.

٢ ـ عرض (هبل) إلى تحديد التربية الكاملة فقال: «التربية الكاملة هي التي تحفظ الصحة البدنية، والقوة الجسمية للتلميذ، وتمكنه من السيطرة على قواه العقلية والجسمية، وتزيد في سرعة ادراكه، وحدة ذكائه، وتعوّده سرعة الحكم، ودقته، وتقوده إلى أن يكون رقيق الشعور يؤدي واجباته بذمة وضمير..».

وهذا التحديد يقتصر على التربية الكاملة الشاملة للتربية البدنية والعقلية وهو قريب مما أفاده أفلاطون.

٣ ـ وعرفها (جولد سيمون) بقوله: «التربية: هي الطريقة التي بها يكون العقل عقلا، ويكون القلب قلبا...».

ومعنى هذا التعريف أن التربية هي التي تكون أداة إلى النمو العقلي، وازدهار النفس بالاخلاق الفاضلة، وهو مقتصر على التربية الروحية.

٤ ـ وحددها (هربرت) بقوله: «التربية إعداد الانسان ليحيى حياة كاملة..» وهذا التعريف كالسابق مقتصر على التربية النفسية دون غيرها.

٥ ـ وعرّفها (جون ملتون) بقوله: «التربية الكاملة: هي التي تجعل الانسان صالحاً لأداء أي عمل عاماً كان أو خاصاً بدقة ومهارة في السلم والحرب..» ونظر هذا التعريف إلى التربية المهنية دون غيرها.

٦ ـ وعرّفها (مستالوتزي) بقوله: «التربية تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة

متلائمة..».

٧ ـ وقال (هسلي): «التربية: تهذيب القوى الطبيعية للطفل كي يكون قادراً على أن يقود خلية سعيدة..».

٨ ـ وقال جيمونل: «التربية: إعداد الفرد ليسعد نفسه أولاً وغيره ثانياً..».

٩ ـ وعرّفها ليثرى بقوله: «إن التربية: هي العمل الذي تقوم به لتنشئة طفل أو شاب، وانها مجموعة من العادات الفكرية أو اليدوية التي تكتسب، ومجموعة من الصفات الخلقية..».

١٠ ـ ولعل أوثق تعريف هو ما ادلى به (جون ديوي) من أنها عملية تكيف ما بين الفرد والبيئة، يقول: «التربية: هي صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، ثم صبها في قوالب معينة أي تحويلها إلى عمل اجتماعي مقبول من الجماعة..»[١].

هذه بعض التعاريف التي ادلى بها علماء هذا الفن، وإن كان بعضها لا يخلو من نظر لأنها عنيت بتحديد نوع خاص منها، ويجب أن يكون التعريف ملما وشاملا لجميع أفراد المعرف حسب ما يقوله علماء المنطق.

المدلول التربوي

أما المدلول التربوي ـ حسب ما ذكره المعنيون بهذه البحوث ـ فله معنيان أحدهما عام، والآخر خاص، أما (المعنى العام) فهو شامل لكل عمل يصدر عن قصد أو غير قصد لكن فيما إذا كان من شأنه أن ينمي قواه أو قوى غيره الجسمية، والعقلية، والخلقية، أو الذوقية.

فالتربية بمفهومها العام تشمل ما تحدثه عوامل التربية الثلاث[٢] من آثار في تنمية القدرة، والاستعداد البشري، سواء أكانت هذه الآثار ناشئة عن قصد أم عن

(١) مصادر البحث: الجامع في التربية العامة: ص ١٢، روح التربية والتعليم ص ٥ ـ ٦.

(٢) عوامل التربية الثلاث: الوراثة، والبيئة، والإرادة.

غير قصد، فكل حركة تصدر عن الانسان، وكل عمل يقوم به أو يصدر من غيره، وكل مظهر من مظاهر البيئة الاجتماعية التي تؤثر في نفس الانسان، وفي كيانه المادي، وغيره، سواء أكانت من عهد تكوينه نطفة في بطن أمه أم في عهد آبائه، وأجداده كل هذه الأمور لها آثارها في تربية الانسان عظمت أو صغرت، وكلها تعد من آثار التربية بالمعنى العام يقول المربي الإنجليزي (ستيوارت ميل): «إن التربية بمعناها العام تشمل كل ما نعمل لأنفسنا، وكل ما يعمله غيرنا بقصد تقريبنا من كمالنا الطبيعي، فهي بأوسع معانيها تشمل الآثار غير المباشرة التي تحدثها في الأخلاق، والقوى الإنسانية من الأمور التي لها أغراض مباشرة مختلفة كالقوانين، وأشكال الحكومات، والفنون والصناعة وأنواع الحياة الاجتماعية بل العوامل الطبيعية التي لا سلطان لإرادة البشر عليها كالمناخ وطبيعة الأرض، وموقع البلاد الخاص».

فالتربية بالمعنى العام تشمل كل شيء يؤثر في بناء الأخلاق سواء أصدر من نفس الإنسان أم من غيره، بل حتى الأمور التي هي خارجة عن الاختيار كالمناخ وطبيعة الأرض لها دخالة في التربية، وفي بناء الشخصية فإذا نظر الإنسان إلى صورة رائعة، وأثرت في نفسه، فلابد أن يكون لها تأثير في تنمية خياله وذوقه، وكثيراً ما نسمع ما يقوله الناس: «ربتني الأيام أو رباني الزمن أو ربتني الحوادث» ومن الطبيعي أن هذه الأمور كلها خارجة عن الاختيار.

(المعنى الخاص): ويقصد به انتقال الأسس التربوية والثقافية من جيل إلى جيل، ويقول بعض المربين في تحديدها: «التربية بمعناها الخاص الذي يقصد منه عادة مقصورة على المساعي التي توجه نحو تقويم الناشئين في ناحية خاصة من نواحي الحياة، أي المساعي والجهود التي يبذلها الكبار من أفراد المجتمع في سبيل تثقيف عقول الناشئين منهم وتقويم أخلاقهم كما تطلق التربية بمعناها الخاص على ما يقوم به المربون والمدرسون الفنيون لتهذيب الناشئين..»[1].

---

(١) النهج الحديث في أصول التربية ١ / ٥ ـ ٧.

وأنكر (جون ستيوارت) التربية بالمعنى العام، وقصرها على المعنى الخاص فقال: إن كلمة التربية إنما تطلق على الثقافة التي يسلمها كل جيل لما يتلوه من أجيال لتزويد الناشئين بما يقومهم، ويرفعهم إلى المستوى الذي وصل إليه آباؤهم[1].

وهذا التحديد يصرفها إلى المعنى الخاص إلا أن الكثيرين من علماء التربية ذهبوا إلى أن التربية بمفهومها الخاص لا تثمر في بناء الكيان الشخصي ما لم تنسجم مع التربية العامة التي هي عبارة عن المؤثرات الاجتماعية، يقول المربي (ت. س أليوت): «تستطيع المدارس أن تنقل إلى تلاميذها جزءً من الثقافة فحسب، ولا يكون هذا النقل مثمراً إلا إذا كانت العوامل الخارجية في انسجام تام معها، ولا نقصد بتلك العوامل الخارجية مجرد الأسرة والبيئة بل عوامل أخرى كالعمل، واللعب، والصحافة، والمشاهد العامة، والاستعراضات، ووسائل التسلية والرياضة»[2].

ضرورة التربية

التربية ضرورة من ضروريات الحياة، وشأن أصيل من شؤون الإنسان بها يكسب مقوماته النفسية، والاجتماعية، وبها يتحقق امتيازه عن سائر الحيوانات فهي ضرورة للفرد والمجتمع على حدّ سواء يقول بعض المربين:

«التربية بالنسبة للفرد عملية تطبيع اجتماعي، ينتج عنها اكسابه الصفة الإنسانية التي يتميز بها عن سائر الحيوانات الأُخرى، فنحن نعلم أن الفرد يرث عن والديه وأجداده أساسه البيولوجي من لون الشعر، والعينين، وطول القامة إلى غير ذلك من الصفات الجسمية، ولكنه يكسب المكوّنات الاجتماعية والنفسية

(١) تطور النظرية التربوية: ص ٢٣.

(٢) التعليم: ص ١١٤.

لشخصيته عن طريق التربية، ولهذا كان اكتساب الصفات الإنسانية عملاً أساسياً تقوم به التربية...وبذلك تكون التربية عملية اجتماعية ضرورية للفرد كما هي ضرورة للمجتمع على حدّ سواء...»[١].

إن التربية تكسب الإنسان المقومات الفردية، والعادات التي يبقى متأثراً بها طوال حياته، وقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الطفل في أصغر ما يلزمه من العادات، وفي أهم الخصائص العقلية والخلقية، وفي الموقف العام الذي يقفه من الناس، وفي وجهة النظر العامة التي ينظر بها إلى الحياة أو العمل في كل هذه الأشياء مقلد إلى حد كبير، ولكنه في أغلب الحالات يكون لا شعورياً، فاذا منح الطفل بتقليده الأشخاص المهذبين ظل متأثراً بأخلاقهم وعواطفهم، وان هذا التأثير في أول الأمر يعتبر تقليداً، ولكنه سرعان ما يصبح عادة، والعادة طبيعة ثانية، والتقليد هو أحد الطريقين اللذين تكتسب بهما الخصائص الفردية، وتتكون بهما الأخلاق الشخصية[٢].

التربية عنصر من عناصر الحياة، ومبدأ أساسي للتكامل الشخصي لأنها تقوم بتكييف الإنسان، وتطويره ونضوجه، يقول بعض الباحثين في الشؤون التربوية: «إن التربية ضرورة للفرد ذاته كما هي ضرورة للمجتمع، ذلك لأن الفرد في بدء حياته لا يعتبر إنساناً اجتماعياً ناضجاً، إنه كائن حي من الناحية البيولوجية، كائن غير ناضج، فيتعذر عليه العيش في المجتمع والتكيف معه.

وهنا تظهر أهمية التربية في مساعدته على تنمية فرديته، وترقيتها، ومساعدته على تنمية قدراته واستعداداته، ومهارته إلى أقصى ما هو مهيأ له، وعلى اكتساب الصفة الاجتماعية للعيش في المجتمع، والتكيف معه، والانتماء إليه، وعلى هذا فالتربية تهم الفرد كما تهم المجتمع تماماً...إنها ضرورة اجتماعية،

(١) الأسس الاجتماعية للتربية: ص ٤ ـ ٥.

(٢) علم النفس في الحياة.

وضرورة فردية..»[1].

التربية هي الوسيلة الوحيدة التي يملكها الإنسان لتحقيق نضوجه، ورفع مستواه الفردي، والاجتماعي، ومن ثم كانت ضرورة لازمة للحياة، وعنصر مهم في كيان الفرد والمجتمع، وقد سبق أن دللنا على ذلك بمزيد من البيان في تقديم هذا الكتاب.

الأهداف التربوية

وتحمل التربية أهدافا خطيرة، ومسؤليات اجتماعية كبيرة، وقد عني الأخصائيون في بيانها، ولكنهم اختلفوا في تحديدها، والسبب في ذلك يرجع إلى اختلاف وجهات نظرهم فيها، فبعضهم قصر نظره على الاهداف الروحية والبعض الآخر نظر إلى الاهداف المادية، وثالث نظر إلى الاهداف الاجتماعية، ورابع نظر إلى النمو الفردي والتكوين الشخصي، وفيما يلي عرض موجز لذلك:

أ ـ الأهداف الروحية:

وذهب بعض المربين الاسلاميين إلى أن الغرض الأساسي من التربية وطلب العلم انما هو تطهير النفس، وصفاء الذات، والاتصال بالله تعالى الذي هو من أسمى الغايات وأنبل المقاصد يقول الغزالي:

«أيها الولد: كم من ليال أحييتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب وحرّمت على نفسك النوم لا أعلم ما كان الباعث فيه، إن كان نيل غرض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال فويل لك ثم ويل لك، وإن كان قصدك احياء شريعة النبيﷺ، وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الأمارة بالسوء

---

(١) التربية والإرشاد: ص ١٠ ـ ١١.

فطوبى لك ثم طوبى لك..»[١].

وذهب بعض المربين الاسلاميين إلى أن تطهير النفس من العيوب شرط أساسي لتلقي العلوم، ولذا كان من واجب المعلم أن لا يقبل طالباً حتى يختبره في اخلاقه. فان وجده مهذب الاخلاق اشتغل بتعليمه. وإلا منعه أشد المنع، خيفة من أن يستعين بالعلم على الفساد فيعود الضرر من جراء ذلك عليه وعلى غيره... [٢].

وقال (فروبل) إن التربية ينبغي أن تقود الانسان إلى معرفة نفسه الداخلية، وتقدير الطبيعة، والثقة بوحدانية الله، ويجب أن ترفع الانسان إلى الحياة الطاهرة المقدسة الناشئة عن معرفة الله، والطبيعة، والنفس الانسانية[٣] وأكد (فروبل) في كثير من بحوثه على ذلك قال:

«إن الغرض من التربية حياة طاهرة مقدسة، ملؤها الاخلاص والطهارة»[٤].

وقد اتفق كبار المربين على أن التعليم الذي لا يؤدي إلى الكمال وتهذيب النفس لا يستحق أن يسمّى تعليما، ويقول (ويلولا): «إن الغرض من التربية هو إصلاح ما أفسده آباؤنا، وذلك بمعرفتنا لله حق المعرفة، ومحبتنا له والتزامنا طريقه بفضل اكتسابنا للفضائل..».

وأكد (جون لوك) على الجانب الاخلاقي في التربية، فقال: «إن الفضيلة هي أهم ما تهدف إليه التربية».

وهذه الآراء قد حصرت أهداف التربية في الناحية الروحية والاخلاقية ولم تعن بغيرها من أنواع التربية.

---

(١) أيها الولد: ص ٩٤.

(٢) آداب المريدين لابن عربي: ٢ / ٩٣.

(٣) روح التربية والتعليم: ص ٢١.

(٤) تربية الإنسان.

ب ـ الأهداف المادية:

ويرى فريق من المربين وغيرهم أن الغرض من التربية يجب أن يكون لإعداد الناشئين لاكتساب العيش، ويسمى ذلك عند بعض المربين من الانجليز «غرض الخبز والزبد».

وهذا الرأي له قيمته، لأن الانسان ـ بحسب حبه للبقاء ـ فهو مرغم على السعي لاكتساب وسائله، وليست هناك وسيلة أهم من جلب القوت، واكتساب الرزق اللازم لبقائه وبقاء من يعول به «فان تعليم الحرفة أمان من الفقر».

وليس للغني أن يطمئن إلى ثروته، ويترك الحرفة والصناعة، فقد جعل الله الأرض ذلولا، وأمرنا بالسعي في مناكبها والأكل من رزقه وعلينا أن نعلّم أبناءنا كيف يضربون في الأرض، لاكتساب الرزق[1].

وهذا الرأي ناظر إلى الناحية المادية ولم يهتم بغيرها من النواحي التربوية.

ج ـ الأهداف الاجتماعية:

ونظر بعض المربين إلى الناحية الاجتماعية فأكد على رعايتها والاهتمام بها يقول (جان بياجه): «إن أهم أهداف التربية تحقيق الازدهار التام لشخصية الانسان. ودعم حسن الاحترام لحقوق الغير، وللحريات الاساسية، كما يجب على التربية أن تعزز روح التفاهم، والصداقة بين كافة الشعوب، وكافة الجامعات العنصرية، أو الفئات الدينية، وأن تساعد في تنمية النشاط الذي تقوم به منظمة الأمم المتحدة للحفاظ على السلم..»[2].

واكد ذلك (كوندرسيه) فقال: إن التربية يجب أن تعمل أولاً على أن تتيح

---

(١) النهج الحديث في أصول التربية، وطرق التدرس: ١ / ٣٣.

(٢) حق الناس في التربية والتعليم، مأخوذ من المادة ٢٦ من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان.

لكل فرد من اتقان مهاراته، وجعله قادراً على القيام بالمهام الاجتماعية التي تطلب منه، ونمو قدراته إلى أقصى حد، كما يجب أن تعمل على بث روح المساواة بين أفراد الشعب، وإذا تحقق ذلك فقد حققت التربية المساواة السياسية التي يقرها القانون، وأما الهدف الاجتماعي من التربية فيعبر عنه توجيه التعليم بشكل ينتج عنه ارتقاء الصناعة، وتقدمها بحيث تزداد سعادة المواطنين، ويتمكن أكبر عدد من الناس من القيام بالمهام الضرورية للمجتمع.

وقد اعلن الاسلام أغلب هذه الأمور واعتبرها من العناصر الاساسية في حقوله التربوية كما سنوضح ذلك بمزيد من التفصيل.

د ـ *النمو الفردي*:

ويرى بعض المربين أن الهدف من العملية التربوية هو النمو المتكامل للفرد حسب ما تؤهله استعداداته، وقدرته، ومن بين الوسائل تحقيق التراث الثقافي الذي يجب أن ينتظم سيكولوجياً لكي يناسب مراحل النمو المختلفة[١] وأضاف بعض المربين إلى ذلك العناية بتقويم الاخلاق، وحسن السلوك والنشاط في العمل، وقوة الارادة، والاعتماد على النفس، وتهذيب الغرائز واحترام الناس، والاعتراف بحقوقهم، وحسن علاقة الفرد بالمجتمع، والعمل على اصلاح الفاسد، وتقديم احوال بيئة الشخص، والسعي إلى رقي المجتمع الإنساني[٢].

ويرى أفلاطون أن من أغراض التربية أن نطلق سراح الاسرى الجهلة ونحررهم من اغلالهم، ونخرجهم من عالم الظلمات إلى عالم النور، ومن الكهوف والمغارات السفلية إلى عالم الشمس والحرية، وان نرفع أرقى الطباع النفسية إلى منزلة تفكر في عمل خير شيء في الوجود[٣].

---

(١) الأسس الاجتماعية للتربية: ص ٦٥.

(٢) النهج الحديث في أصول التربية: ١ / ٩.

(٣) الجمهورية.

أهداف أُخرى

وأدلى فلاسفة التربية ببعض الأهداف التي توجب النمو الفردي، والتكوين الذاتي. وأهمها:

١ ـ الصحة.

٢ ـ التكليف الانفعالي، والاجتماعي.

٣ ـ معرفة العالم الطبيعي.

وهناك طائفة أُخرى من الفلاسفة حصروا أهداف التربية في التعليم الثانوي بعشرة أهداف وهي:

١ ـ تنمية الطرق الصحيحة للتفكير.

٢ ـ غرس العادات المفيدة التي تتعلق بالعمل والدرس.

٣ ـ تنمية الاتجاهات الاجتماعية.

٤ ـ اكساب الافراد مجموعة من الميول المناسبة.

٥ ـ تنمية الذوق الادبي وغيره من النواحي الجمالية.

٦ ـ تنمية الحاسة الاجتماعية.

٧ ـ تنمية توافق فردي اجتماعي.

٨ ـ اكساب الفرد المعلومات المهمة.

٩ ـ تنمية الصحة الجسمية.

١٠ ـ تنمية فلسفة ثابتة للحياة[١].

هذه بعض الأهداف التربوية، وسنذكر جملة أُخرى عند التحدث عن أنواع التربية.

---

(١) علم النفس والتعليم: ص ٤٩.

التربية والتعليم

إن مفهوم التربية بالمعنى العام ـ كما تقدم ـ يشمل جميع أنواع النشاطات التي تؤثر في تنمية الفرد، واستعداداته، وسلوكه، ولا يختص ذلك بما يقوم به الفرد من إعداد لنفسه، أو بما يقوم به الغير لتنمية قدرته، بل يشمل مفهوم التربية ما هو أكثر من ذلك إذ يحوي كل تعديل وتهذيب للأخلاق والسلوك، ويحوي كل ما يتم بطريق غير مباشر كالقوانين السائدة ونظام الحكم، وأنماط المعيشة، والتقاليد، والعادات الاجتماعية، والأنظمة المتبعة في العرف وغيرها.

فهذه العوامل غير المباشرة تؤثر في التربية، كما تؤثر فيها البيئة المادية، والظروف الطبيعية التي لا تخضع لسيطرة الفرد كالجو، والموقع الجغرافي، وغيرها، ومن ثم كان كل ما يساعد على تشكيل الكائن البشري وجعله في الحالة التي هو عليها من العوامل المؤثرة في تكوين التربية وايجادها.

وعلى هذا فالتربية ـ بهذا المعنى ـ تشمل كل تنمية، وتهذيب ينصبّ على قوى الفرد واستعداداته، ونواحي سلوكه بقصد توجيهه.

أما (التعليم): فيقصد به نقل المعلومات من المعلم إلى المتعلم، بقصد إكسابه ضروباً من المعرفة، فمعنى التعليم ـ على هذا ـ محدود في هذا الإطار، في حين أن التربية أوسع معنى وأسمى قصداً لأنها تتضمن كل نهوض وترقية إيجابية لقوى الفرد.

التربية بالمعنى العام تنصبّ على جميع نواحي شخصية الفرد من جسمية وعقلية وخلقية، أما التعليم فيقصد به نقل المعرفة إلى الفرد كإحدى الوسائل في تربيته فهو بهذا المعنى عامل جزئي، وليس فيه من الإيجابية للفرد المتعلم إلا بقدر ما يستطيع أن يحصل عليه من المعرفة.

إن المعرفة ليس لها أي أثر في حياة الفرد إلا إذا كانت معرفة حية مطابقة لواقع الحياة حتى يستفيد منها في سلوكه[1].

وأما المعرفة الناقصة فلا أثر لها في تكوين الشخص بل انها في كثير من الأحيان تعمل على تأخيره في الحياة العملية، وسنوضح ذلك بمزيد من التفصيل عند البحث عن التربية الحديثة.

الفلسفة والتربية

إن العلاقة بين الفلسفة والتربية وثيقة جداً، وقد أكد (فختة) هذا الارتباط في مقالاته للشعب الألماني فقال: «إن فن التربية لن يصل إلى حالة الوضوح التام بدون مساعدة الفلسفة، فهناك علاقة متبادلة بين الاثنين وأحدهما بدون الأخر ناقص لا يمكن الانتفاع به»، وذهب جون ديوي إلى أبعد من هذا فقال: «إن الفلسفة اليونانية ـوهي فلسفة نظامية معروفة ـ لم تنشأ إلا تحت ضغط مسائل التربية على عقول المفكرين، فالطبيعيون الأولون لم يكونوا إلا فصلاً في تاريخ العلم، أما جماعة السوفسطائيين ومن جاؤا لمناهضتهم فأولئك هم الذين اضطرنهم شؤون التربية حينئذٍ لأن يتفلسفوا...فكان لهم كلام في التربية أدى بهم إلى نظريات في الفلسفة[2].

ويقول (هوبارث سنبسر): «إن التربية الحقة لا تكون عملية إلا عن طريق الفلسفة الحقة».

---

(١) التخطيط للتربية والتعليم: ص ٩٠، تطور النظرية التربوية: ص ٢٤.

(٢) تطور النظرية التربوية: ص ١٧.

علم النفس والتربية

وتدخّل علم النفس في الشؤون التعليمية فتناول جميع موادها فحلّلها إلى عناصرها الأولية من حيث القدرات والعمليات العقلية التي تتدخل فيها فقد تناول بالتحليل القراءة والكتابة والحساب واللغات، والإنشاء كما تناول بالبحث فنون الرسم، والنقش والزخرفة، والمواد العملية، وحلل جزءً كبيراً منها إلى عناصرها الأولية، عقلية كانت أو يدوية، ومن نتائج هذه البحوث أن صار في استطاعة المدرّس أن يعرف ما يناسب التلميذ بحسب استعداداته، وما يناسب التلميذ الواحد في سن دون الآخر أو في مرحلة تعليمية دون الأخرى، وفي استطاعته كذلك أن يكون أكثر فهماً لأحسن الطرق لتعليم المواد الدراسية المختلفة.

إن علم النفس هو المرشد الأكبر في عمله سواء أكان في الحقول التعليمية أم في المجالات التربوية[1].

التطور التربوي

كان المنزل في فجر التأريخ الإنساني هو الجهاز الوحيد للتربية المقصودة، وكانت العشيرة البدائية هي التي تقوم وحدها بتربية الأطفال من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية،وتهيء لهم الوسائل لإعدادهم للحياة، وظل الأمر على هذا الحال حتى فاتحة العصور القديمة، فالأُسرة الرومانية في أقدم عصورها كانت تشرف وحدها على تنشئة أطفالها وتربيتهم من مختلف النواحي وفق ما تشاء لها نظمها الخاصة بدون تدخّل من جانب أية سلطة من سلطات المجتمع العام.

وبذلك كانت التربية من العوامل التي يساعدها المنزل ويكمل نقصها،

(١) علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية: ص ٢٣ ـ ٢٤.

وكانت جهود المنزل التربوية مختلطة بنشاطات أُخرى غير متميزة عنها، حتى كانت تربية الأطفال أشبه شيء بتربية غير مقصودة، ثم أخذ المنزل يوجد عناية خاصة لشؤون التربية، ويتجه إليها في صورة مقصودة، وبعد أن ظهرت الكتابة[1] ودوّن بفضلها ما اهتدى إليه الإنسان من الحقائق في مختلف الشؤون، أصبحت تربية الجيل اللاحق تتوقف على احاطته بما كشفه السلف، وما دوّن في ميادين العلوم والفنون، انضم إلى وظائف المنزل التربوية القديمة وظيفة جديدة وهي وظيفة التعليم بمعناه المدرسي الأخص.

وكان يقوم بهذه الوظيفة الآباء والأقرباء ، وكبار أفراد الأسرة، والعشيرة حيال صغارهم[2] ولما أشرق نور الإسلام على العالم أحدث تغييراً هائلا في جميع نواحي الحياة، ومن أهمها الناحية التربوية، فقد عني بها عناية بالغة فحث المسلمين على التعليم حتى يتمكنوا من الاطلاع على مصادر المعرفة والثقافة في سبيل تحسين حياتهم، ورفع مستواهم. وسنعرض ذلك عند البحث عن الاطار الثقافي في الإسلام.

التربية والسياسة

إن أي نظام سياسي لابد له من نظام تربوي يدعمه، وقد عنيت الثورات السياسية والاجتماعية باستخدام التربية والتعليم، والاعتماد عليهما في سبيل استمرار حكمها، وإيضاح فلسفتها، يقول بعض المعنيين في الشؤون التربوية:

«وتتضح السيطرة الاجتماعية عن طريق التربية عندما تحدث ثورة من

---

(١) ان اختراع الكتابة لم يحدث إلا منذ آلاف السنين تقريباً. وكانت خبرات كل جيل قبل ذلك تنتقل إلى جيل آخر عن طريق المشافهة، ولما اخترعت الكتابة تمكن الإنسان من تسجيل معرفته وزيادتها. الأمر الذي سهل اجتماع عناصر الثقافة، وزيادتها. ولذلك قيل ان اختراع الكتابة أخطر اختراع في تاريخ الإنسان. جاء ذلك في علم الاجتماع: ص ٢٧٤.

(٢) عوامل التربية: ص ٦ ـ ٨.

الثورات السياسية، أو العسكرية، أو الاجتماعية، فإذا نجحت الثورة في تحقيق مآربها السياسية كان عليها أن تتجه إلى التربية لتتخذ منها أداة لتحقيق أهدافها الاجتماعية، إنه بغير التربية تبقى الثورات في نطاق محدود منعزلة عن بقية المجتمع وعن بقية أفراده، فإذا ما استمرت الثورة في انعزالها، ولم يتحقق انتشارها، وانتشار أهدافها في المجتمع كان الزمن كفيلاً بإفنائها...».

والاعتماد على التربية من أهم الوسائل في الأنظمة الحديثة، فهي ترى أن التربية والعلم يجب أن يحملا شعار الثورة الثقافية، وقد استخدمت الشيوعية جميع وسائل النشر والتبشير لبث أفكارها، وإيجاد خلايا لها في معاهد التربية والتعليم لتتخذ من الطلبة جنوداً لتدعيم أفكارها، وضرب المعسكر الرأسمالي المنهار.

وعلى أي حال فإن السياسة ـ بما لها من مفهوم شامل ـ قد استخدمت التربية بجميع أجهزتها، ووسائلها، وهي ضرورة حتمية لها إن أرادت البقاء والاستمرار.

عوامل التربية

والتربية إنما تكون قاعدة أساسية للنتائج السلوكية بصورة عامة فيما إذا استندت إلى العوامل المؤثرة في بنائها وتكوينها، ويستحيل أن تتحقق أو تجد ثمراتها من دون أن تتوفر فيها الأسباب المؤدية إلى إيجادها، وهي حسب ما نص عليها علماء التربية وغيرهم تتلخص فيما يلي:

الوراثة

وعزى علماء النفس الذكاء والغباوة إلى قانون الوراثة، وقالوا: إنهما يستندان إليها استناداً مباشراً، وفرّعوا على ذلك أن الطفل إذا كان ذكياً بحسب وراثته فإنه يتلقى المناهج التربوية والتعليمية بسهولة،كما ان الذكاء من أهم العوامل المؤدية إلى النمو الفكري، والنضوج العلمي، وإذا كان الطفل بليداً بحسب وراثته فانه من الصعوبة بمكان ان تجدي كافة الوسائل التربوية والتعليمية في تقدمه، وازدهار شخصيته ... ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن الوراثة التي هي من أهم الوسائل في بناء الكيان التربوي.

أ ـ تحديد الوراثة:

عرفت الوراثة بأنها ميل طبيعي في الفرع لمشابهة أصله في تكوينه الجسماني، وفي وظائف أعضائه،وحددها جماعة من علماء الوراثة فقالوا: «إنها مشابهة الفرع لأصله» ويتضح فيما يلي واقعية هذا التحديد وأصالته.

ب ـ التحليل العلمي:

والتحليل العلمي للوراثة هو ان الإنسان في بدء حياته وتكوينه إنـما هـو خلية صغيرة واحدة تسمى (يجوت) وهذه الخلية هي أعجب ما في الكون. ومن أغمض الأسرار وأدقها، وتدل على عظيم قدرة الله تعالى خـالق الكـون وواهب الحياة وهي تنشأ من نتيجة عملية اخصاب بين خليتين هما ـ في غـاية الدقـة ـ البويضة[1] والحيوان المنوي[2] وعندما تتحد هاتان الخليتان تـنتجان نـواة فـرد

---

(١) البويضة: حجيرة صغيرة جداً بـيضوية الشكـل، تحـتوي عـلى قـشرة فـيها مـادة مـائية تـسـمى (بروتوبلازما).

(٢) ان الحيوانات المنوية المندفعة بكثرتها تقصد البويضة للقاح وحينما تشعر بهـجومها عـليها تسـتعد لانتخاب أكبرها جسـماً،وأقواها، وأنشطها حركة، وعندما يدنو الحيمن النشـيط مـنها يـظهر عـلى سطحها انتفاخ صغير من الجانب المقابل له، ثم يرق قشره استعداداً لهجومه فيهجم الحيمن عليها من ذلك الانتفاخ، وينقبه برأسه،ثم يلج في صميمها، ويبقى ذنبه خارجاً فتنكمش البويضة عليه، وتتقلص حتى تقطع ذنبه فيمتزج الحيمن داخل البويضة بالنواة،وبهذا يتم تكميل اللقاح. وبعد مدة قليلة تنزل البويضة من البوق إلى الرحم حيث تلتصق بأحد جدرانه الداخلية، وتنمو هناك، وتتقلب في أطوارها، إذ تتكون فيها الأنسجة، والأجهزة الحيوية العضوية، وتظهر الأطـراف والجـذع والرأس بـالتدريج، ويكون هذا غالباً في الشهر الثاني من الحمل، ثم يسـتر هذا المجـموع بـغشاء قـوي سمـيك يسـمى (المشيمة) ووظيفتها حفظ الجنين، وتغذيته بواسطة أوعيتها الشعرية المنبثة في جدرانها حيث تمتص دم الأم الذي كان حيضاً قبل الحمل، وهذه التغذية تكون بصورة كيماوية عـجيبة أشـبه مـا تكـون بامتصاص جذور النبات للماء من الأرض. وبعد كمال خلقة المشيمة يتولد داخلها سائل أصفر باهت الصفرة يسمى (السائل لامينوسي) وهو يتولد من ترشحات الرحم المائية ومن الأغشية المحيطة بـه. وفائدته أن يحيط بالجنين داخل الرحم ليدفع عنه كلما تلاقيه الأم من هزات وصدمات مضافاً إلى أنه يحتفظ للجنين بالحرارة المناسبة له، وهو مع ذلك كله يمدد عنق الرحم وبوسعه عند الولادة كما يقوم بتطهير الطريق وتعقيمه أمام الجنين قبل الولادة ليسهل خروجه مع رفع الضغط الرحمي عليه حين الطلق إلى غير ذلك من الفوائد. ثم بعد تكوين المشيمة، وحدوث السائل، وحصول هيكل الجنـين، يظهر الحبل السري في جانب السرة، ويطول إلى نصف متر أو أكثر، وفائدته نقل الدم من الأم إلى الجنين لتغذيته، ثم اخراج الدم من الجنين إلى الأم ليلتقي مع دم أمه في دورتها الدمـوية، هـذا هـو تكوين الجنين في الرحم، وقد فصله تعالى بقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه

جديد وفي تلك اللحظة يقضي بأن سيكون ذكراً أو أنثى طويلا أو قصيراً، ذكياً أو غبياً، عسلي العينين أو أزرقهما، ففي هذه الخلية تنطبع جميع الصفات، والمميزات، ولا يمكن أن تتغير...فالوراثة إذن هي مجموعة المميزات التي تتركز في البويضة المخصبة.

ج ـ *قوانين الوراثة:*

ان قوانين الوراثة من الأمور الذاتية التي لا تنفك عن الإنسان في جميع أدوار حياته، ومن أهمها ما يلي:

الأول: من أظهر قوانين الوراثة، وأكثرها مشاهدة مشابهة الفرع للأصل في مظاهره الشكلية، وخواصه الذاتية، وهو أمر بيّن في جميع الكائنات الحية فبذور القطن تخرج قطناً، وبذور الزهرة تخرج زهرة وتحاكيها في ألوانها وخصائصها، وهكذا سائر البذور النامية، ويظهر ذلك في الحيوانات بصورة ظاهرة فالقطة الصغيرة تشبه أبويها في هيكلها وسائر صفاتها، وفي الإنسان يشبه الولد أبويه لا في الصفات العامة فحسب بل في دقائق الصفات فالآباء السود يلدون أبناءً سوداً، والآباء البيض يلدون أبناءً بيضاً، ومن ذلك الذكاء والغباء فهما من الصفات الموروثة، وسبب ذلك ـ فيما قرره علماء الوراثة ـ أن للإنسان جزءً نوعياً خاصاً لا يموت صاحبه بل يمتد، ويستأنف حياته في نسله، هذا الجزء اسمه (جرم بلازم) ويقول (وايزمان): إن الولد أخو الأب من أمّين مختلفين إذ انه في اللحظة التي تخصب فيها البويضة تنقسم إلى قسمين، قسم منها يظل محتفظاً بصفات الأب، ويورث إلى الجيل الجديد، وقسم آخر يستهلك في النمو ويسير في طريق النمو فيتحول إلى مضغة ثم إلى جنين، ويقول (بيرون): «إن ابني وهو منسوب إليَّ ولكني أرى أجداده الماضين ينازعوني هذا الملك العزيز لدي، فانهم يشوهون

لطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

طهارة نفسه، ويكدرون صفاء روحه بما رسب في أعماقهم من نزعات شريرة مجهولة، انتقلت إليه بالوراثة...».

وقسّموا الوراثة حسب المشابهة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **الوراثة بالتحيّز**: ومعناها أن يشابه الفرع أحد أصليه في كل الصفات أو معظمها كأن يكون الولد مثل أبيه في كثير من صفاته الجسمية والعقلية.

٢ ـ **الوراثة بالائتلاف**: وهي مخالفة الفرع لصفات أصله كما إذا تزوج أوربي بشرقية فإن الابن يخالف أبويه في مظاهرهما الشكلية.

٣ ـ **الوراثة بالاقتران**: وهي أن يكون الفرع مشابهاً لأحد أصليه في صفات، وللثاني في صفات أخرى، كأن يأخذ الولد الذكاء وطول القامة عن أبيه، وسواد الشعر وشكل العينين عن أمه، وأكد ذلك (مندل) فقال: «ان كثيراً من الصفات الوراثية تنتقل بدون تجزئة أو تغيّر من أحد الأصلين أو منهما إلى الفرع».

الثاني: ان الإنسان قد يرث صفات أجداده السابقين، ومميزاتهم الشكلية، يقول الدكتور (الكسيس كارل): «يمتد الزمن مثلما يمتد في الفراغ إلى ما وراء حدود جسمه... وحدوده الزمنية ليست أكثر دقة ولا ثباتاً من حدوده الاتساعية فهو مرتبط بالماضي والمستقبل، على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر...وتأتي فرديتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يدخل الحويمن في البويضة. ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في أنسجة أبوينا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جداً لأنا مصنوعون من مواد آبائنا وأمهاتنا الخلوية. وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لا تتحلل... ونحمل في أنفسنا قطعاً ضئيلة لأعداد من أجسام أسلافنا وما صفاتنا ونقائصنا إلا امتداد لنقائصهم وصفاتهم...».

وهذا الرأي صريح في أن الأبناء والأحفاد يرثون أغلب صفات آبائهم وأجدادهم النفسية والجسمية، وانها تنتقل إليهم بغير إرادة، ولا اختيار.

الوراثة والبيئة

إن الدور الذي تلعبه البيئة في التكوين النفسي لا يزال غامضاً، وهناك اعتقاد سائد يقضي بأن التغيير في البيئة يؤدي إلى التغيير في الوراثة، وقد استطاع العلم بعد أبحاث تجريبية، قام بها علماء الوراثة ـ دامت ثلاثين عاماً أجريت على النبات والحيوان والإنسان ـ أن يقوض هذا الاعتقاد، ويزيفه فقد ثبت أن البيئة ليست إلا عاملاً مساعداً للوراثة، فهي تقرر أن المميزات تظهر، وإلى أي حد يمكن أن تنمو. فالوراثة تقضي بتعيين العوامل الثابتة، والبيئة تعيّن العوامل المتغيرة.

البيئة مهما تغيرت، وتطورت فانها لا تنتج مطلقاً ما يخالف الوراثة فإنها من الأمور الذاتية التي لا يمكن أن تطرأ عليها عوامل التغيير والتبديل[1].

الاسلام وقانون الوراثة

واكتشف الإسلام ظاهرة الوراثة، قبل أن يكتشفها علماء النفس والوراثة، ودلّل على كثير من آثارها ومميزاتها، وان لها دخالة إيجابية في التكوين السليم وعدمه للإنسان، فهي تؤثر أثراً ذاتياً في الشخص منذ بداية تكوينه، فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الشقي شقي في بطن أمه والسعيد سعيد في بطن أمه...»[2].

ومعنى الحديث: ان العوامل الوراثية تمنح الإنسان، وهو في بطن أمه إما السعادة إن توفرت في آبائه الصفات الفاضلة والنزعات الكريمة، أو الشقاء إن كانت طباعهم شريرة...وحتى الصفات العارضة تنتقل بالوراثة إلى الأبناء، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك فيما اقتص من خبر نبيه نوح عليه السلام قال تعالى:

---

(١) مراجع البحث: الإنسان ذلك المجهول: ص ٢٠٣، التربية الحديثة: ص ٢٦٧، النهج الحديث في أصول التربية، من أمالي الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) البحار: ٣ / ٤٣.

﴿ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدون إلا فاجراً كفاراً﴾[1].

لقد كشفت الآية عن انتقال عقائد الكفار إلى أبنائهم، وانهم يرثون صفاتهم الذميمة...وقد أُثر عن الرسول الأعظمﷺ «أن رجلاً من الأنصار أقبل إليه فقال له: يا رسول الله هذه بنت عمي، وأنا فلان، حتى عدّ عشرة من آبائه، وهي ابنة فلان حتى عدّ عشرة آباء لها، وليس في حسبي ولا في حسبها حبشي، وانها وضعت هذا الحبشي، فأطرقﷺ ثم رفع رأسه وقال له: إن لك تسعة وتسعين عرقاً، ولها تسعة وتسعون عرقاً، فإذا اشتملت اضطربت العروق، وسأل الله عزوجلّ كل عرق منها أن يذهب الشبه إليه، قم فإنه ولدك، ولم يأتك إلا من عرق منك أو عرق منها فانصرف الرجل آخذاً بيد امرأته وولده» ... ودلت هذه البادرة على ما تنقله الوراثة من أدق الصفات وأعمقها إلى الأبناء، وقد رتب الإسلام كثيراً من الأحكام على هذه الظاهرة، ونلمع إلى بعضها.

أولاً: لقد حث الإسلام بإصرار على من يريد الحياة الزوجية أن يتعرف على المرأة فيتبصر في أحوالها، ويبحث عن شؤونها، وشؤون أسرتها حذراً من أن يكونوا مصابين ببعض العاهات، أو الأمراض النفسية فتسري إلى أبنائهم...وقد أكد الرسول الأعظمﷺ على ضرورة الفحص عن ذلك، فقد قامﷺ خطيباً بين أصحابه فقال: «أيها الناس إياكم وخضراء الدمن، فانبرى إليه قوم فقالوا له: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء»[2].

وأثر عنه أنه قال: «اختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين»[3]. وقالﷺ: «انكحوا الاكفاء، وانكحوا فيهم، واختاروا لنطفكم»[4] وفي حديث آخر: «تخيّروا لنطفكم فان العرق دساس».

وقد اهتم أئمة أهل البيتعليهم السلام اهتماماً بالغاً في ذلك وأولوا هذه الجهة

---

(١) سورة نوح: آية ٢٦.

(٢) (٣) (٤) وسائل الشيعة: ١٤ / ٢٩.

المزيد من العناية. فقد استشار ابراهيم الكرخي الامام الصادقعليه السلام في الزواج فقالعليه السلام له:

«انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك فان كنت لابد فاعلاً فبكراً تنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق..»[1].

وقالعليه السلام: «إنما المرأة قلادة، فانظر ما تتقلد، وليس للمرأة خطر لا لصالحتهن، ولا لطالحتهن، فأما صالحتهن فليس خطرها الذهب والفضة، هي خير من الذهب والفضة، وأما طالحتهن فليس خطرها التراب، التراب خير منها»[2].

ولصيانة الأسرة من الانحطاط فقد كره الإسلام الزواج من المرأة الحمقاء فقد روى الإمام أبو عبدالله عن جده الإمام أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: «إياكم وتزويج الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع...»[3] وكذلك حذر الإسلام من الزواج بالمرأة المجنونة لئلا ينتشر في المجتمع المصابون بالشذوذ والعاهات، فقد روى محمد بن مسلم عن أبي جعفرعليه السلام قال: «سأله بعض أصحابنا عن الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسناء، أيصلح له أن يتزوجها؟ قال: لا، ولكن إن كانت عنده أمة مجنونة، فلا بأس بأن يطأها ولا يطلب ولدها»[4].

وقد تظافرت الأخبار عن أئمة الهدى وهي تحث المسلمين على أن تكون رابطتهم الزوجية قائمة قبل حدوثها على أساس الاختبار والفحص حذراً من أن تكون المرأة أو أسرتها مصابين ببعض العاهات فيسري ذلك إلى الأبناء مما يؤدي إلى انتشار المنحرفين في سلوكهم بين أفراد المجتمع.

ثانياً: أكد الإسلام على المرأة أن تتعرف على حال الرجل الذي تريد أن يكون شريكاً لها في حياتها حذراً من أن يكون من ذوي العاهات أو مصاباً في

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤ / ١٤.

(٢) معاني الأخبار: ص ٤٧.

(٣) فروع الكافي: ٢ / ١٣.

(٤) تهذيب الأحكام: ٦ / ١.

سلوكه، وتقع مسؤولية الفحص على ولي أمرها، فقد روى الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «النكاح رق، فإذا نكح أحدكم وليدة فقد أرقّها، فلينظر أحدكم لمن يرق كريمته»[1].

وقد حذر الإسلام من تزويج المدمن على شرب الخمر، فقد روى أبو عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «شارب الخمر لا يُزوج إذا خطب»، وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها»[2].

وقد ثبت في الطب الحديث أن تأثير المسكر ينتقل بالوراثة إلى الأبناء، قال الدكتور (برجونوس): اما الخمرة فالإدمان عليها من مسببات العقم، قال: وكتب (رمانيوس دنكان) عن العقم في محاضرته قصة فتاة مدمنة ظلت أعواماً بلا حمل مع أنه لم يكن في جسمها ما يدعو إلى هذه العاهة، ولما عولجت بالامتناع عن الخمر مدة عام حملت، ولا يفرق في ذلك بين الرجل والمرأة، ويعود السبب في ذلك إلى تضعف مركز الصلب، وتنبه مركز المخ، والشخص المتسمم به تنتقل سمومه وعلله إلى ذريته، فهو خطر عليه وعلى ذريته وعلى الأمة والنوع الإنساني بالتالي، وذكر أيضاً أن من يولد من أبوين مدمنين فانه يحمل آثار الضعف البنيوي، ويكون عرضة للإصابة باضطرابات خطيرة قد تنتهي بالعته أو الشلل العام أو العقم، ثم ذكر عن تأثير الوراثة فقال: إن تأثيرها قاتل للجنين والطفل بعد ولاته، حتى أنه قد تلاشت عائلات بأجمعها في عقبين أو ثلاثة أعقاب، وزيادة على ذلك فان ذرية المدمنين قد تصاب بتشوهات مؤلمة كعدم تساوي الجمجمة أو قصر القامة، أو استسقاء الدماغ، أو بتأخير وانحراف في نمو القوى العقلية كضعف الذاكرة أو انحطاط الحالة الصبيانية أو البله أو الهستريا، وغير ذلك من العلل النفسية، وقد حرّم هذا النطاسي وغير من أئمة الطب تزويج المدمن نظراً لهذه

(١) وسائل الشيعة: ١٤ / ٥٢.

(٢) فروع الكافي: ٢ / ١١.

الأخطار الفظيعة المترتبة على زواجه[1]، اما المرأة المدمنة على شرب المخدرات فان الكحول تنتقل منها إلى دم الجنين عن طريق المشيمة داخل الرحم، كما ثبت انتقال الكحول إلى الطفل عن طريق الرضاعة[2].

ويقول علماء النفس: إن المدمن على شرب الخمر مصاب بسوء التكيف النفسي وانه ضعيف الشخصية، وأوصوا المرأة باختباره قبل أن تقدم على الاقتران به خوفاً من أن يكون مصاباً بهذا الداء لئلا تقع فريسة للكوارث والخطوب... وتخطئ الفتاة إلى حد بعيد انها لو تصورت أن في استطاعتها أن تصلح من شأن هذه العادة بعد الزواج فسوء التكيف يدفعه إلى الإدمان... كما ان المرأة التي تحتسي الخمر تصبح قابلة للفجور وكذلك الحال بالنسبة إلى الرجال، فالإدمان على تعاطي المشروبات الروحية، تدفع الزوج والزوجة إلى تحطيم القيود المانعة، وتخدير الضمائر، وبذلك يصبح من السهولة نسيان عهد الزواج وقيوده وتتحطم بذلك الحياة الزوجية وتنحل قواعد الأسرة.

لقد اكتشف الإسلام هذه البادرة الخطيرة قبل أن يكتشفها العلم الحديث فمنع من زواج شارب الخمر وقاية للنسل من أن يصاب بمثل هذه العاهات.

وكره الإسلام أيضاً أن تتزوج المرأة بشخص سيء الخلق لئلا يسري ذلك إلى ابنائها منه، فقد روى بشّار الواسطي قال: «كتبت إلى أبي الحسن الرضاعليه السلام: ان لي قرابة قد خطب إلى وفي خلقه سوء، قالعليه السلام: لا تزوجه إن كان سيء الخلق»[3].

إلى غير ذلك من الأخبار التي تحث المرأة على التعرف على واقع الزوج خوفاً من أن تنجب منه ابناءً غير صالحين فيما إذا كان غير صالح في نفسه وأسرته.

---

(١) العمل وحقوق العامل في الإسلام ـ الطبعة الثانية: ص ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) أسس الصحة والحياة.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١٣١.

ثالثاً: نظراً لاهتمام الإسلام بقانون الوراثة، فقد جعل لكل من الزوجين الخيار في فسخ عقد الزواج فيما إذا ظهر أحدهما مصاباً بشذوذ فكري أو بعاهة جسمية من العيوب التي نص عليها الفقهاء فان للطرف الآخر الحق في فسخ العقد، والتخلي عنه، فقد قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «إنما يرد النكاح من البرص والجذام والجنون والعفل»[١] وهو شامل لكل من الزوجين.

وإنما جعل الإسلام الخيار في فسخ العقد من إحدى هذه الأمراض صيانة للمجتمع الإسلامي من أن تنشأ فيه ناشئة ملوثة بهذه الأمراض المؤدية إلى تأخير المسلمين وضعف كيانهم الاجتماعي... كما ان القواعد الفقهية تقر الوسائل الحديثة التي أوصت بها منظمات الصحة العالمية من فحص دم الرجل والمرأة قبل اقترانهما حذراً من أن يكون أحدهما مصاباً ببعض الأمراض الجنسية كالسيلان الذي يسبب في كثير من الأحيان عمى الطفل حين ولادته[٢] أو السفلس، وغيرهما من الأمراض الزهرية الناشئة من الفوضى الجنسية، فإن كوارثها تنتقل بالوراثة إلى الأبناء فتسبب إصابتهم بمختلف الأمراض البدنية والعقلية كما تؤدي في نفس الوقت إلى إصابة الطرف الآخر، وشقائه، ومعاناته لأهم المشاكل النفسية، وحرمانه من الحياة السعيدة.

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤ / ٥٩٤.

(٢) أسس الصحة والحياة: ص ٣٢٦.

الأســرة

إن الأسرة[١] إحدى العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي وإيجاد عملية التطبيع الاجتماعي، وتشكيل شخصية الطفل، وإكسابه العادات التي تبقى ملازمة له طول حياته، فهي البذرة الأولى في تكوين النمو الفردي.وبناء الشخصية، فإن الطفل في أغلب أحواله مقلد لأبويه في عاداتهم وسلوكهم فهي أوضح قصداً، وأدق تنظيماً، وأكثر إحكاماً من سائر العوامل التربوية، ونعرض فيما يلي لأهميتها، وبعض وظائفها، وواجباتها وعمّا أثر عن الإسلام فيها، كما نعرض لما منيت به الأسرة في هذه العصور من الانحراف وعدم القيام بمسؤولياتها.

أهمية الأسرة

وليس من شك في أن الأسرة لها الأثر الذاتي والتكوين النفسي في تقويم السلوك الفردي، وبعث الحياة، والطمأنينة في نفس الطفل، فمنها يتعلم اللغة ويكتسب بعض القيم، والاتجاهات، وقد ساهمت الأسرة بطريق مباشر في بناء الحضارة الإنسانية، وإقامة العلاقات التعاونية بين الناس، ولها يرجع الفضل في تعلم الإنسان لأصول الاجتماع، وقواعد الآداب والأخلاق، كما أنها السبب في حفظ كثير من الحرف والصناعات التي توارثها الأبناء عن آبائهم...ومن الغريب أن الجمهورية التي نادى بها أفلاطون، والتي تمجد الدولة، وتضعها في المنزلة الأولى، قد تنكرت للأسرة، وأدت إلى الاعتقاد بأنها عقبة في سبيل الإخلاص والولاء

---

(١) الأسرة: في علم الاجتماع رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما. وتشمل الجدود والأحفاد، وبعض الأقارب على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة. جاء ذلك في (علم الاجتماع: ص ٩٢) ويرى البعض ان الزواج الذي لا تصحبه ذرية لا يكون أسرة. جاء ذلك في الأسرة والمجتمع(ص: ١٥ ـ ١٦).

للدولة، فليس المنزل مع ما له من القيمة العظمى لدينا سوى لعنة وشر في نظر أفلاطون، وإذا كان من بين أمثالنا أن بيت الرجل هو حصنه الأمين فإن إفلاطون ينادي اهدموا هذه الجدران القائمة فإنها لا تحتضن إلا إحساساً محدوداً بالحياة المنزلية[1].

واجبات الأسرة

إن الأسرة مسؤولة عن نشأة أطفالها نشأة سليمة متسمة بالإتزان، والبعد عن الانحراف، وعليها واجبات، ملزمة برعايتها، وهي:

أولاً: أن تشيع في البيت الاستقرار، والود والطمأنينة، وأن تبعد عنه جميع ألوان العنف والكراهية، والبغض، فإن أغلب الأطفال المنحرفين، والذين تعودوا على الإجرام في كبرهم، كان ناشئاً ذلك على الأكثر من عدم الاستقرار العائلي الذي منيت به الأسرة، يقول بعض المربين: ونحن لو عدنا إلى مجتمعنا الذي نعيش فيه فزرنا السجون، ودور البغاء ومستشفيات الأمراض العقلية، ثم دخلنا المدارس، وأحصينا الراسبين من الطلاب والمشاكسين منهم والمتطرفين في السياسة، والذاهبين بها إلى أبعد الحدود، ثم درسنا من نعرفهم من هؤلاء لوجدنا أن معظمهم حرموا من الاستقرار العائلي، ولم يجد معظمهم بيتاً هادئاً فيه أب يحدب عليهم، وأم تدرك معنى الشفقة، فلا تفرط في الدلال، ولا تفرط في القسوة، وفساد البيت أوجد هذه الحالة من الفوضى الاجتماعية، وأوجد هذا الجيل الجديد الحائر الذي لا يعرف هدفاً، ولا يعرف له مستقراً [2].

إن إشاعة الود والعطف بين الأبناء له أثره البالغ في تكوينهم تكويناً سليماً، فإذا لم يرع الآباء ذلك فإن أطفالهم يصابون بعقد نفسية تسبب لهم كثيراً من

---

(١) آراء إفلاطون وأرسطو في فلسفة الأخلاق والسلوك: ص ١٤٣.

(٢) البيت والمدرسة ص: ٢٧ ـ ٢٨.

المشاكل في حياتهم ولا تثمر وسائل النصح والإرشاد التي يسدونها لأبنائهم ما لم تكن هناك مودة صادقة بين أفراد الأسرة، وقد ثبت في علم النفس أن أشد العقد خطورة، وأكثرها تمهيدا للاضطرابات الشخصية هي التي تكون في مرحلة الطفولة الباكرة خاصة من صلة الطفل بأبويه[1] كما أن تفاهم الأسرة وشيوع المودة فيما بينها مما يساعد على نموه الفكري، وازدهار شخصيته، يقول الدكتور (جلاس ثوم): «ومهما تبلغ مسؤولية الوالدين في إرشاد الطفل، وتدريبه، وتوجيهه من أهمية فإنها لا ينبغي أن تطغى على موقف أساسي آخر ينبغي أن يتخذوه ذلك هو أن يخلقوا من البيت جواً من المحبة تسوده الرعاية، ويشيع فيه العطف والعدالة، فإذا عجز الآباء عن خلق هذا الجو الذي يضيء فيه سنن التكوين التي تقيم حياته، حرموه بذلك من عنصر لا يمكن تعويضه على أي وجه من الوجوه فيما بعد، فمع أن للدين والمجتمع والمدرسة أثرها في تدريب الطفل وتهذيبه إلا أن أحدا منها لا يعنى بتلك العواطف الرقيقة الرائعة التي لا يمكن أن تقوم إلا في الدار، ولا ينتشر عبيرها إلا بين أحضان الأسرة»[2].

إن السعادة العائلية تبعث الطمأنينة في نفس الطفل، وتساعده على تحمل المشاق، وصعوبات الحياة، يقول (سلامة موسى): «إن السعادة العائلية للأطفال تبعث الطمأنينة، في نفوسهم بعد ذلك حتى إذا مات أبوهم بقيت هذه الطمأنينة، وقد وجد عند إجلاء الأطفال من لندن مدة الغارات في الحروب الأخيرة أن الذين سعدوا منهم بوسط عائلي حسن تحملوا الغربة أكثر مما تحمّلها الذين لم يسعدوا بمثل هذا الوسط، ذلك لأن الوسط العائلي الحسن بعث الطمأنينة في الأطفال، فواجهوا الغربة مطمئنين، ولكن الوسط العائلي القلق الذي نشأوا فيه يزداد بالغربة. وإذا أعطينا الطفل ـ مدة طفولته في العائلة ـ

(١) الأمراض النفسية والعقلية: ص ب.

(٢) مشكلات الأطفال اليومية: ص ٤٨.

الحب والطمأنينة أعطى هو مثل ذلك»[1].

ثانياً: ان تشرف الأسرة على تربية أطفالها، وقد نص علماء الاجتماع على ضرورة ذلك وأكدوا أن الأسرة مسؤولة عن عمليات التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة، وقواعدها في صورة تؤهله فيما بعد لمزيد من الاكتساب، وتمكّنه من المشاركة التفاعلية مع غيره من أعضاء المجتمع[2]، كما أكد علماء التربية على أهمية تعاهد الآباء لأبنائهم بالعطف والحنان، والحدب عليهم، والرأفة بهم حفظاً وصيانة لهم من الكآبة والقلق، وقد ذكرت مؤسسة اليونسكو في هيئة الأمم المتحدة تقريراً مهماً عن المؤثرات التي تحدث للطفل من حرمانه من عطف أبيه، وقد جاء فيه:

«إن حرمان الطفل من أبيه ـ وقتياً كان أم دائمياً ـ يثير فيه كآبة وقلقاً مقرونين بشعور الإثم والصغينة، ومزاجاً عاتياً متمرداً، وخوراً في النفس، وفقداناً لحس العطف العائلي، فالأطفال المنكوبون بحرمانهم من آبائهم ينزعون إلى البحث في عالم الخيال عن شيء يستعيضون به عما فقدوه في عالم الحقيقة، وكثيراً ما يكوّنون في مخيلتهم صورة الأب مغواراً أو الأم من الحور...وقد لحوظ في (معاهد الأطفال) أنه إذا كانت صحة الطفل البدنية، ونموه العضلي، وضبط دوافعه الإرادية تتفتح، وتزدهر بصورة متناسقة في تلك المعاهد، فإن انفصاله عن والديه قد يؤدي من جهة أخرى إلى ظهور بعض المعايب كصعوبة النطق، وتمكن العادات السيئة منه وصعوبة نمو حسه العاطفي»[3].

إن أفضل طريق لحفظ الأبناء مصاحبتهم، ورقابتهم، ويرى المربون المحدثون «أن أفضل ميراث يتركه الأب لأطفاله هو بضع دقائق من وقته كل

---

(١) عقلي وعقلك.

(٢) علم الاجتماع: ص ٤٨٧.

(٣) أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث الذين هم دون الثالثة عشر: ص ٣٧.

يوم»[1]، ويرى بعض علماء الاجتماع والباحثون في إجرام الأحداث «أن أفضل السبل للقضاء على انحراف الأحداث هو أن نلقط الآباء من الشوارع ليلاً»[2].

وإذا قام الأب بواجبه من مراقبة أبنائه، ومصاحبتهم فإنه من دون شك يجد ابنه صورة جديدة منه فيها كل خصائصه، ومميزاته، وانطباعاته، وعلى الآباء أن يتركوا مجالس اللهو ويعكفوا على مراقبة أبنائهم حتى لا يدب فيهم التسيب، والانحلال يقول شوقي:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هـمّ الحـياة وخـلّفاه ذليـلا
إن اليـتيم هـو الذي تـلقى له أمـاً تـخلت أو أبـاً مشـغولا

ثالثاً: يرى بعض المربين أن من واجبات الآباء والأمهات تجاه أطفالهم هو تطبيق ما يلي:

١ ـ ينبغي أن يتفق الأب والأم على معاير السلوك، وأن يؤيد كل منهما الآخر فيما يتخذاه من قرارات نحو أولادهما.

٢ ـ ينبغي أن يكون وجود الطفل مع الأب بعد عودته من عمله جزءً من نظام حياته اليومي، فحتى صغار الأطفال يكونون في حاجة إلى الشعور بالانتماء، وهم يكسبون هذا الشعور من مساهمتهم في حياة الأسرة.

٣ ـ ينبغي أن يعلم الأطفال أن الأب يحتاج إلى بعض الوقت ليخلو منه إلى نفسه بعض الوقت كي يقرأ أو يستريح، أو يمارس هوايته.

٤ ـ تحتاج البنت إلى أب يجعلها تشعر بأنوثتها، وأنها من الخير أن تكون امرأة تتمتع بالفضيلة والعفاف والاستقامة.

٥ ـ يحتاج الولد إلى أب ذي رجولة وقوة على أن يكون في الوقت نفسه عطوفاً، حسن الإدراك، فالأب المسرف في الصلابة والتزمت قد يدفع ابنه إلى

(١) مجلة المختار عدد ابريل لسنة ١٩٥٦ تحت عنوان أقوال مأثورة.

(٢) مجلة الهلال عدد مايو لسنة ١٩٥٧ ص ١٨.

الإرتماء في أحضان أمه ناشدأ الحماية وإلى تقليد أساليبها النسائية[1].

هذه بعض الأمور التي يجب رعايتها، والاهتمام بها فإن وفق الآباء إلى القيام بها تحققت التربية الصالحة التي تنتج أطفالا يكونون في مستقبلهم ذخيرة للأمة وعزاً لآبائهم.

إن للطفل خصائصه الذاتية من الصفاء والبراءة، وسلامة العاطفة وبساطة الفكر فعلى الأبوين ان يفتحا عينيه على الفضائل وأن يغرسا في نفسه النزعات الخيّرة ليكون لهما قرة عين في حياتهما.

وظائف الأسرة

وللأسرة وظائف حيوية مسؤولة عن رعايتها، والقيام بها، وهذه بعضها:

١ ـ إنها تنتج الأطفال، وتمدهم بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، وليست وظيفة الأسرة مقتصرة على إنتاج الأطفال فإن الاقتصار عليها يمحو الفوارق الطبيعية بين الإنسان والحيوان.

٢ ـ انها تعدّهم للمشاركة في حياة المجتمع، والتعرف على قيمه وعاداته.

٣ ـ إنها تمدهم بالوسائل التي تهيء لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع.

٤ ـ مسؤوليتها عن توفير الاستقرار والأمن والحماية والحنوّ على الأطفال مدة طفولتهم، فإنها أقدر الهيئات في المجتمع على القيام بذلك لأنها تتلقى الطفل في حال صغره[2]، ولا تستطيع أية مؤسسة عامة أن تسد مسد الأسرة في هذه الشؤون.

٥ ـ على الأسرة يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة...ففي الأمم التي تحارب مدارسها الرسمية

---

(١) كيف تكون أباً ناجحاً: ص ٣٩، و٦٧، ٨٥.

(٢) المجتمع الإنساني: ص ٥٩ ـ ٦٠.

الدين بطريق مباشر أو غير مباشر كالشيوعية، وفي الأمم التي تسير معاهدها الدراسية على نظام الحياد في شؤون الدين والأخلاق كفرنسا وغيرها يقع عبء التعليم الديني على الأسرة...فبفضل الحياة في الأسرة تتكون لدى الفرد الروح الدينية وسائر العواطف الأسرية التي تؤهله للحياة في المجتمع والبيت[١].

إن فترة الطفولة تحتاج إلى مزيد من العناية والإمداد بجميع الوسائل التي تؤدي إلى نموه الجسمي والنفسي، وإن من أوهى الآراء القول بأن الوظيفة الوحيدة للأسرة إمدادها للأبناء بالمال اللازم لهم، فإن هذا القول قد تجاهل العوامل النفسية المختلفة التي لابد منها لتكوين الفرد الإنساني كالحنان والعطف، والأمن والطمأنينة فإنها لازمة لنمو الطفل النفسي، ويجب أن تتوفر له قبل كل شيء[٢].

لقد أكد علماء النفس والتربية أن للأسرة أكبر الأثر في تشكيل شخصية الطفل، وتتضح أهميتها إذا ما تذكرنا المبدأ البيولوجي الذي ينص على ازدياد القابلية للتشكيل أو ازدياد المطاوعة كلما كان الكائن صغيراً. بل يمكن تعميم هذا المبدأ على القدرات السيكولوجية في المستويات المتطورة المختلفة.

إن ما يواجهه الطفل من مؤثرات في سنّه المبكر يستند إلى الأسرة فإنها العامل الرئيسي لحياته، والمصدر الأول لخبراته، كما انها المظهر الأصيل لاستقراره، وعلى هذا فاستقرار شخصية الطفل وارتقائه يعتمد كل الاعتماد على ما يسود الأسرة من علاقات مختلفة كماً ونوعاً...ان من اكتشافات علم التحليل أن قيم الأولاد الدينية والخلقية إنما تنمو في محيط العائلة[٣].

هذه بعض الوظائف المهمة التي تقوم بها الأسرة في ميادينها التربوية.

---

(١) الأسرة والمجتمع: ص ٢٠ ـ ٢١.

(٢) الأسرة التربوية الاجتماعية: ص ٦٩ ـ ٧١.

(٣) كيف تساعد أبناءك في المدرسة: ص ١٩٣.

الأسرة في الاسلام

وأقام الإسلام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وتتفق مع حاجات الناس وسلوكهم، واعتبر الغريزة العائلية من الغرائز الذاتية التي منحها الله للإنسان قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[1] فهذه الظاهرة التي فطر عليها الإنسان منذ بدء تكوينه من آيات الله ومن نعمه الكبرى على عباده.

وشيء آخر جدير بالاهتمام هو أن الإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة وطيبة تتوفر فيها عناصر القيادة الرشيدة، قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين: ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً**﴾[2]، وأهم قاعدة من قواعد التربية أن توجد عملياتها التربوية القدوة الحسنة، والمثل الأعلى للخير والصلاح.

وقد ألمعنا في بحوث الوراثة إلى اهتمام الإسلام البالغ على أن تقوم الرابطة الزوجية على الاختبار والفحص حذراً من أن يكون أحد الزوجين مصاباً ببعض العاهات فتسري إلى أبنائهم فينشأ في المجتمع أفراد مشوهون في سلوكهم واتجاهاتهم، كما جعل الإسلام لأب الفتاة ولاية عليها، وشرك بينهما في اختيار الزوج الصالح لها حذراً من أن تختار بمفردها زوجاً من ذوي العاهات فتجر لنفسها الويلات والشقاء، وتبتلي منه بذرية طالحة تشقى ويشقى بهم المجتمع، ومن الطبيعي أنها لا تحسن اختيار الزوج الصالح لها فإنها لا تعلم من الحياة إلا قشورها، وهي تحكم على خطيبها بما يبديه لها من حديث مصطنع ووعود خلابة، وما ينمقه لها من رسائل الغرام، أو ما يتمتع به من حسن الصورة والتجميل والتزيين بالأزياء المغرية وهي ـ بصورة جازمة ـ لم تطّلع على مكر الحياة وخبث

---

(١) سورة الروم: آية ٢٠.

(٢) سورة الفرقان: آية ٧٤.

الفاسقين، وكيد العاشقين، ولم تعرف كذب الوعود، ورياء العهود، ولم تفقه أن الزواج السعيد الذي يحقق أحلامها وآمالها إنما يكون إذا اقترنت برجل شريف النفس كريم الخلق، صادق الإيمان حتى يعنى بشؤونها وحقوقها، وتنجب منه الذرية الطيبة التي تكون قرة عين لها في حال كبرها وشيخوختها...وهذا هو ما يريده الإسلام لها.

وعلى أي حال فإن نظام الأسرة الذي سنّه الإسلام يقوم على أساس من الوعي والعمق لما تسعد به الأسرة، ويؤدي إلى تماسكها وترابطها من الناحية الفيزيولوجية، والنفسية، والاجتماعية، بحيث ينعم كل فرد منها، ويجد في ظلالها الرأفة والحنان والدعة والاستقرار.

إن الإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية ـ التي هي النواة الأولى للأسرة ـ على المحبة، والتفاهم والانسجام، وهو الزواج المثالي الذي عناه (هاميلوك اليس) بقوله: «لا يقوم الزواج المثالي حقاً على توافق الشهوة فقط، وإنما يقوم على اتحاد غير شهواني، أساسه مودة عميقة تتوثق على مر الأيام وتشمل شتى نواحي الحياة، وهو اتفاق الأذواق، والمشاعر والميول، وهو اتفاق على الحياة المشتركة، بما قد تستلزمه من أعباء الأبوة»[1].

وهذا هو ما ينشده الإسلام في الرابطة الجنسية أن تكون مثالية، وتقوم على أساس وثيق من الحب والتفاهم حتى تؤدي العمليات التربوية الناجحة أثرها في تكوين المجتمع السليم.

لقد شرع الإسلام جميع المناهج الحية الهادفة إلى إصلاح الأسرة ونموّها وازدهار حياتها، فعني بالبيت عناية خاصة، وشرع آداباً مشتركة بين أعضاء الأسرة، وجعل لكل واحد منها واجبات خاصة تجاه أفراد أسرته، وهي مما تدعو إلى الترابط، بالإضافة إلى أن لها دخالة إيجابية في التكوين التربوي... ولابد لنا من عرض ذلك، على سبيل الإيجاز.

---

(١) التربية الجنسية: ص ٢٨.

أهمية البيت

وللبيت أهميته البالغة في التربية، فمن طريقه تحقق البيئة الاجتماعية آثارها التربوية في الأطفال، فبفضله تنتقل إليهم تقاليد أمتهم، ونظمها، وعرفها الخلقي، وعقائدها وآدابها وفضائلها، وتأريخها، وكثير مما أحرزته من تراث في مختلف الشؤون، فإن وفق المنزل في أداء هذه الرسالة الجليلة حققت البيئة الاجتماعية آثارها البليغة في التربية، وإن فسد المنزل، فإن الطفل حتما يفسد، ولا تكون له أية شخصية.

إن المنزل يقوم بأكثر من دور في حياة الطفل، فهو المنبع الطبيعي للعطف والحنان، فمنه يستمد حياته المطمئنة الهادئة[1] ...وقد عني الإسلام به عناية خاصة فأمر بأن تسود فيه المحبة والمودة، وترك الكلفة، واجتناب هجر القول ومره، فإن لذلك أثراً عميقاً في تكيف الطفل، وإذا لم يوفق البيت لأداء مهمته، فإن الطفل يصاب بانحرافات خطيرة، منها القضاء على شعوره بالأمن، وتحطيم ثقته بنفسه، وغير ذلك مما نص عليه علماء النفس.

---

(١) عوامل التربية: ص ٩٠، التعليم: ص ٨٧، الأسرة والمجتمع: ص ١٩.

المناهج المشتركة

وجعل الإسلام مناهجاً مشتركة بين جميع أعضاء الأسرة، ودعاهم إلى تطبيقها على واقع حياتهم حتى تخيّم عليهم السعادة، ويعيشون جميعاً في نعيم وارف وهي:

١ ـ الحبّ والمودة:

ودعا الإسلام إلى سيادة الحب والمودة والتآلف بين أفراد الأسرة وأن يجتنبوا عن كل ما يعكر صفو الحياة والعيش، وتقع المسؤولية بالدرجة الأولى على المرأة فإنها باستطاعتها أن تحوّل البيت إلى روضة أو جحيم، فإذا قامت بواجبها، ورعت ما عليها من الآداب كانت الفئة المؤمنة فقد أُثر عن رسول الله ﷺ أن شخصاً جاءه فقال له: «ان لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت ما يهمك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله هماً فانبرى ﷺ يبدي إعجابه وإكباره بها وقال: بشّرها بالجنة، وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله»[1].

وإذا التزمت المرأة برعاية زوجها، وأدّت حقوقه وواجباته شاعت المودة بينهما وتكوّن رباط من الحب العميق بين أفراد الأسرة الأمر الذي يؤدي إلى التكوين السليم للتربية الناجحة.

---

(١) مكارم الأخلاق: ١ / ٢٢٩.

٢ـ التعاون:

وحث الإسلام على التعاون فيما بينهما على شؤون الحياة، وتدبير أمور البيت وأن يعيشوا جميعاً في جوّ متبادل من الود والتعاون، والمسؤولية تقع في ذلك على زعيم الأسرة وهو الزوج، فقد طلب الإسلام منه أن يقوم برعاية زوجته ويشترك معها في شؤون منزله، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يتولى خدمة البيت مع نسائه، وقال: «خدمتك زوجتك صدقة» وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشارك الصدّيقة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في تدبير شؤون المنزل ويتعاون معها في إدارته، ومن الطبيعي أن ذلك يخلق في نفوس الأبناء روحاً من العواطف النبيلة التي هي من أهم العناصر الذاتية في التربية السليمة.

٣ـ الاحترام المتبادل:

وحث الإسلام على تبادل الاحترام، ومراعاة الآداب بين أعضاء الأسرة فعلى الكبير أن يعطف على الصغير، وعلى الصغير أن يقوم بإجلال الكبير وتوقيره، فقد أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في جملة وصاياه العامة: «فليعطف كبيركم على صغيركم، وليوقّر صغيركم كبيركم...» إن مراعاة هذه الآداب تخلق في داخل البيت جواً من الفضيلة والقيم الكريمة، وهي توجب تنمية السلوك الكامل في نفس الطفل، وتبعثه إلى الانطلاق في ميادين التعاون مع أسرته ومجتمعه، وقد ثبت في علم التحليل النفسي بأن قيم الأولاد الدينية والخلقية إنما تنمو في محيط العائلة[1].

---

(١) كيف تساعد أبناءك في المدرسة: ص ١٩٣.

اضطراب الأسرة

وإذا منيت الأسرة بعدم الانسجام والاضطراب فإن أفرادها يصابون بآلام نفسية، واضطرابات عصبية، وخصوصاً الأطفال فإنهم يمنون بفقدان السلوك والانحراف، وقد أظهرت الدارسات والبحوث التربوية الحديثة أن من أهم الأسباب التي تؤدي إلى انحراف الأحداث هو اضطراب الأسرة وعدم استقرارها فتنشأ منه الأزمات التي تؤدي إلى انحرافهم[1]، لذا من اللازم الحفاظ على استقرار الأسرة، وإبعادها عن جميع عوامل القلق والاضطراب حفاظاً على الأحداث، وصيانة لهم من الشذوذ والانحراف.

مسؤوليات الأب

والأب ليس مسؤولا عن الحياة الاقتصادية وتوفيرها لأبنائه فحسب وإنما هو مسؤول عن تربيتهم، وتهذيبهم، وآدابهم، وتوجيههم الوجهة الصالحة، وأن يعوّدهم على العادات الطيبة، ويحذّرهم من العادات السيئة. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق ولدك، فتعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك، وفي نفسه، فمثاب على ذلك، ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه...»[2].

وكان هذا الإمام العظيم يدعو لولده بهذا الدعاء: «واجعلهم أبراراً أتقياءً بصراءً سامعين مطيعين لك. ولأوليائك محبين ناصحين، ولجميع أعدائك

(١) المذنبون الصغار.

(٢) تحف العقول: ص ٢٦٣.

معاندين، ومبغضين...»[1].

إن الأب مسؤول عن تربية أبنائه تربية صالحة ليكونوا قرة عين له في مستقبله، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يعنون بهذه الجهة ويولونها المزيد من الاهتمام، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المربي الأول في الإسلام إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام: «وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي...».

إن الولد ليس بعضاً من الأب بل هو نفسه يحكي وجوده وكيانه فعليه أن يهتم بشؤونه التربوية، وان يعنى في تهذيبه، وكماله ليكون فخراً وزيناً له، أما إذا أهمل تربيته، ولم يعن بشؤونه يغدو نقمة ووبالا عليه...ونعرض فيما يلي إلى بعض مسؤوليات الأب:

١ ـ العناية بالأبناء:

على الأب أن يعنى أشد العناية بأبنائه، وأن يوليهم المزيد من اهتمامه ويغدق عليهم العطف والحنان، ويقوم بتكريمهم أمام الغير فإن لذلك أثره الفعال في بناء كيانهم التربوي، وازدهار شخصيتهم ونموهم الفكري وعلى هذا الأساس الخلاّق كان النبي صلى الله عليه وآله يرعى سبطيه وريحانتيه الحسن والحسين، فكان يحملهما ويقول: «هذان ريحانتيَ من الدنيا، من أحبني فليحبهما...»[2] وكان يقول لبضعته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام: «أدعي ابنيّ، فتأتي بهما إليه فيشمهما ويضمهما إليه»[3] وروي أن الأقرع بن حابس لما رأى شدة إقبال النبي صلى الله عليه وآله على حفيديه قال له: «إن لي عشرة من الأولاد، ما قبلت واحداً منهم ... فغاظ النبي ذلك

(١) الصحيفة السجادية.

(٢) حياة الإمام الحسن: ١ / ٨٣.

(٣) حياة الإمام الحسن.

وقال له: ما علي إن نزع الله الرحمة منك»[1].

لقد سكب النبي صلى الله عليه وآله في نفس ولديه الحسن والحسين عليهما السلام مثله وهديه، وأفاض عليهما نزعاته الرحيمة حتى صارا بحكم تربيته من أروع أمثلة التكامل... وقد حفلت سيرتهما الندية بكل مظاهر العظمة والخلود وكل ما تعتز به الإنسانية في جميع أدوار تأريخها، سمواً في الخلق، وسمواً في الذات، وانطلاقاً في ميادين الحق والخير، إن عناية الآباء بأبنائهم وإغداق اللطف والحنان عليهم من أهم المقومات للكيان التربوي الذي تزدهر به شخصية الطفل، ويكون بمنجى من العقد النفسية التي هي من أخطر الأمراض التي يصاب بها الإنسان... لقد أثبتت البحوث التربوية الحديثة ان المواطنين الصالحين، ورجال العلم الطيبين إنما يأتون من الأسر التي تعنى بالأطفال، وترغب فيهم[2] وقد أكد علماء النفس هذه الظاهرة. كما ذكروا ان الأبناء المنبوذين من أسرهم يبدون سلوكاً عدوانياً، ويكونون سلبيين، مشاكسين، متمردين، وكثيراً ما يبرعون في ابتكار الحيل التي تضايق الكبار، كما يظهرون الميل إلى السلوك الإجرامي[3] أما مظاهر النبذ فهي:

١ ـ القسوة في معاملة الطفل وأخذه بالشدة المسرفة.

٢ ـ استعمال العقاب البدني القاسي.

٣ ـ نقد الطفل نقداً مستمراً، وكشف معايبه له، وخاصة أمام الغير.

٤ ـ الإسراف في إهماله واتهامه.

٥ ـ عدم ذكره بخير.

٦ ـ الغض من شأنه بالقياس إلى اخوته.

٧ ـ إبداء الدهشة والاستغراب إذا ذكره بعض الناس بخير[4].

---

(١) مكارم الأخلاق: ١ / ٢٥٢.

(٢) التربية والطفل وسيكولوجيا الطفل: ص ٣٠٥.

(٣) علم النفس التربوي: ٣ / ١٠٠.

(٤) علم النفس التربوي: ٣ / ١٠١ ـ ١٠٢.

فيجب على الآباء أن يبتعدوا في معاملة أبنائهم عن هذه الطرق الملتوية حفاظاً على سلوكهم، ووقاية لهم من الشذوذ والانحراف.

٢ ـ المساواة بينهم:

وينبغي للأب أن يغمر جميع أولاده بالحب ويساوي بينهم بالحنان، والعطف والرعاية، فان اختصاص بعضهم بذلك، وحرمان الباقين منه مما يؤدي إلى العقد النفسية، والغيرة والحفيظة، ونشوب الثورات الانفعالية في نفوسهم، كما تجعلهم عرضة للإصابة بأمراض عصبية خطيرة.

وحكى القرآن الكريم قصة يوسف حينما آثره أبوه يعقوب، وميّزه على بقية أبنائه فأجمع رأيهم على الكيد له، فألقوه في غيابة الجب، وجاءوا أباهم عشاءً يبكون فحزن عليه يعقوب حتى ابيضت عيناه فهو من الحزن كظيم، وهذه المحنة الكبرى التي دهمته كانت نتيجة الأثرة، وتقديمه ليوسف على اخوته، وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «اعدلوا بين أولادكم في السر، كما تحبون أن يعدل بينكم في البر واللطف» ونظر صلى الله عليه وآله إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فنهره صلى الله عليه وآله وقال له: «هلا ساويت بينهما»[1].

إن المساواة بين الأبناء عنصر من عناصر التربية الإسلامية، فليس للأب أن يميّز بعض أبنائه على بعض، كما أنه ليس من الإسلام في شيء أن يخص أبناءه بعطفه وإحسانه، ويحرم بناته من ذلك، أو يخص بعض أبنائه بشيء من أمواله ويحرم الباقين فان ذلك يؤدي إلى نشوب العداء والكراهية فيما بينهم، بالإضافة إلى أنه يسبب تأخراً في كيانهم التربوي، كما يؤدي إلى اضطرابهم النفسي، وعدم تفاعلهم مع بقية أفراد المجتمع.

والظاهرة الغريبة، في الطفل الذي يفقد العطف الأبوي أنه يحمل في نفسه

---

(١) مكارم الأخلاق: ١ / ٢٥٢.

عقداً نفسية وضغينة على المجتمع، وقساوة في الخلق، وأنه يصاب بما يلي.

١ ـ الكذب.

٢ ـ السرقة.

٣ ـ القسوة.

٤ ـ الشرور.

٥ ـ الهجوم على الغير.

يقول (ولا لبري): إن الكره الأبوي للطفل يستطيع دائماً أن يعوق الطفل عن التكيف في الحياة، وذلك بالقضاء على شعوره بالأمن، وتحطيم ثقته بنفسه، وقد أثبتت البحوث النفسية الحديثة أن من أهم أسباب القلق يرجع إلى انعدام الدفء العاطفي في الأسرة، وشعور الطفل بأنه شخص منبوذ محروم من الحب والعطف والحنان، وانه مخلوق ضعيف يعيش وسط عالم عدواني، كما أن عدم العدالة بين الإخوة توقظ مشاعر القلق في نفسه وتقتل فيه روح البصيرة التي تعينه على أن يشق طريقه في يسر وطمأنينة، والرجل القلق دوماً يحس بالهلاك والعذاب النفسي أينما وجد[١].

على الآباء أن يعدلوا بين أبنائهم، ويجنبوهم هذا الداء الخطير الذي ينخر في كيانهم النفسي.

٣ ـ إشاعة الود:

على الأب أن يغمر بيته بالود والعطف، ويشيع بين أهله الحب والحنان، وان يقابل خصوص زوجته بالإحسان، ويوفر لها جميع ما تحتاج إليه فان ذلك ـ أولاً ـ من حقوقها الطبيعية التي فرضها الله لها ـ وثانياً ـ أنه يبعث على التربية الصحيحة للطفل وازدهار شخصيته، لأنه يعيش في جو من الحب والدعة

---

(١) التكيف النفسي: ص ٢١ ـ ٢٢.

والاستقرار... وحث الإسلام على مراعاة الزوجة، يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» وقال صلى الله عليه وآله: «عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد إلى الله عزوجل أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه...».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن الله عزوجل قد ملّكه ناصيتها، وجعله القيم عليها...».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الله في الضعيفين - يعني المرأة والمملوك..».

كما أن على الأب أن لا يتطاول على أهله، وان لا يظلمهم، فقد أُثر عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: «خير الرجال من أُمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم، ويحنون عليهم، ولا يظلمونهم، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض...**﴾[1].

إن طبيعة الأب، ومعاملته لأسرته تترك أعمق الأثر في تكيف الطفل فان كانت معاملته حسنة ازدهرت شخصية الطفل، وإن كانت سيئة تركت في سلوكه أسوء الأثر، وأوقفت نموه الفكري.

٤ ـ اجتناب فحش القول:

والأب باعتباره عميد الأسرة فهو مسؤول عن إقامة الكيان التربوي فيها، وعليه أن يجتنب فحش القول، وبذاءة الكلام، وكل ما يخل بالآداب العامة، وان يقيم في بيته العفة والطهارة، ويجنب أهله المنكر وسيء القول فان كلامه وسيرته تنفذ إلى أعماق قلوب أبنائه، وتنطبع فيها سيرته وأخلاقه.

إن الطفل لا ينشأ نشأة سليمة، وهو يشاهد أبويه يفعلان المنكر، ويقترفان الإثم، وان الأب الذي يكذب ويطلب من طفله أن يكون صادقاً فبانه لا ينصاع

---

(١) مكارم الأخلاق: ١ / ٢٤٨.

لقوله، وإنما يتبع عمله وسيرته...على الأب إذا أراد أبناءه أن يكونوا قرة عين له في مستقبله فعليه أن يطبق على واقع حياته الصفات الكريمة وان يسير سيرة طيبة ليكون قدوة حسنة لأهله وغيرهم.

٥ ـ مراقبة سلوك الأبناء:

إن الجرائم الأخلاقية التي تصدر عن الأحداث كثيراً ما تنشأ من عدم مراقبة آبائهم، وإهمالهم لما يصدر منهم من شذوذ وانحراف، ومن الطبيعي ان الطفل الذي لم يكتمل وعيه ولا رشده لا يميز بين الخير والشر، فإنه حينما يرتكب القبيح، ويرى غض النظر عنه أو قراره له، فإنه يتمادى في الشر والإثم حتى ينطبعا في نفسه، ويصبحا عادة له.

لقد حث الإسلام على مصاحبة الأبناء في سنهم المبكر، ومراقبة سلوكهم خوفاً عليهم من التلوث بالجرائم التي تسبب انحرافهم عن السلوك النير. ومن المؤسف إهمال الآباء ـ في هذه العصور ـ لهذه الجهة التي يتوقف عليها مصير الأبناء في مستقبلهم، وقد أدى هذا الإهمال الفظيع إلى التسيب والانحلال الذي مني به أكثر الأبناء، فقد أصبح التهور والشذوذ طابعاً لهم في كثير من سلوكهم، وأخلاقهم.

ومن أبشع الوان الإهمال، وأكثرها انحرافاً عن المناهج التربوية الصحيحة ترك الآباء لبناتهم مع زملائهن في الدراسة في المعاهد والكليات وهم في سن مماثلة من دون أن تكون منهم أية مراقبة، ومن الطبيعي أن ذلك يؤدي في كثير من الأحيان إلى سقوط عفة الفتاة، وانحرافها عن موازين الاستقامة في سلوكها.

وعلى أي حال فان الأب مسؤول أمام الله عن مراقبة سلوك أبنائه وإبعادهم عن جميع النزعات الشريرة، يقول الغزالي:

«اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه،وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل

لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه، والوالي له، وقد قال الله عزوجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه عن قرناء السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة، وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث...»[1].

ورأي الإمام الغزالي رأي وثيق للغاية تؤكده البحوث التربوية الحديثة فان مراقبة الطفل في سنه المبكر وتعويده العادات الطيبة وإبعاده عن النزعات الشريرة تؤدي إلى سعادته ونجاحه في الدنيا والآخرة كما ان إهماله وعدم مراقبته مما يؤدي إلى شقائه وهلاكه.

٦ ـ تأديب الأطفال:

إن واجب الأب الإسراع في تأديب أطفاله، إذا شذوا في سلوكهم أو ارتكبوا ما يخالف التقاليد الدينية والاجتماعية، أو ما يجافي الآداب العامة فان اللازم عليه الإسراع في تأديبهم بما يقلع روح الشر والتمرد منهم...وقد أكد الإسلام ذلك فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم...»[2]، وفي حديث آخر: «أكرموا أولادكم واحسنوا أدبهم يغفر لكم»،

(١) تاريخ التربية: ص ٨٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ١ / ٢٧٠.

إن الشذوذ الذي يصيب الأطفال ويظل ملازماً لهم إنما هو ناتج ـ على الأكثر ـ من إهمال الآباء، وعدم قيامهم بتأديب أطفالهم إذا انحرفوا عن الطريق القويم يقول الشيخ النراقي: «إن الصبي إذا أهمل في أول نشوؤه خرج ـ في الأكثر ـ رديء الأخلاق والأفعال فيكون كذاباً حسوداً، لجوجاً عنوداً سارقاً خائناً ذا ضحك وفضول، وربما صار مخنثاً مائلاً إلى الفسق والفجور...»[1]، أما كيفية تأديبه فسوف نتحدث عنها في البحوث الآتية.

٧ـ إبعاد الطفل عن العملية الجنسية:

ونهى الإسلام عن أن يغشى الرجل أهله أمام أبنائه فان ذلك مما يوجب تهيج الشهوة عندهم، وانطلاقهم في ميادين الدعارة والفجور، يقول الإمام الباقر عليه السلام لجابر: «إياك والجماع حيث يراك صبي يحسن أن يصف حالك»[2].

وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريته وفي البيت صبي، فان ذلك مما يورث الزنا»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما، ويسمع كلامهما، ونفسهما، ما أفلح أبداً، إن كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية ...»[4].

وقد أكد علماء التربية الجنسية ضرورة إبعادهم عن ذلك، يقول (سيرل بيسبي): «ومادامت الناحية الجنسية موجودة عند الجميع حتى عند الأطفال منذ مولدهم، ولو بقيت في حالة الكمون حتى سن البلوغ فمن المهم أن تتفادى الاتيان بأي عمل قد يستثيرها قبل أوانها، وثمة آباء لا يرون إبعاد الطفل عن

---

(١) جامع السعادات: ١ / ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢) طب الأئمة: ص ١٣٥.

(٣) المحاسن: ص ٣١٧ وسائل الشيعة: ٧ / ٩٥.

(٤) فروع الكافي: ٢ / ٥٨.

الحجرة عندما يخلعون ملابسهم، ولكنهم يتمادون في هذا السبيل، ويظنون أن واجبهم يحتم عليهم ـ باعتبارهم ـ من التقدميين المجددين (أو المثقفين) أن يوفوا الفرص لكي نراهم عراة ولكن متى تكررت رؤية الطفل فانها عن قريب تولد بدورها اهتماماً زائداً بخصائصه في نفسية الطفل»[1].

إن نفسية الطفل سريعة التأثر والانفعال بما تراه، ولذلك كان من الضروري إبعاده عن كلّ ما يثير الشهوات وفساد الأخلاق صيانة له من الانحراف والشذوذ، ولما لم تعن التربية الغربية بذلك مني أبناؤها بالانحلال النفسي وسائر أنواع المشكلات الجنسية، وتدهور الأخلاق، وانعدام الروابط الاجتماعية.

٨ ـ إبعاد الطفل عن تناول الحرام:

على الأب ان يحرص كل الحرص على تعويد أطفاله ـ منذ نعومة أظفارهم ـ على تناول الحلال وإبعادهم عما حرّمه الله كالمغصوب من الطعام أو نجس العين كلحم الخنزير، أو كان نجساً بالعارض كالطعام الذي يتلوث بالنجاسة الخارجية وغيرها مما ذكره فقهاء المسلمين في رسائلهم العملية..فعلى الأب أن يسعى جاهداً في تعويدهم على ذلك فان للتغذية أثراً فعالاً في سلوك الطفل، وتنميته حسب ما دللت عليه البحوث الطبية الحديثة.

إن الإسلام شديد الحساسية بكل ما يعوق نمو الطفل، وازدهار شخصيته، والتغذية الملوثة بالحرام تؤثر أثراً ذاتياً في دخائل النفس، وتوقف فعالياتها السلوكية، فتغرس فيها النزعات الشريرة كالقسوة، والاعتداء والهجوم المتطرف على الغير.. وقد راعى الإسلام باهتمام هذه الجوانب فألزم بإبعاد الطفل عن الغذاء الحرام فقد أُثر عن الرسول الأعظم ﷺ أنه رأى ريحانته، وسبطه الأول الامام الحسن عليه السلام قد أخذ من تمر الصدقة فجعلها في فيه، وكان طفلاً فزجره وقال له:

---

(١) التربية الجنسية: ص ٥٥.

«ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة...»(١).

ولما حُملت عيال أبي الضيم الإمام الحسين عليه السلام أسرى إلى الكوفة بعد كارثة كربلاء الخالدة في دنيا الأحزان، انبرى بعض الكوفيين حينما رأى أطفال الامام وهم يعانون آلام الجوع وقسوته فناولهم بعض التمر والجوز متصدقاً بها عليهم فزجرتهم السيدة أم كلثوم حفيدة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعرّفتهم أنها صدقة، وهي محرمة على أهل البيت فأسرعت الصبية إلى رميها من أفواهها..ولمحافظة أهل البيت عليهم السلام على هذا السلوك النير في ميادين التربية نشأت فيهم تلك الناشئة الطيبة التي لم يعرف التأريخ مثيلاً لها صدقاً في القول، وعفة في السلوك، ونزاهة في القصد.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض مسؤوليات الأب، وواجباته تجاه أبنائه ومن يعول به.

مسؤولية الأم

إن الأم هي المدرسة الأولى في بناء شخصية الطفل، وإكسابه العادات فإذا كانت مهذبة كريمة تم إنشاء جيل صالح متسم بالاتزان في سلوكه، وإذا لم تكن مهذبة فإن الجيل حتماً يصاب بالتحلل، ويمنى بكثير من المفاسد.

إن الأم تتحمل مسؤولية اجتماعية كبيرة، فإنها مسؤولة عن مستقبل الأمة وصلاحها وانطلاقها، فهي بمهدها وحضانتها اللبنة الأولى في بناء الكيان التربوي الصالح أو الطالح.

إن أهم ناحية في تربية الطفل تستند إلى الأم، فهي التي تبني الأسس لاتجاهات الطفل وأخلاقه، وهي التي توجهه نحو الفضائل والطموح، والإقدام،والعمل والاعتماد على النفس..وهذه الأسس التي يكتسبها الطفل قبل

---

(١) رياض الصالحين: ص ١٤٧.

الثامنة من عمره يصعب تبديلها كلياً فيما بعد، ولذلك فان أثرها في حياة الشعوب ورقيها كبير جداً فإذا اعتاد الولد أن يكون طموحاً ومقداماً ونشيطاً ومثابراً في اعماله، ويتقن ما يعمل فانه من الطبيعي يكون ركناً قوياً لقيام شعب يتمتع بطاقات كبيرة لإنجاز الأعمال وبناء الحضارة المزدهرة[1].

لقد توفرت في الأم بعض الدوافع الذاتية لرعاية الطفل وتربيته، ولعل من أهمها ـ فيما نحسب ـ هي:

١ ـ انها أصبر من غيرها على تربية أطفالها ورعايتهم لأنها مدفوعة بدافع فطري ذاتي، فقد أوجد الله في قرارة نفسها الحب العميق لأطفالها وجعلهم ثمرة لقلبها ومهجتها. ولولا ذلك لما أمكن أن يعيش الطفل ويحيا.

٢ ـ إنها أكثر دراية وإمعاناً بأخلاق أبنائها ونفسياتهم، وأبصر بالوسائل السليمة التي تجدي في توجيههم بعثاً نحو الخير، وزجراً عن الشر.

٣ ـ إن الطفل يستجيب لأمه بحكم فطرته، وحاجته إليها، فهو يسعى جاهداً لتنفيذ رغباتها. وكسب رضاها.

هذه بعض الأمور التي تحمل الأم المسؤولية الخطيرة عن التربية الواعية لأبنائها.

واجباتها:

وعلى الأم التي تريد أن ترى من أبنائها قرة عين وذخيرة لها في مستقبلها أن تسهر على تربيتهم، وترعى سلوكهم، وتبث في نفوسهم النزعات الطيبة والمثل الكريمة، ونعرض فيما يلي لبعض المناهج التي ينبغي لها أن تطبّقها على واقع تربيتها:

١ ـ تحبذ لهم كل سلوك طيب، وتلمسهم النتائج الشريفة التي تترتب على

---

(١) الإدارة التربوية: ص ٩.

فعله، وتشجيعهم عليه بجميع طاقاتها.

٢ ـ أن تجنبهم عن كل طريق إجرامي أو عادة سيئة، وتخوفهم من سلوك أي جهة لا تتفق مع العادات الدينية، والاجتماعية، وتدلل لهم على ما يترتب عليها من الضرر لهم، وللأسرة والمجتمع.

٣ ـ عليها أن تربي بناتها بالطهارة والعفة، وترشدهن إلى محاسن النساء الخالدات، وتحذرهن من الاستهتار وخلع الحجاب، وارتداء بعض الأزياء التي ترتديها الفتاة الغربية التي لا تشعر بالعفة والكرامة...على الأم أن ترعى باهتمام أمر بنتها، فتراقبها، وتتفحص على شؤونها، حتى لا تتلوث بالأخلاق الفاسدة التي دهمت بلاد المسلمين، وغزت حياتهم الفكرية والعقائدية.

إن البنت أطوع لأمها من الولد، وأحرص منه على كسب رضاها وذلك لشدة حاجاتها إليها، فعلى الأم أن تتعاهدها، وتصلح شأنها وتروضها على إدارة المنزل وتشعرها بأعباء الحياة لتؤدي البنت في مستقبلها دوراً مشرقاً وتكون أم طيبة لنشء آخرين.

٤ ـ أن لا تسرف في دلال أطفالها فإن لذلك من المضاعفات السيئة التي توجب تأخر التربية، وعدم قابلية الطفل في مستقبل حياته لتحمل مشاق الأمور ومصاعبها.

٥ ـ أن تشعر أبناءها بمقام أبيهم، ولزوم تعظيمه، واحترامه حتى يتسنى له القيام بتأديب من شذ منهم، وإرغامه على السلوك الحسن.

٦ ـ على المرأة أن تجتنب المساءة مع زوجها، لأن ذلك يخلق جواً من البغضاء والكراهية بينهما، فيؤدي ذلك إلى اضطراب الطفل وشعوره بالمخاوف وخلق عقد نفسية عنده، وقد حث الإسلام المرأة على إرضاء زوجها، وحرّم عليها إتيان ما يكره، فقد أثر عن النبيﷺ أنه قال: «أيما امرأة آذت زوجها بلسانها، لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً، ولا حسنة من عملها حتى ترضيه ...».

وقالﷺ: «أيما امرأة لم ترفق بزوجها، وحملته على ما لا يقدر عليه، وما

لا يطيق منها لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله، وهو عليها غضبان»، وقال ﷺ: «لا تؤدي المرأة حق الله عزوجل حتى تؤدي حق زوجها»، وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت منك خيراً قط، فقد حبط عملها»[1].

إن واجب المرأة المسلمة إرضاء زوجها، ومسايرته، والاندماج معه واجتنابها عن كل ما يزعجه حتى تتمكن هي وإياه من القيام بتربية أطفالهم تربية صحيحة.

٧ ـ إذا شذ بعض أبنائها، وسلك غير الجادة فواجبها إخبار أبيه ليقوم بتأديبه، وحمله على السلوك القويم، وليس لها إخفاء ذلك وحجبه عنه لأن الولد يتشجع على ارتكاب الرذيلة والمنكر، كما أنه ليس لها أن تمانع زوجها وتدفعه عن القيام بتأديب أولاده لأن ذلك يؤدي إلى تمردهم وفساد تربيتهم.

٨ ـ أن تبعد أطفالها عن الشوارع فإنها لا تخلو من المغريات، ودوافع السلوك المضاد للمجتمع، فقد أصبحت تعج بالمنحرفين والمصابين بأخلاقهم الذين هم مصدر لتلويث الأطفال، وجرهم إلى حمأة الرذائل والموبقات.

٩ ـ أن تمنعهم من الأسباب التي تؤدي إلى سقوط العفة والطهارة، وانهيار الأخلاق والآداب كقراءة الكتب، والروايات الخلاعية، ومراودة دور السينما الخليعة، ودور الرقص وغيرها من الأمور المثيرة التي توجب السقوط في حضيض الدعارة والمجون، وتقضي على تماسك الشخصية وانهيار تكاملها وتفاعلها مع المجتمع.

١٠ ـ أن تحافظ على العفة وحسن السلوك، ولا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، ولا تخلع حجابها، وتكون محافظة في سيرتها على الآداب الإسلامية حتى تكون قدوة حسنة لأبنائها على التزام العفة والنجابة، والابتعاد عما يثير الشهوات ويفسد الأخلاق.

إن العلاقة الزوجية التي تسود فيها الأمانة هي التي تنشئ العواطف الغالية

---

(١) مكارم الأخلاق: ١ / ٤٦ ـ ٤٧.

فـي الرجـل ليـؤمن إيـماناً صـحيحاً بأن أبـناءه وزوجـته مـقدّمون عـلى نـفسه ومصلحته..أما إذا زالت الأمانة فلا يشعر الرجل بغيرة على زوجته، ولا يجد باعثاً نفسياً على تربية أولاده، ولا اهتماماً بمستقبلهم، ولا يحفل بأن يعيشوا في كنفه وفي ذرى عطفه، وهذا هو البلاء العظيم الذي تمنى به الإنسانية، فإن مـن آثـاره فساد النشء حيث لا يعرفون لهم أباً عطوفاً يشفق عليهم، ويقدمهم على نفسه، وبذلك تموت العواطف التي بموتها تموت الإنسانية.

هذه بعض الأمور التي ينبغي للأم مراعاتها، وتطبيقها عـلى واقـع حـياتها الزوجية حتى يتسنى لها إنشاء جيل صالح.

واجبات الأبناء:

وأولى الإسلام رعاية الأبناء لآبائهم اهتماماً خاصاً، وأوجب عليهم طاعتهم المطلقة، وجعل عقوقهم من الكبائر التي توعّد عليها بالنار.

لقد أعلن كتاب الله العظيم في غير آية من آياته لزوم الإحسـان للأبـوين ووجوب طاعتهما، وقرن ذلك بعبادته، وطاعاته قـال تـعالى: **﴿وقـضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهـما جـناح الذل مـن الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرا﴾**(١).

على هذا النهج القويم الذي يـمثل أصـالة الإسـلام وخـلوده فـي تـربيته وتعاليمه يجب على المسلم أن يعامل أبويه، ويقابلهما بكل ما يملك من طاقات الخدمة والإحسان وأن يسخّر نفسه للعمل بما يرضي عواطـفهما، ويشـيع فـي نفوسهما روح الرضا والقبول وليس له أن يفوه بكلمة سأم أو ضجر منهما فيما إذا بلغا سـن الشـيخوخة، وعـجزا عـن القـيام بشـؤونهما، فـإنه تـتأكـد خـدمتهما،

---

(١) سورة الإسراء: آية ٢٣ و٢٤.

ورعايتهما، وعليه أن يخفض جناح الذل، ويدعو لهما ويقابلهما بكل ألوان التكريم والإكبار فإن ذلك من موجبات الغفران، وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام بلزوم البر والإحسان إليهما، وفيما يلي بعض تلك النصوص:

١ ـ روى الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: «يا رسول الله إني راغب في الجهاد نشيط، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تقتل تكن حياً عند الله ترزق، وإن تمت فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت، قال: يا رسول الله إن لي والدين كبيرين يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال صلى الله عليه وآله: فقرّ مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة...».

إن بر الولد بأبيه أكثر ثواباً، وأعظم أجراً من الجهاد الذي هو باب من أبواب الجنة.

٢ ـ وروى زكريا بن إبراهيم قال: كنت نصرانياً، فأسلمت وحججت فدخلت على أبي عبدالله، فقلت له: «إني كنت نصرانياً، وإني أسلمت قال: أي شيء رأيت في الإسلام؟ قال: قول الله عزوجل: ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء**﴾ فرفع الإمام عليه السلام يديه بالدعاء له بالهداية والتوفيق، وسأله زكريا، فقال له: إن أبي وأمي على النصرانية، وأمي مكفوفة البصر، فأكون معهم وآكل من آنيتهم؟ فقال عليه السلام: يأكلون لحم الخنزير؟قال: لا، ولا يمسونه.

قال عليه السلام: لا بأس، فانظر أمك فبرها، فإذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك، كن أنت الذي تقوم بشأنها....

ولما قفل راجعاً إلى بلده أخذ في بر والدته، والإحسان إليها، وتعاهد خدمتها، فاستغربت من كثرة عنايته بها فقالت له: يا بني، ما كنت تصنع هذا بي، وأنت على ديني، فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفية؟!! قال:

رجل من ولد نبينا أمرني بهذا، قالت له: هذا الرجل نبي.

قال: ـ لا ـ ولكنه ابن نبي.

قالت: إن هذه وصايا الأنبياء إن دينك خير دين.

وطلبت منه أن يعرض عليها الإسلام، فأسلمت».

لقد بُني الإسلام على مكافأة المحسنين والبر بالأبوين بكل ما تحتمله هذه الكلمة من معنى.

٣ ـ ويؤكد الإسلام بصورة خاصة على خدمة الأم والبر بها أكثر من الأب لأن حقوقها على الولد أكثر من حقوق الأب، فقد روى الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: «من أبر؟»

قال صلى الله عليه وآله: «أمك». قال: «ثم من؟»

قال صلى الله عليه وآله: «أمك». قال: «ثم من؟»

قال صلى الله عليه وآله: «أمك». قال: «ثم من؟»

قال صلى الله عليه وآله: «أباك»(١).

إن الولد مسؤول أمام الله عن رعاية أمه والبرّ بها، وتوفير ما تحتاج إليه جزاءً لأتعابها القاسية، وعنائها الشاق الذي بذلته في تربيته ... وفي الحديث أن رجلاً كان يحمل أمه فيطوف بها، فسأل النبي صلى الله عليه وآله هل أدّيت حقها فقال صلى الله عليه وآله: «لا، ولا بزفرة واحدة».

إن البر بالوالدين، ولزوم طاعتهما، والقيام بجميع ألوان الخدمة لهما كل ذلك من العناصر الأساسية في التربية الإسلامية الهادفة إلى تماسك المجتمع على أساس من المودة الصادقة والحب المتبادل.

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ١٦١ ـ ١٦٢.

الأسرة في العصور الحديثة

ومشكلة الأسرة ـ في هذه العصور الحديثة ـ مشكلة خطيرة جداً، فقد فقدت نتيجة التغيرات الاجتماعية كثيراً من وظائفها التي كانت تقوم بها من ذي قبل، فأدى ذلك إلى تفكك عرى الأسرة، وانهيار الروابط التي كانت تربطها فيما قبل، يقول بعض المربين: «والواقع أن من مخاطر المجتمع الحديث الرئيسية أن الدور الطبيعي الذي كانت تقوم به الأسرة يتضاءل نتيجة لاستيلاء مؤسسات أخرى على كثير من مسؤولياتها ونخشى نتيجة التضاءل أن تفقد الأسرة الأثر الفعّال، الذي هو من أهم قوى الاستقرار في المجتمع...»[1].

وإن من أوهى الآراء القول بإهمال شؤون الأسرة، وترك الحديث والبحث عنها، لأنها لا تؤثر في تطورنا الاجتماعي، بل إنها مصدر من مصادر الاستغلال يجب تحطيمها كما أعلنته الماركسية في بداية تطبيقها زاعمة أن الرجل يستغل زوجته وأولاده فيتخذهم أدوات إنتاج[2]، وأصر إنجلز على ذلك فقال: «ولا تعود العائلة الفردية بتحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة، الوحدة الاقتصادية للمجتمع، وتصبح إدارة المنزل الخاصة صناعة، وتصبح العناية بالاطفال وتربيتهم، قضية عامة، إذ يأخذ المجتمع على عاتقه تربية جميع الأطفال على حد سواء أكانوا ثمرة زواج أم لم يكونوا... وبهذا يختفي الخجل الذي يساور قلب الفتاة من جرّاء النتائج التي هي في زماننا أهم عامل اقتصادي خلقي يعوق الفتاة من استسلامها بحرية إلى الشخص الذي تحبه...»[3].

وقد تراجعت الشيوعية عن كثير من مقرراتها لأنها اصطدمت بالواقع الذي يعيشه الناس في جميع مراحل تأريخهم من أن الأسرة نظام مستقر ثابت لا غنى

---

(١) التعلم: ص ٨٧.

(٢) بيان الحزب النسبوعي: ص ٦٩ طبع دار التقدم في موسكو.

(٣) أصل العائلة: ص ٨١، ويراجع في معرفة المزيد من ذلك النظام الشيوعي: ص ٥٠.

للبشرية عنه، ومن ثم اتجه المشرع الروسي إلى إعلاء شأن الأسرة والعمل على حماية الدولة لمصلحة الأم والطفل. ومنح المرأة إجازة قبل الولادة وبعدها بأجر كامل[1].

وعلى أي حال فلابد لنا من وقفة قصيرة للحديث عما منيت به الأسرة من الأضرار الفظيعة في ظل الحضارة المادية الحديثة.

انعزال المرأة عن التربية

وكانت المرأة فيما قبل مستقرة في بيتها تعنى بتربية أولادها، والقيام بشؤون زوجها، وكانت تقوم مقام المعلم بين أبنائها مشتركة مع الرجل في ذلك..أما في هذه العصور فقد خرجت الزوجة لتقوم بأعمال تشابه أعمال الرجل، وأصبحت شؤون المنزل والقيام بمهامه عملاً ثانوياً بالنسبة لها. وأصبحت المرأة في كثير من الدول ترى أن إنجاب الأطفال يتعارض مع قيامها بتولي الوظائف العامة، الأمر الذي نجم منه تحديد النسل، وعدم التفكير في إنجاب الأطفال.

ومما لا شبهة فيه أن المرأة مسؤولة عن تهيئة الجو الاجتماعي والنفسي لنشأة الأطفال نشأة سليمة متكاملة، وقد نجم من تخلّيها عن هذه الوظيفة كثير من المضاعفات السيئة، وكان من أهمها انهيار الأسرة، فقد اصبح التقاء المرأة بزوجها واطفالها التقاءً سريعاً، وأصبحت الأسرة في نظر الكثيرين أكثر شبهاً (باللوكاندة) من دون أن يوجد ذلك الرباط الاجتماعي والنفسي الذي يربط بين أفراد الأسرة، والذي يدعوهم دائماً إلى وضع مصلحة الأسرة فوق كل اعتبار[2].

إن خروج المرأة من البيت قد أوجب حرمان الطفل من التمتع بحنان أمه، وذلك لمزاولتها العمل، وتركه لها أكثر الوقت، ومن الطبيعي أن تغذيته الاصطناعية

---

(١) الدستور السوفييتي: المادة ١٢٢.

(٢) الأسس الاجتماعية: ص ٧٢.

وتعهد المربية لشؤونه لا يسد مسد حنان الأم وعطفها، فقد أثبتت التجارب العلمية أن الطفل لا ينمو، ولا يترعرع على حليب أمه فحسب، بل على عطفها وحنانها، وهذا الغذاء العاطفي لا يقل أهمية عن الغذاء الجسدي في تنمية شخصيته ومن هنا جاءت أفضلية التغذية الطبيعية من ثدي الأم على التغذية الاصطناعية، ففي الأولى يتمتع الطفل بأمرين هما الغذاء والحنان وأما التغذية الاصطناعية، فإنها تخلو غالباً من شعور الطفل بحنان أمه. ومن هنا يحسن في الأطفال الذين يحرمون من التغذية الطبيعية أن تضمهم أمهاتهم إلى صدورهن حسب ما ينصح به أطباء الأطفال[1].

وعلى أي حال فإن الطفل لا ينشأ نشأة سليمة إلا إذا اخذ حظه من الحب والحنان من أمه، وهو ـ في الغالب ـ قد حرم من هذه الجهة حين انعزال المرأة عن التربية.

وقد نعى على المرأة خروجها من بيتها جمع كبير من علماء التربية والاقتصاد والنفس، ونعرض لكلماتهم من دون أن نعلّق عليها.

يقول الفيلسوف الكبير (برتراندرسل): «إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المراة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة»[2].

ويقول العالم الاقتصادي جون سيمون: «النساء قد صرن الآن نسّاجات وطبّاعات، وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوّضن دعائم أسرهن تقويضاً. نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته، ولكن بإزاء ذلك قلّ كسبه لمزاحمتها له في عمله...»[3].

---

(١) أسس الصحة النفسية: ص ٧٥.

(٢) الإسلام والحضارة العربية: ٢ / ٩٢.

(٣) مجلة المجلات: ص ١٧.

ويقول العالم الاجتماعي (أجوست كونت): جواباً عن سؤال قدمته (هيركور) تسأله عن رأيه في المرأة فأجابها: «ان حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية إذا جرت على النسق الذي تريدينه، كما هو حالة الرجل، فيكون أمرها قد انتهى فإنها تصير مستعبدة مملوكة»[1].

وتقول الكاتبة (أني رورد): «لأن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاءً من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة، والعفاف والطهارة... الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء. نعم إنه العار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، ما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال سلامة لشرفها...»[2].

يقول الأستاذ شفيق جبري: «إن المرأة في أمريكا أخذت تخرج من طبيعتها في مشاركتها للرجل في أعماله، ان المشاركة لا تلبث أن تتضعضع بها قواعد الحياة الاجتماعية، فكيف تستطيع المرأة أن تعمل في النهار، وأن تعنى بدارها وبأولادها في وقت واحد، فالمرأة الأمريكية قد اشتطت في هذا السبيل اشتطاطاً قد يؤدي في عاقبة الأمر إلى شيء من التنازع بينها وبين الرجل»[3].

يقول (ساموبل سمايلس): «إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما تنشأ عنه من الثروة للبلاد، فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه يهاجم هيكل المنزل، ويقوّض أركان الأسرة، ويمزق الروابط الاجتماعية...»[4].

---

(١) دائرة معارف وجدي: ٨ / ٦٠٥ ـ ٦٠٦.

(٢) مجلة المنار: ٤ / ٤٨٦.

(٣) أرض السحر.

(٤) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم: ص ٩٤ ـ ٩٥.

تقول السيدة أمينة السعيد: «إن الجهل ما زال منتشراً في النساء، وإن التشريعات العائلية بصورتها الراهنة أحق بالعلاج من دخول البرلمان... والبيت في رأيي جنة، ما بعدها جنة، واستقرار المرأة فيه يعادل آلاف الحقوق السياسية...»[1].

هذه بعض الآراء التي أدلى بها جمع من المفكرين ـ وهي من دون شك ـ تحمل طابعاً كبيراً من السمة العلمية، فإن خروج المرأة من بيتها، ودخولها في المعامل، ومزاحمتها للرجل في عمله واقتصاده مما أدى إلى عجزها عن القيام بوظيفتها في تربية النشء فإنها لم تعد إلى المنزل إلا وقد أضناها العمل واستنزفت الأتعاب جميع قواها، فكيف تتمكن من تربية أطفالها تربية سليمة، ومن الطبيعي أن ذلك يشكل خطراً جسيماً على النشء يعرّضه إلى الإصابة بكثير من الأمراض النفسية، وعدم الاستقامة في سلوكه، حسب ما دلّل عليه علماء التربية والنفس.

تضاؤل نسبة الزواج

والشيء الخطير الذي يهدد كيان الأسرة في جميع أنحاء العالم، هو تضاؤل نسبة الزواج وانخفاضه إلى حد كبير، فإن الحضارة المادية الحديثة قد جعلت المرأة متاعاً رخيصاً، وسلعة مبتذلة، حتى امتنع الكثيرون من الشباب عن الزواج لأن ما ينشدونه من المتعة الجنسية قد صار بمتناول أيديهم فإذن لماذا يقدمون على الزواج ويعانون أعباءه وأثقاله، يقول الشيخ بهي الخولي: «يمتنع الشباب عن الزواج، لأن الزواج قيد يحجزه عن التخوض فيما شاء من اللذة المتجددة، فقد اقبلت عوامل التطور الحديث على كثير من المجتمعات الغربية بحريات واسعة في الفكر والقول، والعقيدة والسلوك الخاص وأنشأت لهم أهدافاً في المال، والمنفعة واللذة الحسية تعارض ما كان لهم من أهداف روحية، ومقاييس لمعاني العرض والعفة، وصار لكل منهم حريته الواسعة في حياته الخاصة يفعل منها ما

---

(١) علمتني: ص ٢٤.

يريد دون رقابة من قانون أو تحرج من عرف، بل يفعل ما يريد بتحريض من العرف وعطف من المجتمع.

وكان من ذلك أن تفجّرت الشهوات، وسادت عبادة الجنس، وراج جنون اللذة يستبد بألباب كثير من أفراد تلك المجتمعات، فرؤوا في الزواج قيداً يحد من حرياتهم في ابتغاء ما يريدون، فنبذوا حياة الأسرة، وركنوا إلى المخادعة، كلما فترت رغبة أحدهم في خليلته أو فترت رغبتها فيه انصرف كل منهما عن صاحبه إلى حيث يجد اللذة في رغبة جديدة وشوق أشد.

ولا شك أن ذلك يفضي إلى قلة النسل أي تناقص عدد السكان، وضعف الأمة في مقوماتها المادية ومقوماتها المعنوية، وقد ظهرت آثاره السيئة منذ عشرات سنين في بعض البيئات الأروبية، وأخذت في الازدياد والاتساع حتى شملت كثيراً من الدول.

وها نحن نرى كثيراً من علماء الاجتماع يدقون نواقيس الخطر، وينذرون أممهم ـ إذ تهمل حياة الأسرة ـ سوء المصير، بانهيار الأخلاق وانحلال روابط المجتمع، وانقراض النسل، ولقد وفق المارشال پيتان غداة احتلال الألمان لفرنسا في الحرب العالمية الأخيرة، إذ ينادي قومه إلى الفضيلة، ويعزو الهزيمة إلى هجر حياة الأسرة فكان مما قاله:

«زنوا خطاياكم فانها ثقيلة في الميزان، انكم نبذتم الفضيلة، وكل المبادئ الروحية، ولم تريدوا أطفالاً، فهجرتم حياة الأسرة، وانطلقتم وراء الشهوات».

إن الدولة ـ باسم الإسلام ـ مكلفة أن تعني أعظم العناية بإنشاء الأسر، وحياطتها، وتوفير ضمانات الاستقرار لها، وتحسّن ما تلده الظروف الاقتصادية والثقافية والسياسية من آثار تمسها، نعم هي مسؤولة عن ذلك مسؤوليتها عن التموين والتعليم والدفاع، وما أشبه هذه الأغراض التي لا يمكن تركها للأفراد لأنها من صميم عمل الدولة...»[1].

(١) حقوق الإنسان: ص ١١٥ ـ ١١٦.

الشذوذ الجنسي:

وكان لتضاؤل نسبة الزواج وانخفاضه آثاره السيئة التي تهدد كيان الأسرة بالدمار والانحلال، واضطراب السلوك بين أفرادها، ومن أخطر آثاره إشاعة الشذوذ الجنسي، وانتشاره بين الناس، ومن الطبيعي أنه ليس شيء أخطر على الإنسانية، ولا أفتك بها من إشاعة الفوضى الجنسية، فيها تضاع الأنساب، وتنهار قواعد الأخلاق، وقد وضع الإسلام جريمة الزنا في صف الشرك بالله، وقرنها مع جريمة قتل النفس التي صانها الله وتوعّد بالخلود في النار لمن يقترفها قال تعالى: **﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخرٍ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً* إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾**[١].

لقد وضع الإسلام السدود والحواجز أمام جريمة الزنا فأمر بإخفاء الزينة صيانة للمرأة قال تعالى: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾**[٢] وحرم إثارتها الانتباه والتدليل على جمالها وزينتها قال تعالى: **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾**[٣] كما منع من خلو الرجل مع المرأة الأجنبية، قال الرسول الأعظمﷺ: «لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»[٤] وحرّم ملامسة المرأة الأجنبية ففي الحديث: «لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[٥] وجعل صلاة المرأة في بيتها كصلاتها في المسجد، كل ذلك صيانة لها من الاختلاط الذي يدفعها إلى السقوط في حمأة الرذائل، وفقدانها

---

(١) سورة الفرقان: آية ٦٨ و٦٩ و٧٠.

(٢) سورة النور: آية ٣٠.

(٣) سورة النور: آية ٣٠.

(٤) صحيح البخاري.

(٥) البيهقي.

لكرامتها وعزتها وشرفها.

إن الإسلام بجميع أجهزته وطاقاته يحارب الشذوذ الجنسي، ويحارب الفوضى الغريزية ويناهض جميع الوسائل التي تؤدي إلى سقوط المرأة في حمأة الرذائل، ويطالب بالنهوض بها إلى أرقى المستويات، يريد أن تكون ربة عائلة، ومربية جيل، وسيدة كريمة تحاط بهالة من العزة والكرامة...ولكن الحضارة المادية الحديثة قد أغرت المرأة، وحببت لها الإثم والفجور فأخرجتها من ذلك الميدان المشرق إلى حياة كريهة تحفها الضعة والهوان ووخز الضمير.

لقد سرت في العالم الغربي موجات رهيبة من الفوضى الجنسية، فلم تعد المرأة الغربية تعرف معنى للعفة والكرامة، والحياء والامانة، ولم تفقه بحكم تربيتها الحديثة أي مغزى أصيل لهذه الحياة سوى إشباع رغباتها الجنسية وقد انتشر البغاء في الغرب انتشاراً فظيعاً تندى له جبين الإنسانية، انتشر في المنتديات والمعاهد والمحلات العامة، ولم يعد ذلك أمراً قبيحاً ينكره المجتمع أو ينفر منه، فقد تسالم على تشجيعه واقراره يقول بولا بيورو:

«إن هذا العمل ـ أي احتراف البغاء ـ قد أصبح في زماننا نظاماً محكم التركيب يجري بما شئت من التنظيم في أيدي الموظفين، والعاملين المأجورين، ويعمل فيه أرباب القلم وناشروا الكتب، والخطباء، والمحاضرون والأطباء والقابلات والسياح التجاريون، ويستعمل له كل جديد من فنون النشر والعرض والإعلان». ويقول (جورج أسكان): «أصبح تعاطي الفجور، وعدم التصون واتخاذ الأطوار السوقية معدوداً عند فتاة العصر من أساليب العيش المستجدة».

وقد عجت صحفهم اليومية والسياسية ومجلاتهم وكتبهم باغراء المرأة ودفعها إلى التجارة بجسدها، وخلعها لثوب العفة والطهارة، وقد نجم من ذلك تسيب المرأة وتحللها، واندفاعها وراء الشهوات والمغريات كلما ملّت من رفيق، اتخذت خدناً آخر لها، وقد فسدت بذلك شؤون الأسرة، وعم الاضطراب والانحراف جميع أعضائها.

إن البغاء آفة كبرى على المجتمع، فإنه من أهم العوامل التي تنخر في كيانه وتقضي على أصالته وتماسكه، فالمجتمع الذي يصاب بهذا الداء الوبيل تنتشر فيه الأمراض الزهرية كالقرحة الرخوة، والسفلس، والسيلان المنوي، وهي مما توجب تدمير الصحة العامة، وتعريض الإنسان للإصابة بكثير من الأمراض المهلكة، كما تقضي على تماسك الشخصية، وإزالة جميع أرصدتها الأخلاقية والأدبية.

لقد انتشر هذا الداء في كثير من مناطق العالم، فالمستشفيات، والمؤسسات الصحية، ودور عيادات الأطباء الخاصة تستقبل كل يوم سيلا عارماً من المصابين به، وبالرغم من المعالجات الحديثة له كالبنسلين وغيره، فانه قد انتشر بصورة هائلة، وكان من آثاره الإصابة (بالهستريا) وقد ضجت المستشفيات العقلية بالمصابين من جرائه، كما كثرت عدد ضحاياه في العالم، وهو في نفس الوقت يحول دون نمو الاقتصاد العام الذي يتوقف على ازدهار الصحة، وتقدمها في البلاد، كما يستهلك قسماً كبيراً من الاقتصاد العام لشراء الأدوية والعقاقير لإسعاف المصابين، وانقاذهم مما هم فيه.

ومن مظاهر الشذوذ الجنسي تفشي الحبوب المسقطة للحمل، وانتشارها بين الفتيات اللاتي يمارسن البغاء، ويخشين من الحمل، وقد انتشر ذلك بصورة مؤسفة في الجامعات والمعاهد الغربية فقد كثر فيها الإجهاض والسقط ومن الطبيعي أن لذلك أثراً كبيراً على صحة المرأة وارهاقها مضافاً لتقليله للنسل، ومن نتائج هذا الانحراف والشذوذ كثرة اللقطاء فقد فحشت هذه النسبة في عواصم الغرب، واهتمت الحكومات هناك ببناء الملاجئ لاستقبال هذا البشر المنكوب، الذي يفقد العطف الأبوي، وهو يمنى بكثير من العقد النفسية ـ كما يقول علماء النفس ـ ومن أخطر ما يصاب به أنه يمنى بقساوة الخلق والطبع والضغينة على المجتمع... هذه بعض الأخطار التي تنجم عن الفوضى الجنسية، وهي تهدد الأسرة بأمواج من الآثام الطاغية حتى ليوشك أن تغرق فيها.

عقوق الأبناء:

ومن مظاهر ما منيت به الأسرة من الانحلال ـ في هذه العصور ـ انفصال الأبناء عن آبائهم انفصالا متميزاً في الرأي والعقيدة والاتجاه، فقد عملت التربية الحديثة بما تملك من طاقات مادية وحضارية على الزهد والتشكيك بقيم الآباء وعاداتهم وأفكارهم، واصبح الأبناء ناقمين على مثل آبائهم وقيمهم، ونتج من ذلك نضال فكري وثوري على المثل القديمة، والنبذ لكل ما يعتنقه الآباء من القيم والتقاليد الاجتماعية، كما نتج صراع آخر عنيف وحادّ فيما بينهم، فالآباء دوماً يشكون ما يعانونه من عقوق أبنائهم، وسوء آدابهم، ويحكون صوراً متنوعة من جفائهم، وعدم حشمتهم، ومقابلتهم بالقسوة والحرمان، يقول المربي (جون ديوي): «ومن العبث أن نندب ذهاب تلك الأيام القديمة السعيدة على مناقب أولادنا، والحشمة، والاحترام والطاعة الخلقية اذ النوح لا يعيد الذاهب، وبكاء ما فات يزيد الحسرات، فان التغييرات الحادثة نتائج نواميس طبيعية، ولا يقابلها إلا تغيير كاف في التهذيب...».

وهو رأي وثيق للغاية فان التغييرات الحادثة في نظام الأسرة وغيرها من الأنظمة التربوية والاجتماعية قد أوجبت تمرد الأبناء، وخروجهم من حدود الطاعة وهيهات أن تعود إلى الطبيعة الأولى من دون أن يكون هناك تهذيب للطباع، وتهذيب للغرائز، وغرس للنزعات الخيرة في أعماق النفوس.

التحلل والميوعة

ومنيت كثير من الأسر الحديثة بألوان فظيعة من التحلل والانحراف.

فقد أسرفت في التفنن بأنواع الملذات والمحرمات مما أدى إلى انهيار الأخلاق، وانحطاط السلوك. ومن الطبيعي أن الانسياق وراء اللهو يخلق جيلاً غير

متماسك لا يعنى بالقيم الإنسانية ولا بالمثل الاجتماعية، فالطفل الذي يشاهد أبويه، وهما عاكفان على إدمان الخمر، وتبادل الرذائل فإنه حتماً يتأثر بذلك في سلوكه وتوجيهه، يقول بعض الباحثين في الشؤون التربوية: «قد أصبحت الأسرة جواً مخزياً للتربية بصورة عامة لأن الآباء والأمهات في العصر الحديث قد تجاوزوا الحد المقرر في السذاجة أو العصبية أو الضعف أو الشدة، وربما يعلّم أكثرهم بعض العيوب لأطفالهم. أكثر الأطفال الذين يجدون صوراً مختلفة عن سوء الأخلاق والفساد، والمشاكسة والسكر في البيت والأسرة، والكثيرون منهم إن لم يجدوا مثل هذه القضايا في البيت فلابد وأنهم تعلّموها من أصدقائهم. فيمكن القول بلا مبالغة إن كثيراً من الآباء والأمهات في العصر الحديث يجهلون تربية أطفالهم مهما كانت الطبقة التي ينحدرون منها، والمدارس أيضاً لا تستطيع أن تؤدي واجبها لأن الأساتذة لا يختلف سلوكهم عن سلوك الأبوين كثيراً...»[١].

إن انحراف الناشئة وفساد سلوكها يستند ـ على الأكثر ـ إلى ميوعة الأسرة وتحللها، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن كفة إصلاح الأسرة يفوق سائر العوامل التربوية الأخرى فهي المدرسة الأولى التي تؤثر أثراً مباشراً على السلوك والتوجيه.

المدرسة:

والمدرسة إحدى العوامل التربوية العاملة على تكوين الطفل، وتقويم تربيته، فإن حسنت مقاصدها، وسلمت مناهجها، وقام برعايتها وإدارتها رواد مخلصون أثمرت في تكوين جيل واع مؤمن بأهداف أمته ووطنه وإذا أهملت ما عليها من الواجبات والمسؤوليات انهارت قيم الأمة، وأصيبت الناشئة بسلوكها ومقاصدها... ولابد لنا من وقفة قصيرة للحديث عنها.

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية: ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

أهمية المدرسة:

للمدرسة أهمية بالغة في تقدم الإنسان، وتطوير حياته، فهي مصدر اشعاعه الفكري، ونضوجه العلمي، وهي من أهم العوامل لإنقاذ الناس من شر الجهل والرذيلة، يقول بعض المربين: «من فتح مدرسة فقد أغلق سجناً» وقال شكسبير: «العلم هو الجناح الذي نستطيع ان نطير به إلى السماء» وقال بعض الكتّاب الفرنسيين: «إن العالم سائر بنجاح نحو التفكير في الإنسانية، ومن المحال أن ترقى أمة من الأمم إلا بتعميم التعليم ولا وسيلة لإنقاذ الناس من شر الجهل إلا بالعلم».

إن إشاعة المدارس، وانتشار العلم من الشروط الأساسية في نهضة الأمة، وبلوغ أهدافها، ورقيها كما انها من العوامل المهمة في بناء الكيان التربوي، وإكساب الطفل لشخصيته وسلوكه، وقد ذهب بعض المربين إلى أنها أعمق أثراً وأبلغ قصداً في التربية من مؤثرات الأسرة وتربيتها قال:

«والمدارس العامة بحكم وضعها هي الأداة المنظمة للتربية الوطنية، وفضلاً عن ذلك فانه على العكس مما يشاع كثيراً من أن الأسرة هي التي يجب أن تضطلع وحدها بعبء التربية الأخلاقية، فاني أقرر أن ما تقوم به المدرسة من التكوين الخلقي للطفل يجب أن يكون على غاية كبيرة من الأهمية فان جزءً كبيراً من هذه الثقافة الأخلاقية بل أهم جزء فيها لا يمكن تلقينه في أي مكان آخر. فلو استطاعت الأسرة وحدها أن توقظ، وتنمّي العواطف الأسرية اللازمة للحياة الخلقية أو بمعنى أعم التي تكون أساس العلاقات الفردية البسيطة فإن هذه الأسرة بحكم تكوينها البسيط لا تستطيع أن تكون أداة صالحة لإعداد الطفل للقيام بواجباته في الحياة الاجتماعية»[1].

إن مدة الطفولة تكون الحياة الفكرية فيها ضعيفة، والحياة الوجدانية ساذجة

---

(١) التربية الأخلاقية: ص ١٩.

ولا تسمح حالة الطفل النفسية بتكوين عناصر حياته من دون المدرسة، ومن ثمّ اهتم علماء التربية بها، وجعلوها من أهم العناصر التربوية.

التعليم:

وليس المقصود بالتعليم ـ عند علماء التربية ـ مجرد تعلم القراءة والكتابة وإنما جعلوه شاملاً لكل تعلم يؤهل الفرد للحياة في بيئته، ويعطيه قدراً كافياً من الدراسة لجعله مواطناً واعياً قادراً على خدمة نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه.

أهداف التعليم:

وعنى علماء التربية بالأهداف والأغراض التي تترتب على التعليم، وهي كما يلي:

أ ـ تنمية الإدارك:

إن الوظيفة الأولى للتعليم هي تنمية الإدراك والميول، وتوجيههما الوجهة الصالحة التي تتفق مع صالح المجتمع والفرد، والهيئات التعليمية هي المسؤولة عن إدارة هذا التوجيه وتنمية الشعور في خدمة البشر، والاندفاع للعمل الإيجابي في صالح الغير، وهذا أهم ما ينشده الإسلام، ففي الحديث: «احبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره لغيرك ما تكره لنفسك» وعلى تكوين هذه النزعة الكريمة في النفس بنى الإسلام تربيته الخلّاقة الهادفة إلى خدمة المجتمع وتطوير وسائل رقيه على أساس المحبة والنصح.

وأكد علماء النفس على أن المهمة الأولى للمدرسة إنما هي التأثير في سلوك الأفراد تأثيراً منظماً يرسمه لها المجتمع كما يتمثل في سلطاته التعليمية،

والمدرسة من حيث هي كذلك تنصبّ وظيفتها الرئيسية على سلوك الأطفال ويقاس مدى تحقيقها لوظيفتها بمدى التغيير الذي تنجح به في سلوك أبنائها ومن ثمّ كان عندهم أن تستعين المدرسة بكل العلوم الإنسانية كي تحقق هذه الوظيفة، الأمر الذي دعا إلى وجود فرع لعلم النفس خاص بالمشكلات التربوية، وهو المسمى بعلم النفس التربوي، أو علم النفس التعليمي[1].

ب ـ نشر الوعي الثقافي:

إن المقياس العام لتقدم الشعوب في كل عصر إنما هو بمقدار ما يتهيأ للأفراد من الفرص التعليمية فان ذلك من أعظم الثروات التي تملكها الأمة.

ان التعليم يجب أن يستهدف نشر الوعي الثقافي المبني على إدراك الفرد للظروف المحيطة به، وقدرته على تحسين تلك الظروف، وعلى معاهد التربية والتعليم أن تعمل على إنماء الروح العلمية، واستخدام أساليب العلم الحديث سواء أكان في حياتنا الخاصة أم العامة، حتى تزدهر الحياة ويسود الوعي العلمي في جميع أنحاء البلاد.

ج ـ التعرّف على المشاكل الاجتماعية:

ويجب أن يعنى التعليم بصورة خاصة بالتعرف على مشاكل المجتمع، والأحداث التي تواجهه، وفيما نحسب ان من أهم الخطوب والأحداث التي رزء بها العالم الإسلامي هو الاستعمار الذي أجهز على كرامة المسلمين، ومزق أوطانهم إلى دويلات خاضعة لنفوذه، وقد غرس في قلب الوطن الإسلامي دويلة إسرائيل، وأخذ يمدّها بالسلاح والعتاد، كما قام بحمايتها، وتسديد عدوانها واعتدائها على العرب، وهي تقوم بدورها جاهدة على إذلال العرب والمسلمين

---

(١) علم النفس التربوي: ص ٨.

وسلب أوطانهم، وإجلاء العرب عنها، والغرض من ذلك إقامة الوطن الإسرائيلي الكبير بدلاً من الوطن العربي حتى يتم للاستعمار الاستيلاء على منابع الثروات الضخمة في هذه البلاد، فالواجب على الأسرة التعليمية أن تغذي الناشئة بالأخطار الناجمة عن الصهيونية والاستعمار، وان تخلق فيهم روحاً ثورية حاقدة على الاستعمار ومناهضة له. فان ذلك من أعظم الخدمات الكبيرة التي تؤديها الهيئات العلمية للبلاد.

واجبات المعلمين

وليست رسالة المعلمين مقصورة على تلقين المعلومات للتلاميذ وحشو أذهانهم بالمعارف، وإنما واجبهم أشمل من ذلك، وأوسع فيجب عليهم أن يقوموا بتربيتهم، وإعدادهم إعداداً صالحاً للحياة المستقلة من مختلف وجوهها ونواحيها، ويلزمهم تقوية ملكاتهم، وتهذيب أخلاقهم، وتعهد غرائزهم وميولهم، وغرس العادات الصالحة في نفوسهم، وتربيتهم بالنظم التي تتفق مع نظم مجتمعهم على النحو الذي يجعل منهم مواطنين صالحين، ومن ثَمّ فإن اللازم على الأسرة التعليمية أن توطد أسباب التعاون مع الطلاب حتى تتعرف على مشاكلهم وسلوكهم، وليس لها أن تتخذ من منصة الدراسة عرشاً تجلس عليه، بل لابد أن تندمج معهم بروح من الأخوة حتى تبصّرهم الحق، وتقيم في نفوسهم حصانة ذاتية من الوقوع في السبل الملتوية.

«ان الرسالة التي يقوم بها المدرس كرائد للتلاميذ، وموجّه لأولياء الأمور، ورائد في بيئته المحلية هي الأساس لتكوين مجتمع سليم» فإذا قام باداء رسالته التربوية وتوفرت بينه وبين تلاميذه الثقة والمحبة استطاع أن يعد للمجتمع ناشئة خيّرة وسليمة، على الأسرة التعليمية أن تبتعد عن التحيزات والنقائص فانها تحد الفاعلية الفردية والاجتماعية في نفوس الطلاب، وعليها أن تتعرف على الثغرات

المهمه التي تعوق النمو العلمي عند التلاميذ إلى غير ذلك من الواجبات، وقد ذكر المعنيون بالبحوث التربوية الإسلامية أموراً أخرى أوجبوا على الهيئات التعليمية مراعاتها والاهتمام بها وهي:

١ ـ دراسة الحضارة الإسلامية، وقيمها، وتطوراتها دراسة مفصلة وإظهار الأثر الذي تركته هذه الحضارة في الحضارات الإنسانية الأخرى.

٢ ـ دراسة المجتمع الإسلامي الحاضر للوقوف على عوامل التغيير المستمر والتعرف على نواحي القوة والضعف، والإحاطة بكل جزء من أجزائه للتعاون على خلق مجتمع إسلامي واع، قوي، متحد، يهدف إلى تحقيق العدالة، ورفع مستوى المعيشة، والأمن الفردي، والجماعي.

٣ ـ إبراز الاتصال الجغرافي والثقافي بين أجزاء الوطن الإسلامي وانه وحدة متكاملة يتأثر كل جزء بما يقع في الأجزاء الأخرى.

٤ ـ دراسة مقارنة لنظم التربية والتعليم فى جميع البلاد الإسلامية.

٥ ـ تيسير قيام الطلبة والأساتذة بزيارة الأقطار الإسلامية، والاتصال بمعاهد التعليم والتربية فيها.

٦ ـ إيقاظ الشعور الإسلامي في نفوس الطلبة، وإكسابهم روح الاعتزاز بإسلامهم بحيث ينعكس ذلك في جميع ألوان مظاهر سلوكهم الفردي والاجتماعي.

٧ ـ دراسة التاريخ الإسلامي والجغرافيا بصورة مفصلة للتعرف على أمجاد المسلمين في الماضي، ومصالحهم في الحاضر.

٨ ـ إبراز الشخصيات الإسلامية الفذّة في شتى ميادين الحضارة الإنسانية.

٩ ـ إفهام النشء بواجباتهم تجاه الأمة، والقيام بخدماتها في الحقل الاجتماعي والسياسي.

١٠ ـ تحصين المواطنين ضد الغزو الفكري الأجنبي الذي يقصد منه إفساد الروح الإسلامية.

١١ ـ تبصير المسلمين بالأخطار التي تهددهم من الإستعمار والصهيونية.

١٢ ـ تحفيز المسلمين إلى العمل الإيجابي لاستخلاص الأراضي السليبة التي احتلتها العصابة الصهيونية.

١٣ ـ تربية السلوك الإسلامي المشتمل على أساس من التعاون والعمل المشترك والشعور بالمسؤولية، وإيثار الصالح العام.

١٤ ـ أن تحتوي المناهج الدراسية على واجبات التلميذ تجاه أبويه وأسرته.

هذه بعض الأمور التي يجب ملاحظتها، وهي لا تخص الأسرة التعليمية بل تعم المسؤولية جميع المصلحين والمخلصين لأمتهم ودينهم.

مميزات المعلم:

إن المعلم رائد أمة، ومعلم جيل، قد أنيطت به أعظم المسؤوليات الاجتماعية، وقد ذكروا له بعض المميزات التي يجب أن تتوفر فيه وهي:

١ ـ أن يحصل على قسط من المعرفة والعلم تساعده على التعرف على طبيعة السلوك الإنساني والأسباب والدوافع الكامنة وراء هذا السلوك.

٢ ـ أن يكون مكتسباً لمجموعة من المهارات تساعده على تمكن الجماعة من مزاولة بعض أنواع النشاط.

٣ ـ أن يكون مكتسباً لمجموعة من الاتجاهات الخيرة التي تساعده على التفاعل بنجاح مع تلاميذه.

٤ ـ أن يكون دقيق الملاحظة قادراً على التصرف ومراعاة الظروف والمواقف المختلفة.

٥ ـ أن يحاسب نفسه عمّا قدّمه للطلبة من أعمال، ويقف على الأعمال التي أثمرت في ميادين الإصلاح.

هذه بعض الأمور التي ذكرت للمعلم الناجح في أداء مهمته، والذي نراه أن

نجاح الهيئة التعليمية ليس في شحن أذهان الطلبة بالمعلومات، وإنما النجاح الباهر الذي تحرزه هو ما تخرّجه من المواطنين الصالحين الذين يخدمون الأمة بوعي وإيمان، وإذا لم تعن بذلك انهار صرح التربية، وتعثر التقدم الاجتماعي، فإن المعلم إذا لم يكن مؤهلا نشر الاضطرابات النفسية بين التلاميذ كما لو كان مصاباً بمرض معد[1].

وعلى أي حال فإن التربية الحقيقية تتطلب من الهيئة التعليمية القدرة على العمل وحسن البصيرة، والتحلي بالعادات الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والاعتماد على النفس، وإرضاء الضمير، وعليها أن تحقق المبادئ التي تتطلبها التربية الحقة وهي:

١ ـ العمل للوصول إلى الكمال.

٢ ـ الانتفاع بالمواهب الفطرية لدى الأطفال، وتوجيهها توجيهاً صالحاً.

٣ ـ تربية الغرائز، وتشجيعها على العمل الصالح.

٤ ـ العناية بحواس التلاميذ وأجسامهم وعقولهم.

٥ ـ استغلال النشاط الذاتي للطفل حتى ينتفع بما وهبه الله له من المواهب وما ورثه من الميول الصالحة.

٦ ـ إعطاء الطفل الفرصة في التدرب على اكتساب أحسن الأخلاق والعادات[2].

هذه بعض الأمور التي يتميز بها المعلم الناجح، وذكروا أنه لا يكفي أن يكون المعلم متقناً لما يدرّسه من مواد بل يجب أن يكون ملماً بأصول علم النفس، وقواعد التربية، وعلم الاجتماع، ووظائف الأعضاء حتى يتسنى له الوقوف على قوى الأطفال الجسمية والنفسية وعلى طبيعتها ووظائفها ونشأتها كما يجب أن يكون على علم بما اكتشفه علماء التربية من حقائق وسنّوه من طرق، ولا يكفي

---

(١) الأمراض النفسية والعقلية: ص ب.

(٢) روح التربية والتعليم: ص ١٩.

مجرد إلمامه بهذه المواد بل لابد ان يجيد تطبيقها، ويحسن الإفادة من حقائقها في تربيته للأطفال، وفضلا عن هذا وذاك أن يكون المعلم في شخصه وسلوكه قدوة لغيره، وأن يكون انموذجاً صالحاً، وإسوة حسنة لتلاميذه[1] وسنوضح ذلك في بحوثنا الآتية.

مسؤولية المعلم:

إن المعلم يحمل مسؤولية خطيرة وواجباً عظيماً، فإنه مسؤول أمام الله عن أفلاذ أكباد الناس، وتربيتهم تربية سليمة ليكونوا في مستقبل حياتهم قرة عين لآبائهم، وذخيرة لأوطانهم يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: «إني لا أعرف أمانة أكبر مسؤولية، وأشد خطراً، وأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها من التربية والتعليم، فزلة من زلاتها قد تردي أمة بأسرها في هاوية وقد تؤدي إلى الاضمحلال والتفسخ والفوضى في الأخلاق والاجتماع والسياسة والتعليم، واللادينية والإلحادية، كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس توجيهاً صالحاً، وتنشئ الأمة نشأة جديدة، وتبني لها مستقبلاً باهراً...»[2].

إن المعلم مسؤول عما يصيب الأمة من زيغ فكري وعقائدي، وهو مسؤول عن النمو الفكري، والتهذيب النفسي بين الناس، وقد قرن (جيلبرت هايت) بين وظيفة المعلم ووظيفة الطبيب، وجعل مسؤولية المعلم أشد من مسؤولية الطبيب لأن الناس إذا عرفوا أن الطبيب لا يشعر بمسؤولية فإنهم ينصرفون عنه، ولكن الصغار الذين يذهبون إلى المدارس قد لا يدركون أن معلمهم يهمل تعليمهم، والآباء لا يصاحبون أبناءهم حتى يطّلعوا على واقع أمرهم، ولو فرضنا أنهم ذهبوا معهم لما استطاعوا معرفة الحقيقة ومدى قيام المعلم بواجبه.

---

(١) عوامل التربية: ص ١٦.

(٢) نحو التربية الإسلامية الحيرة: ص ٢٤ ـ ٢٥.

إن الناس إذا عرفوا عن الطبيب أنه يهمل واجباته كان من السهل عليهم الانصراف عنه، ولكن التلاميذ الصغار لا يستطيعون الانصراف عن معلمهم إلى آخر يختارونه، ومن أجل هذا كانت مسؤولية المعلمين أمام ضمائرهم وأمام الأمة أعظم بكثير من مسؤولية الأطباء وغيرهم من خدام الإنسانية[1]، وقد قيل: إذا أردت أن تبحث عن رقي قوم فابحث عن معلمهم، وقال بعض المربين:

«إذا كنا نرى أن من واجب المدرسة تنمية عقل التلميذ، وتوسيع ميوله ومداركه يجب أن يكون تعليمه قبل دخوله مدرسة المعلمين أرقى مما هو عليه»[2].

ويرى (جون لوك) أن العقل الإنساني عندما يحمله الطفل إلى المدرسة يكون كالصفحة البيضاء، فارغاً لا شيء فيه، وإن المدرسة تقوم بملء جنباته بالتراث الإنساني، والخبرات البشرية، ومعنى هذا أن عملية التعليم من جانب المدرس لها أهميتها الكبرى في تكوين السلوك الشخصي وتزويده بالكفاءات اللازمة التي تحقق له نجاحاً طيباً وعيشاً كريماً وتعاوناً صادقاً في مجتمعه، وذهب علماء النفس إلى أن المدرس مسؤول عن استثارة النمو التربوي، فإنه قد كلّف من المجتمع بالعمل على تعداد خبرات الأطفال، واستثارة مواهبهم واستعداداتهم، وهو المسؤول عن إدارة هذا النمو وتوجيهه الوجهة التي تتفق مع مصالح المجتمع وصالح الفرد[3].

الاهتمام بالأسرة التعليمية:

إن الأسرة التعليمية هي مصدر الاشعاع الفكري في البلاد فعلى وزارات

---

(١) فن التعليم: ص ٩.

(٢) دراسات في تنظيم التعليم في مصر: ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) علم النفس التربوي: ص ٢٦.

التربية أن تبذل المزيد من الاهتمام بشأنها، والتعرف على مشاكلها، وتقديم المعونات اللازمة لها، فإنها من أقل الطوائف ربحاً كما أن اللازم أن تشجعها على الانصراف إلى العمل الجدي، وتخفف عنها الإرهاق، وتشعرها بعطف الوزارة، وتتعاون معها على إنجاح التعليم، والنهوض برفع مستواه، وتبث في نفوسها روح الإخلاص للواجب، وأن تبحث عما تمنى به من عوامل التأخر والانحطاط والنقص فتزيلها، لتصون بذلك كرامة العلم.

إن الاهتمام بالمعلمين شأن من شؤون الحياة العامة في البلاد المتطورة فإنهم مركز التوجيه، ومصدر الانطلاق والنضوج العلمي في الأمة فلابد من العناية بهم، والتعاون معهم في جميع المجالات.

الاهتمام بالطلاب:

إن التعليم لا يستطيع أن يحقق أهدافه في الأوساط الطلابية ما لم تؤمن حياتها الاقتصادية، وتكون في مستوى اقتصادي مقبول، فإنه من الطبيعي إذا لم يتهيأ ذلك لها لا تستطيع من مواصلة التعليم أو التفرغ له، ومن هنا كان على معاهد التربية والتعليم أن تتدخل في هذه الجهة، وأن تساهم في معونة الفقراء والمعوزين من الطلاب فإن الفقر يقضي على المواهب والعبقريات ويقضي على سائر الإمكانيات البشرية.

وعلى الحكومة أن تهيء لهم دوماً الفحص الطبي المجاني، كما أن عليها أن تمنحهم الغذاء اللازم، وليس معنى ذلك أن تأخذ المدرسة على عاتقها مسؤولية القيام بجميع ذلك كله، ولكن عليها أن تقوم بالقسط الوافر منه فإن هذا من أهم واجباتها ومسؤولياتها، فإن تقديم المعونات والمساعدات اللازمة للطلبة الذين تعوزهم الظروف الاقتصادية من الاستمرار في دراستهم مما يتوقف عليه مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية في البلاد.

فشل التعليم

ومني التعليم في أغلب أنحاء الأرض بفشل ذريع فلم يمكنه أن يحقق رسالته التربوية الهادفة إلى تهذيب الأخلاق، وإصلاح النفوس، والتحلي بالعادات الفاضلة، والنزعات الكريمة، ونشير فيما يلي إلى بعض مناحي النقص.

أ ـ إهمال الأخلاق:

إن التربية الحديثة لم تبتن على أساس من التعاليم والمبادئ الأخلاقية فلم تعن الأوساط التعليمية على ـ الأكثر ـ بهذه الناحية ولم تعرها أي اهتمام يقول بعض المربين: «ويذهب الطفل إلى المدرسة، وهو ملوث بجرائم خلقية،فلا تفكر المدرسة في معالجتها لأن المدرسين لا يفكرون إلا في الامتحان والنجاح، أما الأخلاق فمهملة الإهمال كله، ولا يفكر أحد في تقويم المعوج منها»[1].

وقد أنتج هذا الإهمال الفوضى الأخلاقية في نفوس الشباب، ولسوء التربية والجهل أن بعضهم يعتبر أن ذلك التسيب سلوكاً محموداً، يقول المربي (هوريس مان): «إن التربية الحقة مهملة لأن المدارس لسوء الحظ لا تعنى إلا بحشو الذاكرة، والمدرسون لا يفكرون إلا في كثرة الأخبار والتكلم، وليست كثرة الكلام بالتربية والتعليم. وليست وظيفة المدرس إلقاء المعلومات فحسب، ولكن وظيفته العناية بالتربية الحقة من جميع النواحي وينبغي أن يكون المعلم مربياً، هو أن يصحب التعليم بالتربية»[2].

لقد أخفق التعليم في إيجاد نشء واع متطور مؤمن بأهداف أمته ووطنه ومتصدٍ إلى العمل الإيجابي في خير الإنسانية وصالح البلاد، يقول بعض المربين:

---

(١) روح التربية والتعليم: ص ٧٩.

(٢) روح التربية والتعليم: ص ١٧.

«لن نكون مبالغين إذا قلنا إن التعليم قد أخفق في تكوين شخصيات ناضجة تتسم بالاتزان العقلي، والنفساني، وتستطيع أن تحيا حياة حرة ذات روابط إنسانية طيبة، والسبب واضح في أن التعليم لم يأخذ في الاعتبار الصلات التي توجد بين المدرسة والجماعة التي ينتمي إليها، فالقائمون على شؤون التعليم يتناسون أن المدرسة يجب أن تعد الشباب عن طريق الخبرات، وتعلم الحياة الاجتماعية وممارستها للعيش في مجتمع سليم يسوده الاستقلال والتعاون اللذان يعتبران بحق من أهم الصفات اللازمة للحياة الحاضرة. إن اهتمام السلطات المدرسية بصب المعلومات في أذهان التلاميذ أكثر من اهتمامها بتكوين خلق التلميذ يعطي الغلبة بتكوين خلق التلميذ على حساب التربية»[1].

وانتقد المستر ليمان التربية الأمريكية فقال: «إنها لا تخلق ثقافة، ولا مجموعة منتزده من المبادئ ولا تهذيباً أدبياً وذهنياً مشتركاً»[2].

إن التعليم إذا لم يعن بإقامة الأخلاق، وتهذيب النفوس فهو تعليم فاشل وإن التعليم إنما يكون ناجحاً إذا استهدف إصلاح النفوس وتقويم المشاعر يقول (أرسطاليس): «وليس ثمة درس يتعلمه الإنسان، ولا عادة يكتسبها أهم من الحكم الصائب على الأمور، والابتهاج بالأخلاق الكريمة، والأفعال النبيلة»[3].

إن إهمال الأخلاق، وعدم العناية بحسن السلوك أدى إلى المضاعفات السيئة وأهمها انتشار الغرور والطيش والميوعة، والقلق[4] في الأوساط الطلابية.

---

(١) اتجاهات في التربية والتعليم: ص ١٢.

(٢) التربية لعالم حائر: ص ٣١.

(٣) علم السياسة.

(٤) القلق: حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يصيب الإنسان ويسبب له كثيراً من الكدر والضيق والألم.

ب ـ إهمال حسن السلوك:

ومن المؤسف جداً ـ في هذه العصور ـ عدم اهتمام المدرسة بحسن سلوك الطلاب في خارج المدرسة، كما أن الآباء لا يكترثون بما يمنى به أبناؤهم من الانحراف والشذوذ، وإنما جل اهتمامهم بما يحرزونه من النجاح في آخر العام الدراسي، وقد نجم من ذلك تمرد الناشئة، وفقدانها لكثير من الآداب والتقاليد الاجتماعية، يقول بعض المربين:

«والأب الحريص على ولده وابنته لا يهمه إلا نجاحهما في المدرسة في آخر كل عام، والمدرسة الناجحة في عرف المسؤولين هي التي تقدم أكبر عدد من الناجحات والناجحين في آخر العام الدراسي، أما التربية، أما العناية بسلوك الفتى والفتيات فتلك أمور لا يهتم بها إلا نفر قليل.

وهذا الإهمال للناحية التربوية في البيت والمدرسة هو الذي زاد بعد الشقة بين الأبناء والآباء، وهو الذي زاد في هذا الصراع فأوجد جيلاً جديداً مستقلاً لا هدف له ولا غاية، يسير في الحياة على غير هدى لا يربطه بماضيه رابط ولا يردعه عما يريد رادع»[1].

ومن الطبيعي أن في هذا الإهمال أخطاراً اجتماعية كبيرة أهمها دك كيان الأسرة وهدم بناء المجتمع الذي نعيش فيه.

ج ـ التعليم المجرد:

وعنت المدارس الحديثة بالتعليم المجرد الذي لا يكسب التلميذ خبرات وتفاعلا مع مجتمعه، فإن حشو ذهن الطلاب بالعلوم والمعارف لا أثر له في حياتهم الفردية إلا إذا كانت المعرفة حية مطابقة لواقع الحياة، ومن المؤسف أن

---

(١) البيت والمدرسة: ص ٣٣.

أغلب المدارس لا تعنى بذلك فإن همّ المدرس هو إتمام المقررات الدراسية بأية صورة، وهمّ التلاميذ هو حفظ هذه المقررات بقصد النجاح في الامتحان.

وقد أثبتت التجارب في تتبع حياة التلاميذ بعد تخرجهم من المعاهد التربوية أن التفوق في الامتحان ليس دليلا كافياً على النجاح في الحياة العملية، فكم من تلميذ مبرز في المدرسة قد فشل في ميدان العمل الاجتماعي وذلك لنقصان في تربيته، ولذلك تقلل التربية الواعية من شأن المعرفة المجردة التي تأتي عن طريق التعليم الجامد، أو عن طريق السلبية في التعلم، كما تقلل من شأن المعرفة التي لا تتصل بالبيئة أو لا تمت إلى الحياة العامة بصلة.

إن عملية التعليم يجب أن تنصب إلى قوى الطفل كلها ـ دون أي استثناء ـ كما ينبغي أن تحاول الكشف عن تلك القوى لتدريبها وتنميتها، وتوجيهها الوجهة الصالحة حتى يكتسب الطالب من ذلك عادات عقلية وجسمية واجتماعية نافعة له كعضو في المجتمع، وحتى يكتسب أيضاً مهارات يتمكن من تكييف سلوكه بحسب الظروف المختلفة، وكذلك ينبغي أن تكون التربية منصبة على وجدانه وذوقه وعواطفه حتى تكوّن منها نفساً وثابة تلتف حول الحق والعدل، فإن التربية الحقيقية والتعليم الواقعي ما هما إلا أداة لتنظيم القوى البشرية بغية اكتساب سلوك يتفق ونظام المجتمع، بحيث يضمن للفرد حسن التصرف والقدرة على التكيف في عالمه الاجتماعي.

أما التعليم وحده فهو محدود بالمعرفة التي يقدمها المدرس للتلميذ فيحصّلها في نطاق فكرة التحصيل، وليست المعرفة دائماً فوزاً إلا إذا فهم معناها ومغزاها، واستخدمت فعلا، واستفاد منها صاحبها في حياته وسلوكه واستفاد منها المجتمع في بناء نفسه، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا عني التعليم بعقلية المتعلم وميوله ونشاطه وقدرته وسلوكه بما يحقق له إيجابية فعله في حاضره ومستقبله[1].

(١) التخطيط للتربية والتعليم: ص ٩١ ـ ٩٢.

د ـ *التعليم المختلط*:

وذهب الكثيرون من علماء التربية إلى أن مما يعوق نمو التعليم وازدهاره هو التعليم المختلط، وأكدوا على ضرورة فصل الجنسين، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما يلي:

١ ـ إن البنات لا يملكن الصحة والقوة والذكاء لمنافسة البنين، في العمليات الفكرية.

٢ ـ إن محاولة تعليم الجنسين في صف واحد مما تجعلهما في جو لا يستطيعون فيه استعمال ينابيع ذكائهم، واستخدام فرص تعليمهم بصورة تامة...ففي مرحلتي ما قبل المراهقة، والمراهقة بصورة خاصة يعتبر فصل الجنسين الاسلوب الوحيد لخلق الجو التربوي الذي يلائم التعليم الصحيح.

٣ ـ إن للتعليم المختلط نتائجه الأخلاقية والعاطفية الخطيرة في زمن الطفولة والمراهقة على حد سواء...فقبل أن يكون لدى الصغار الوقت الكافي لفهم أنفسهم، وبينما تكون حساسيتهم في طريقها إلى التيقظ قد يؤدي النظام المختلط بالبنين إلى فقدان النشاط والصراحة. وفي البنات إلى فقدان الرقة والنعومة والتواضع... واجتماع المراهقين والمراهقات في المدرسة يثير في كثير من الأحيان الانفعالات الجنسية التي تسيء إلى الحب والزواج في حياة الرشد.

٤ ـ إن التوجيه المهني والاجتماعي يختلف بالنسبة إلى الجنسين اختلافاً كبيراً فمن المستحيل وضع برنامج خاص في أي معهد من المعاهد العلمية يلائم حاجات البنين والبنات معاً..إن كلا الجنسين سيخسران من الناحية التربوية، من أية ناحية لو وضع منهاج للدروس المشتركة بينهما.

٥ ـ إن نمو البنات أسرع من نمو البنين، الأمر الذي يخلق مشكلة صعبة في صفوف التلاميذ في سن المراهقة، وما قبل المراهقة. إن النظام المختلط يضعهم سوية عدة ساعات يومياً للقيام بعمليات مشتركة في مرحلة يكون بينهما تفاوت

في النواحي الجسمية والانفعالية والاجتماعية.

إن المشـاكل التي تنشأ من التعليم المختلط لا تؤدي إلى تأخر الصحة العقلية فقط بين التلاميذ ولا إلى نمو الميول الجنسية بين الجنسين، وإنما تؤدي إلى كثير من المشاكل والصعوبات[1]، ومما لا شك فيه أنه يـؤدي إلى تـدهور الأخـلاق وانهيار قواعد الآداب...والذين لا يرون بأساً في الاختلاط، ويصفونه بأنه بريء وبعيد عن الدناسة والانحراف، فإنهم لا ينظرون إلى طـبيعة الإنسـان ومكـوناته وغرائزه، فقد جبل منذ بداية تكوينه إلى الاندفاع بنهم نحو الغريزة الجنسية، ولا يقف أمام هذه الغريزة أي مانع أو حجاب، وقد حكى تعالى في كتابه فيما اقتص من خبر يوسف مع زليخا بقوله: ﴿رب ان لم تصرف عني كيدهنّ أصبُ إليهن واكن من الجاهلين﴾ ويوسف من أنبياء الله فكيف بغيره، وحكى تعالى ما جبلت عليه نفس الإنسان من الاندفاع نحو الشهوات، قال تعالى: ﴿إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ فما يحجب الشباب وهو في نضارة العمر، وفي أتم القوى من اقتراف جـريمة الزنا، يقول العلامة الشيخ محمد أمين زين الدين: «واحضر أمام جائع منهوم مائدة شهية المأكل متنوعة الألوان، ودعه يتمتع برؤيتها ساعة وأكثر من ساعة. لتستيقن صدق هذه الحجة التي يقيمون... دعه يتحلى بالنظر إلى صحافها واحدة واحدة، ويستنشق روائحها عرفاً عرفاً ويتقصى ألوانها لوناً لوناً، ويعدد فواكهها فـاكـهة فاكهة ويعيد النظر ويستأنف العهد والاستقصاء.

دعه يمتع بصره وحواسه كذلك ساعة أو ساعتين ثم سله ألا يزال جـائعاً بعد، ألم يملأ عينيه بالنظر وأنفه بالعطر وذهنه بالتعداد وبالتصور ونفسه بالمتعة فكيف تبقى جوعته بحالها.

إن متعة العين بالنظر الشهي، ومتعة السمع بالحديث الملذ ومتعة الحواس الأخرى بالمدركات الجميلة المحببة، لن تسد نهمة الجنس، ولا جوعة المعدة يا

---

(١) التربية وسيكولوجيا الطفل: ص ٩٤ ـ ٩٥.

أساتذة، ومن يدّع غير هذا، فإنما يكذّب نفسه وتكذّبه البداهة من كل عقل...»[1] ويحكي هذا الرأي واقع الحياة والفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها. وهي بأي حال لن تشذ ولن تحيد عما طبعت عليه من اندفاع الناس بنهم نحو الغريزة الجنسية، وقد عجت الصحف العالمية بنقل مآثم هذا الاختلاط ومعايره الذي تمنى به الجامعات والمعاهد التي تجمع بين الجنسين، ولنستمع إلى بعض ما تحكيه هذه الصحف فقد كتبت مجلة الاتحاد القومي مقالاً جاء فيه: «لقد أدت المدارس المختلطة في أمريكا إلى نتائج سيئة فقد انهمك الفتيان والفتيات في المغازلة والملاحقة وممارسة العلاقات الجنسية عوض الدروس وأدى ذلك إلى انصراف الطلاب والطالبات عن المناهج الدراسية بشكل عام. ولذلك فقد صمم علماء التربية على فصل مدارس البنين عن البنات في الدورين الابتدائي والثانوي...».

وجاء في جريدة الشعب المصرية:

«ازدادت موجة الانحلال في أمريكا بصورة مفزعة: أصبحت المدارس والمعاهد مرتعاً خصيباً للشذوذ الجنسي، وتحوّل التلاميذ والتلميذات إلى مدمني خمر وسفاكي دماء...المسدسات والمدى والسكاكين في جيوب الطلبة وعلب السجاير وأقراص منع الحمل في حقائب الطالبات، ولم يعد الأمر يحتمل السكوت، ولذلك قامت إحدى الهيئات القضائية ببحث جرائم طلاب المدارس في نيويورك وأوصت بتعيين رجل من رجال البوليس في كل مدرسة بصفة مستديمة للحد من نشاط عصابات الطلبة المنتشرة في المدارس وقد أبدى بعض رجال القضاء مخاوفهم من احتمال انسياق رجال البوليس مع الطلاب والطالبات في صخبهم الذي لا يعترف لحدود» ويخمن القاضي (لندسي) الأمريكي أن ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل تخرجهن، وترتفع هذه النسبة كثيراً

(١) العفاف بين السلب والإيجاب: ص ٦٩ ـ ٧٠.

في مراحل التعليم العالية[1].

لقد أصبح من المؤكد عند علماء التربية ضرورة فصل الجنسين في جميع مراحل التعليم وذلك لما في الازدواج من الأضرار البالغة التي توجب وقف نمو التعليم وشيوع التحلل والتفسخ بين الطلاب.

هـ ـ تناقض التعليم:

ومني التعليم في جميع أنحاء المدارس بخليط من الآراء والمبادئ المتناقضة كانت ناشئة من أفراد الهيئة التعليمية فقد يأتي مدرس إلى قاعة المدرسة وهو يحمل فكرة خاصة يحاول نشرها بين تلاميذه، ويدعوهم إلى اعتناقها، ويعقبه مدرس آخر فيفند ذلك، ويدعو إلى فكرة أخرى تناقض ما دعا إليه زميله، ومن هنا نشأت محنة الطلاب، يقول بعض المربين:

«ولكي تتصور معي مدى خطورة هذه البلبلة والتردد عليك أن تتصور أعصاب الطالب وأفكاره وهي تستقبل ما بين كل صباح ومساء خليطاً من الآراء والمبادئ المتناقضة المتعاكسة وهو يحمل على أن يعتقد بجميعها، ويؤمن بها كلها...يدخل عليه أستاذ الدين فيشرح له كل شيء عن الكون طبق المبدأ الإسلامي الحق، ولكنه لا يكاد يدبر حتى يخلفه أستاذ علم الاجتماع فيهدم جميع ما كان قد بناه زميله الأول، ويريد الطلاب على أن يعتقدوا بأفكار أخرى... ثم إذا خرج جاء من ورائه مدرس آخر يهدم ما بناه كل من الزميلين السابقين، ويمضي في تشييد آراء جديدة على عقول الطلاب المساكين، وقس على فكرة الكون جميع البحوث الأخرى كالأخلاق والتأريخ والاقتصاد وما وراء الطبيعة».

إن هذا التناقض أدى إلى خلق اضطراب فكري في نفوس الطلاب وإلى اختلاف اتجاهاتهم وميولهم، ومن المؤسف أن تكون معاهد التعليم ومؤسسات

---

(١) نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم: ص ١١١ ـ ١١٢.

الثقافة سوقاً للأفكار الوافدة المعادية لتربة الوطن والدين.

وقد أخفقت بعض المدارس في البلاد الإسلامية إخفاقاً ذريعاً، في أداء رسالتها، فقد نشأ جيل غير واع لأهداف دينه، ووطنه، تسوقه الدعايات الاستعمارية وتعتمد عليه في نشر أفكارها، وأهدافها، وإذا أراد المسؤولون مداواة هذا الإخفاق فعليهم أن يعنوا في تعريف الطلاب بعناصر التربية الإسلامية ويضعوا لها دروساً في جميع مراحل التعليم تعرّف الناشئة بالأنظمة الخلاقة التي جاء بها الإسلام في تنمية السلوك الاجتماعي وخلق الروح الخيرة والنزعات الكريمة في نفس الإنسان.

البيــئــة

ومن أعظم المؤثرات في التربية هي البيئة فإن الطفل مقلد لبيئته تقليداً غير شعوري، وهي توجد في نفس الطفل مع سهولة ويسر الغرائز والعادات فإذا حسنت البيئة حسنت آثارها، وإذا كانت ملوثة بالجرائم والانحراف أصيب النشء بعاهاتها وآفاتها.

إن الإنسان لا يخضع في سلوكه لتكوينه الداخلي فحسب وإنما يخضع إلى العوامل الخارجية التي تتفاعل معه، وتؤثر فيه، وبذلك تطبع البيئة آثارها في دخائل النفس، وتكسبها الخلق والعادات، ونعرض فيما يلي لبعض شؤونها.

أ ـ أهمية البيئة:

وأجمع المعنيون في البحوث التربوية أن البيئة الاجتماعية من أهم العوامل التي تعتمد عليها التربية وتستغلها في تشكيل الشخصية الإنسانية، وتحقيق رغبات الأفراد والطبقات داخل النطاق الحضاري العام، كما تعمل على تحقيق درجة عالية من التكامل الاجتماعي، كما أنها في نفس الوقت تقلل من ظهور التوترات، ومظاهر السلوك المنحرف مما يؤدي ذلك إلى اندماج الفرد بالجماعة وإيمانه بأهدافها وقيمها[1].

(١) الأسس الاجتماعية للتربية: ص ٤٩.

ب ـ مسؤوليتها:

إن البيئة الاجتماعية مسؤولة عن أي انحطاط أو تأخر للقيم التربوية، فهي مسؤولة عن رفع مستوى الطموح العلمي والأدبي في البلاد، وعليها أن تعنى بمطالبة المسؤولين بإيجاد الوسائل الفعالة لنشر الثقافة، وإنارة العقول بالعلم، فنحن إذا نظرنا إلى البيئات الاجتماعية في العصور التأريخية المختلفة لوجدنا أن البيئات التي تتميز بدرجة كبيرة من التقدم والحضارة هي التي قامت بوظيفتها في حث المسؤولين على تنمية الوعي، وبث موجات العلم بين طبقات الشعب، وهذا من جملة الأهداف الضخمة التي عناها الرسول الأعظم ﷺ في حديثه: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»، فالمسلمون جميعاً معنيون بمطالبة حكوماتهم بإيجاد الوسائل التي تدفعهم إلى التطور والرقي والمساهمة في بناء الحضارة الإنسانية.

ج ـ استقرارها:

إن استقرار البيئة الاجتماعية، وعدم اضطراب الأسرة لهما دخل كبير في استقامة سلوك النشء ووداعته، وقد بحثت مؤسسة اليونسكو في هيئة الأمم المتحدة عن المؤثرات غير الطبيعية في نفسية الطفل، وبعد دراسة مستفيضة قام بها الأخصائيون قدموا هذا التقرير:

«مما لا شك فيه أن البيئة المستقرة سيكولوجيا، والأسرة الموحدة التي يعيش أعضاؤها في جو من العطف المتبادل هي أول أساس يرتكز عليه تكيّف الطفل من الناحية العاطفية، وعلى هذا الأساس يستند الطفل فيما بعد في تركيز علاقاته الاجتماعية بصورة مرضية أما إذا شوهت شخصية الطفل بسوء معاملة

الوالدين فقد يعجز عن الاندماج في المجتمع...»[١].

إن استقرار البيئة من أهم الأسباب في تماسك شخصية الطفل وازدهارها وإبعادها عن عوامل القلق، فقد ذهب علماء النفس إلى أن اضطراب البيئة، وما تحويه من تعقيدات، وما تشتمل عليه من أنواع الحرمان كل هذا يجعل الطفل يشعر بأنه يعيش في عالم متناقض مليء بالغش والخداع والخيانة والحسد وأنه مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة تجاه هذا العالم العنيف[٢].

د ـ *أنواعها:*

وذكر المعنيون بالبحوث التربوية أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان على نوعين وهما:

١ ـ البيئة الطبيعية

ويقصد بها كل ما يحيط بالإنسان من الأمور المادية. فالأرض وما عليها وما في جوفها من الجماد والنبات والحيوان، وما يتولد فيها من القوى والطاقات على اختلاف أنواعها. فإنها جميعاً مما تتكون منها البيئة الطبيعية، كما تتكون منها العلوم الطبيعية التي تعلّم في المدارس كدروس الأشياء في الصفوف الابتدائية. وعلوم النبات والحيوان والفيزياء والكيمياء التي تدرس في المدارس الثانوية والجامعية، فإن جميع هذه العلوم تتعلق بالبيئة الطبيعية التي ينبغي للطالب أن يتفهمها كثيراً أو قليلاً ليتمكن من تكييف نفسه.

---

(١) أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث الذين هم دون الثالثة عشرة مؤسسة اليونسكو: ص ٣٥.
(٢) التكيف النفسي: ص ٢٢.

٢ ـ البيئة الاجتماعية

ويقصد بها المجتمع البشري، وعلاقة أفراده وجماعاته بعضهم ببعض فالعلاقات البشرية على اختلاف أنواعها سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم مهنية أم ثقافية أم سيكولوجية تتألف منها جميعاً البيئة الاجتماعية، كما تتألف منها العلوم الاجتماعية التي تدرس في المعاهد العلمية كالتاريخ والجغرافية والتربية وعلوم الاقتصاد والسياسة، ان جميع هذه العلوم تتعلق بالبيئة الاجتماعية التي ينبغي للمتعلم أن يلم بها حتى يتمكن من تكييف نفسه بمقتضاها، ومما له الأثر الكبير في البيئة الاجتماعية القيم الروحية والنفسية فإن لهما الأثر الفعال في تربية الجيل الناشئ ورفع مستواه.

هـ ـ في الإسلام:

واهتم الإسلام في البيئة اهتماماً بالغاً لأنها من العناصر الفعالة في التكوين التربوي والاجتماعي، فإذا صلحت، مدت الأمة بخيرة الرجال وأكثرهم كفاءة وانطلاقاً في ميادين الخير والإصلاح، وإذا فسدت منيت الأمة بالأشرار والفجار الذين يحملون عقداً نفسية على المجتمع بأسره.

لقد عني الإسلام في أمر البيئة فأرصد جميع أجهزته وطاقاته في إصلاحها وتقدمها، فكان يهدف لأن تسود فيها القيم الواعية من العدل والحق والمساواة وأن تنعدم فيها جميع عوامل الانحطاط والتأخر من الجور والظلم والأنانية وأن تكون آمنة مستقرة خالية من الفتن والاضطراب... وقد أنتجت البيئة الإسلامية العظماء والأفذاذ والعباقرة والمصلحين الذين هم من خيرة ما أنتجته الإنسانية في جميع مراحل تأريخها، إيماناً بالله، اندفاعاً نحو الحق وتفانياً في سبيل العدل.

والشيء الجدير بالاهتمام أن الإسلام قد عني بصورة بالغة في أمر البيئة

الخاصة، فلاحظ أهم جوانبها المؤثرة في انفعال الفرد وإكسابه العادات والأخلاق وهي «الصداقة» فإنها من أقوى العوامل التربوية التي تنقل خلق كل واحد واتجاهاته وميوله إلى الآخر...وقد أكد علماء الاجتماع هذه الظاهرة فقالوا: «إن الحياة الاجتماعية حياة تأثير وتأثر فكل إنسان يتأثر فيمن حوله ويؤثر فيمن حوله» وفي المثل الإنكليزي: «أخبرني عن صديقك أخبرك عن نفسك» ويقول الشاعر العربي:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدي

وقد حث الإسلام بإصرار بالغ على الاتصال بالأخيار والمتحرجين في دينهم ومصاحبة ذوي الشرف والنبل والاستقامة حتى يكتسب منهم حسن السلوك ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، يقول الامام الحسن عليه السلام في وصيته الخالدة لجنادة:

«وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا صحبته زانك وإذا أخذت منه صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت منك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتدأك، وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك...»[1].

لقد حدد الامام السبط بهذه الكلمات الذهبية واجبات الصداقة في الإسلام وهي تقضي بلزوم الرعاية والود والتعاون بين الصديقين.

وبما أن الصداقة توجب كسب العادات، وتفاعل الفرد بأخلاق صاحبه وميوله واتجاهاته، فقد حذر الإسلام من مصاحبة بعض الأشخاص المصابين ببعض الأمراض النفسية والعاهات الأخلاقية، يقول المربي العظيم الامام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الامام الحسن عليه السلام:

---

(١) حياة الإمام الحسن: ٢ / ٤٧٤.

«يا بني إياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرّب إليك البعيد، ويبعّد عنك القريب...».

وتترتب على مزاملة هؤلاء الأشخاص كثير من الأضرار التي توجب فقدان التوازن في سلوك الشخص... وقد حفلت مصادر الحديث والاخبار بحشد وافر من الأخبار التي أثرت عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام وهي تحدد صفات الصديق ومدى تأثيره على صاحبه فقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله وقرينه»[1].

على الشاب المؤمن بدينه وعقيدته أن يكون حذراً من الاتصال ببعض الأشخاص المصابين بأخلاقهم وسلوكهم فانهم يدفعونه إلى الاثم والفجور، كما يجب عليه أن يجتنب حملة المبادئ الهزيلة كالوجودية وغيرها من التي تدعو إلى التحلل ورجوع الإنسان إلى عهد الغاب.

لقد مُني المجتمع الإسلامي بالكثيرين من هؤلاء المنحرفين الذين لا يملكون وعياً إسلامياً ولا وعياً وطنياً، ولا يفقهون أي مغزى نبيل لمجتمعهم فراحوا يسعون بقوى محمومة إلى النيل من مقدسات الأمة وقيمها الروحية والاجتماعية... فعلى الشباب المؤمن بإسلامه ووطنه أن يحذر منهم، ولا يتصل بهم لئلا يتلوث بما تلوثوا به أو ينجرف إلى ما انجرفوا إليه.

و ـ في العصور الحديثة:

وبلغت البيئة الاجتماعية في العصور الحديثة إلى درجة كبيرة من الاندماج والتشابه، وذلك بسبب المخترعات الحديثة كالراديو والتلفزيون وتيسر وسائل

(١) أصول الكافي: ٢ / ٦٤٢.

النقل التي قربت الاتصال ما بين الأمم والشعوب، ونقل عادات كل أمة إلى أخرى، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى تبادل الأفكار على نطاق واسع لم يسبق له مثيل في العصور المتقدمة فقد اشتركت أغلب الشعوب في الاتجاهات والتقاليد والعادات.

والشيء المؤلم أن البيئة الاجتماعية في جميع أنحاء الأرض قد منيت بكثير من المخاوف والذعر وفقدان الأمن، وذلك بسبب الجشع الذي أترعت به نفوس ساسة الدول الكبرى من التهالك على غزو الشعوب الضعيفة واستعمارها وجعلها خاضعة لنفوذها، ويضاف إلى ذلك صراعها الحاد على المبادئ التي تعتنقها فكل منها تريد أن تسود مبادؤها وقيمها على جميع أنحاء الأرض، وقد نجم من ذلك الحروب المدمرة التي تشتعل لهبها في بعض مناطق العالم مما سبّب اضطراب البيئة الاجتماعية، وإصابة الإنسان المعاصر بالخوف والذعر.

إن الإنسان المعاصر يعيش على أعصابه، قد فقد الأمل بغده ومستقبله لا يعلم ماذا يراد به؟ وماذا أضمرت له الدول الكبرى من الويلات والشرور فقد اتجهت بلا هدي، ولا رشد نحو الحروب والدمار، واستخدمت جميع أجهزتها الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية لبغي بعضها على بعض، واجهاز كل منها على الأخرى... ففي كل نشرة إخبارية تذيعها محطات الاذاعة في العالم لا نسمع إلا أخبار الفناء والتدمير، وأخبار الإبادة، إبادة لأرواح الناس وإبادة لاقتصادهم.

لقد وجهت الدول الكبرى اقتصاد شعوبها بسخاء إلى تطوير أدوات الحروب، ودفعت العلماء إلى الاختراع والإبداع فيها فكان تطور هذه الأجهزة مذهلاً ومحيراً للعقول، فالأقمار الصناعية والأجهزة الالكترونية قد استخدمت للكشف عن المواضع الاستراتيجية، وما تملكه كل دولة من وسائل الدفاع والقوة، وكان من أخطر ما توصلت إليه الرؤوس النووية التي باستطاعتها أن تدمر أي دولة من دول العالم في بضع ساعات، وبعث ذلك على إشاعة الذعر والقلق في جميع أنحاء العالم.

حقاً انها أزمات ثقال ومصاعب مرهقة يعيشها الإنسان، فلا يعلم متى تنطلق

آلهة الشر بأسلحتها المبيدة إلى تدمير الحياة، وتسليم مفاتيح هذا الكوكب بيد خالقه، ومما لا شك فيه أن هذه الأخطار كانت ناجمة من فقدان التربية الواعية في نفوس ساسة العالم وقادته، ولو كان عندهم أي وعي إنساني لجنبوا العالم من هذا الخطر العظيم، ووجهوا جهودهم نحو أمن الإنسان ودعته ورخائه واستقراره.

وبهذا ينتهي بنا المطاف عن العوامل التي تتكون منها التربية العامة.

التخطيط الثقافي
في العمليات التربوية الحديثة

وعنت الأنظمة الحديثة بصورة خاصة في شؤون التعليم، وجعلته حقاً طبيعياً لكل مواطن والدولة مسؤولة عن توفيره. وتهيأة الفرص اللازمة لانتشاره وخصصت له جميع حكومات العالم وزارات خاصة. ولجاناً متعددة بشؤونه، وتطويره وازدهاره. كما أسست النقابات التعليمية لتقوم برعاية المعلمين، وتعمل لصالحهم. ورصدت الدول الكبرى أضخم الأرقام في ميزانياتها العامة إلى توسيع نطاق التعليم حتى عمت فيها المدارس والجامعات والمعاهد العالية، وهي تتناول البحث عن مختلف العلوم والفنون وكان من نتائج هذه النهضة الفكرية الجبارة والتطور الهائل في عالم الاختراعات والصناعات أن استطاع الإنسان أن يغزو الفضاء، ويصعد إلى القمر، ويرسل الأقمار الصناعية. وهي تصور المواقع التي تجتاز عليها، وترسلها إلى الأرض. وإذا ما حدث خلل في أحد أجهزتها أصلحه الإنسان وهو على الأرض. كما تسجل من تلقاء ذاتها المعلومات عن الحالة الجوية والأشعة الكونية التي تصادفها في فلكها وتبثها إليه...والعلم آخذ بالتطور والنمو، وسيحقق للإنسان أعظم الانتصارات. ولكن الأنظمة القائمة في العالم كل منها قد تبنت فلسفة خاصة في عالم الحكم وعالم السياسة فاستخدمت العلم لنشر مبادئها وأفكارها السياسية. ولابد لنا من وقفة قصيرة للتحدث عن بعض مناهجها التعليمية، وما منيت به من الأخطاء.

المنهج التعلمي في الغرب

والنظام التعليمي في الدول الغربية يقوم على تطور العلوم المادية وبلورتها وتوسيع نطاقها، كما تعنى بذلك غيرها من دول العالم، فقد تسابقت جميع شعوب العالم إلى العلم والمعرفة. مؤمنة بأنه حاجة من حاجات الحياة، وضرورة من ضرورياتها، وإنه لا يمكن بأي حال أن تستقبل مواكب النور والارتقاء إلا بانتشار العلم في ربوعها، يقول آدم سميث: «إن شعباً تحكمه حكومة منظمة يجب أن لا يترك فرد من أفراده بغير تعليم...»[1].

إن مقياس تقدم الشعوب في جميع مراحل التأريخ يبتني على مدى ما تملكه الأمة من فرص التعليم فهو الثروة الحقيقية الذي يستطيع أن يهيء لها الحياة الكريمة، ويحقق لها السيادة على بقية الشعوب.

وكان العالم الغربي في العصور الغابرة يرسف في قيود الجهل، قد انحط فكرياً واجتماعياً فلم يملك أي طاقة من طاقات التقدم والعلم قد سيطرت عليه الخرافات والأوهام، وسادت فيه العادات والتقاليد الهزيلة، وقد دفعه شعوره بالنقص والتأخر إلى الاتصال بالعالم الإسلامي فاقتبس منه عوامل نهضته وارتقائه فأخذ عنه علوم الرياضة والكيمياء والطب والفلسفة والفلك، وغيرها من التشريعات والأساليب الحياتية والاجتماعية، وترجموا مئات الكتب العلمية الإسلامية إلى لغاتهم حتى أن كثيراً من المصطلحات الإسلامية لا تزال تملأ لغاتهم، وقد اندفع الغرب إلى تأسيس المعاهد والمدارس، وإلى جعل الدراسة اختصاصية في كل علم وفن... ولكن المناهج التعليمية السائدة فيه قد منيت بكثير

---

(١) ثروة الشعوب.

من الأخطاء مما أوجب فقدان التربية الواعية في جميع مناطق بلادهم، ونشير فيما يلي إلى أهمها:

إقصاء الأخلاق:

ولم تعن المناهج التعليمية في الغرب بالمثل الأخلاقية فقد أقصتها عن واقع الحياة الدراسية، يقول بعض المربين: «إن نظام التعليم في الغرب إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة»[1].

ولم يعن التعليم في الغرب ـ بصورة جازمة ـ بالتربية الواعية الهادفة إلى غرس النزعات الكريمة والمثل العليا في أعماق النفس، وقد اتفق كبار المربين على أن التعليم الذي لا يؤدي إلى الكمال لا يستحق أن يسمى تعليماً، فإن الغرض من التعليم إنما هو إيجاد حياة طاهرة مقدسة ملؤها الإخلاص والكمال كما يقول فروبل[2].

يقول المستر (ليمان) في التربية الأمريكية: «إنها لا تخلق ثقافة مشتركة ولا مجموعة مشتركة من المبادئ، ولا تهذيباً أدبياً»[3]، ويقول بعض المعنيين في البحوث التعليمية في الغرب «إن التعليم أصبح مجرداً من وضع أسس المحبة والتعاون بين الإنسان وأخيه، فلا غرابة إن انعدمت الإنسانية بين الأفراد»[4].

إن المدرسة هي الوسيلة الفذة التي أصطنعها المجتمع الإنساني لتوجيه الأبناء الوجهة الصالحة حتى يكون سلوكهم موافقاً لما يرسمه لهم المجتمع من القيم والعادات، إلا أن المدرسة الغربية لم تهتم بذلك، ولم تقم له أي وزن، ومن

(١) ضرب كليم: ص ٨٥.

(٢) تربية الإنسان.

(٣) التربية لعالم حائر: ص ٥٢.

(٤) التعليم ومعنى الحياة: ص ١٠.

الطبيعي أن لذلك كثيراً من المضاعفات السيئة ولعل من أهمها انهيار القيم الإنسانية، وتدمير أسس التعاون بين أعضاء المجتمع، وشيوع الأنانية والجشع والكذب والدسيسة بينهم. يقول جورج (١٠٠ فريلند):

«وإذا كان علماء الاجتماع يرون أن المواطنة الصالحة والأخلاق الطيبة للفرد مقياس أساسي لقيمة الحضارة البشرية كان من واجبات التربية أن تتحمل عبئاً كبيراً هو إنقاذ الحضارة من التدهور، ولقد كان هذا الوضع في خاطر الكاتب المفكر (هـ. ج ولز) عندما قال: إن الحضارة سباق بين التربية والدمار»[1].

إن سبب الأزمة الأخلاقية التي يعانيها المنهج التعليمي في الغرب وفي البلاد الخاضعة لحكمه إنما كانت ناشئة عن بعد المناهج والمقررات الدراسية عن النظم الروحية، والقيم الإنسانية فإن المعاهد العلمية لا تستطيع أن تساهم إسهاماً كاملاً في بناء شخصية الفرد إذا لم تكن مناهجها على أساس من الوعي الديني الصحيح، وقد شعرت أمريكا بالفقر الروحي الذي مني به جيلها الجديد، فسمحت للكنائس بفتح مدارس خاصة تسمى (المدارس الطائفية) تديرها الكنيسة الكاثوليكية وهي تملك في أمريكا نظاماً واسعاً من المدارس الابتدائية، وعدداً يزداد باستمرار من المدارس الثانوية، كما تدير الكنيسة اللوثرية عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية والثانوية وتقوم بعض المؤسسات الدينية على تخصيص أوقات معينة يأتي فيها ممثلون عن الكنائس لتعليم مسائل الدين في المعاهد الدراسية التي هي غير خاضعة للكنيسة، كما حثت الأطفال على الذهاب إلى الكنائس ليتعلموا الدين هناك[2] ولكن الديانة المسيحية لم تملك منهاجاً سليماً في الميادين التربوية، ولم تستطع أن تقوم بإصلاح شامل للحياة والفرد فكل ما فيها اللجوء إلى الكنائس والزهد في الحياة، الأمر الذي أدى إلى خلق عقدة نفسية

---

(١) أساليب في التربية الـ[illegible]

(٢) أحاديث عن التعليم في أمر[illegible]

في نفوس الكثيرين من أبنائهم من الدين، ونفورهم من الدعوة إليه.

وبالإضافة إلى قصور الديانة المسيحية عن معالجة شؤون الحياة وعدم وضعها للبرامج الإصلاحية فإنها قد منيت بالهزل والوهن بسبب ما دسه فيها رجال الكنيسة من الافتراءات والخرافات التي تجافي المنطق، وتناهض القوى العقلية المتحررة، فليس إذن من الغرابة أن تفشل الديانة المسيحية في إعداد تربية سليمة متطورة متسمة بالإتزان والتعاون في بناء المجتمع الإنساني.

وعلى أي حال فإن الأنظمة التعليمية في الغرب لم تنجح، في أداء رسالتها التربوية، ولم تحقق لمجتمعها نشئاً واعياً سليماً في سلوكه، فقد أنتجت جيلاً مصاباً في أخلاقه وميوله متجهاً نحو الدعارة والعبث والمجون، والانطلاق وراء الشهوات، ووراء اللهو والتحلل عن جميع القيم والآداب.

المناهج التعليمية في المستعمرات

وعمد الاستعمار الغربي إلى وضع منهج خاص للتعليم في مستعمراته يؤدي إلى إماتة الوعي، وإشاعة الفقر العلمي والروحي فيها، وقد قالوا: إن الفتح العسكري يجب أن يقترن بفتح تعليمي، وذلك لإبقاء نفوذهم، وسيطرتهم، وجعل البلاد تفقد الوعي بالتحرر والخلاص من الاستعمار.

كانت المخططات القديمة للاستعمار سلبية تجاه التعليم فكانت ترمي إلى تقليل المتعلمين، أو محوهم، ففي أمريكا الجنوبية عندما قامت الثورة على الأسبان -في أوائل القرن التاسع عشر- رفع القائد العام مذكرة إلى عاهله يخبره بانتصار جيوشه على الثوار، وأنه قابل المتعلمين بمنتهى القسوة فأفناهم، وأنه قد استأصل بذلك فكرة التمرد، والعصيان - على حد تعبيره - وفي أمريكا الشمالية كانوا يعتبرون تعليم الزنوج القراءة والكتابة من الأعمال الممنوعة ويعاقبون كل أبيض يعلم زنجياً بعقوبة الحبس والجلد، إلا أن هذه السياسة قد فشلت، وشعر

المستعمرون بخطئهم وذلك لحاجتهم إلى الاستعانة بأهل البلاد لاستغلال مرافقهم الاقتصادية، فلابد لهم من تعليم النشء لإعدادهم للأعمال اللازمة، فقاموا بتأسيس المعاهد التعليمية، ولكنهم وضعوا لها منهجاً خاصاً يؤدي إلى حمل المتعلمين على حب المستعمرين واندماجهم معهم فكرياً. وقد صرح بهذه الظاهرة الكاتب الإنجليزي اللورد (ميكالي) في تقرير له حينما كان رئيساً للجنة التعليمية عام (١٨٣٥ م) التي قررت جعل اللغة الإنجليزية أداة لتعليم الهنود بدلاً من لغتهم، وجاء في التقرير:

«يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين الملايين من رعيتنا وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم، انجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير...»[١].

وهكذا وضعت فرنسا مناهجها التعليمية في الجزائر فقد جاء في بنودها: «ما يترتب على أهل الجزائر من الواجبات نحو فرنسا مقابل الحماية التي تسديها إليهم، والعدل الذي أدخلته إلى بلادهم، والأمن الذي نشرته في ربوعهم، ونعم التعليم والحضارة التي أغدقتها عليهم... الاحترام الذي يجب أن يشعروا به نحو من يدير البلاد باسم فرنسا، والاحترام الذي يجب أن يظهروه نحو العلم الفرنسي»[٢].

ولكن هذه السياسة لم تلبث أن باءت بالفشل فإن التعليم في المستعمرات قد بعث في نفوس أبنائها روح النضال والثورة ضد الاستعمار والمطالبة بالحرية والاستقلال، فاجتمع ضروس السياسة الاستعمارية، وقرروا تبديل مناهج التعليم واتخاذ ما يلي:

«يجب علينا أن نعلم أولاد المستعمرات من غير أن نثقفهم، يجب علينا أن

---

(١) تاريخ التعليم: ص ٨٠.

(٢) آراء وأحاديث: ص ١٥٤.

نعلمهم تعليماً عملياً يجعلهم آلات صالحة في المعامل والمتاجر والحقول من غير أن نوسع آفاق أنظارهم وأفكارهم إلى ما وراء الأعمال المطلوبة منهم...»[1].

وكان هذا آخر ما توصلوا إليه لحل معضلة التعليم في المستعمرات، ومن هنا كان التعليم عقيماً وناقصاً لأنه مجرد عن عناصر الثقافة الحية التي تزدهر بها الحياة الفكرية، ومن الطبيعي أن مثل هذا التعليم المحدود يعود بالأضرار البالغة على المواطنين لأنه يعوق النمو الفكري، ويعرقل مسيرة التطور الاجتماعي.

التدمير الشامل

وحمل التعليم الغربي شارات الفناء والتدمير لجميع القيم الأصيلة التي تحيا بها الأمة في مجالاتها الفكرية والاجتماعية، واستهدف جميع مقوماتها الحية فأقصاها عن واقع حياتها، وخدّرها تخديراً شاملاً، فلم تحس بالضربات المتلاحقة، ولم تشعر بالطعون المتواصلة، قد سرت في أوصالها جميع عوامل التحلل والانهيار... ولعل من أفجع الصور المؤلمة التي دهمت المسلمين من هذا الغزو التعلمي هي:

أ ـ إقصاء الإسلام:

وعملت الأجهزة التعليمية الوافدة من الغرب على إقصاء الإسلام، فليس له أي أثر حي في الكيان التعليمي، فلا تعطي عنه إلا صورة موجزة لا تمثل أهدافه، ولا تحكي واقعه.

لقد أهمل التعليم شؤون هذا الدين العظيم الذي عالج جميع مشاكل

---

(١) آراء وأحاديث: ص ١٥٥.

الإنسان، ووضع لإصلاحها المناهج السليمة، فلم يعرض التعليم إلى ما تبناه الإسلام في أيام حكمه من السياسة البناءة التي هي أرقى سياسة عرفها الإنسان في جميع فترات تأريخه فقد تبنت الحق الخالص، والعدل المحض، وأعطت الناس الحريات الواسعة في مجالات الفكر والعقيدة، وفي مجالات العمل والقول، ومنحت المساواة الرائعة التي تنعدم فيها الامتيازات والمحسوبيات، فالجميع أمام القانون والحق سواء... كما وهبت الناس العدل بجميع مفاهيمه ورحابه وجعلت الدولة مسؤولة عن حمايته وصيانته، فهو حق ذاتي من حقوق الإنسان ينعم في ظلاله، ويعيش تحت وافره.

ولم يشر التعليم بقليل ولا بكثير إلى الاقتصاد الإسلامي الذي يساير التطور، وتزدهر فيه الحياة الاقتصادية العامة، حيث لا بؤس ولا فقر ولا حرمان، فالدولة مسؤولة عن إبادة الفقر، والقضاء على شبحه فهو رديف الكفر وقرين الإلحاد، وهي مسؤولة عن توفير العمل، وتهيأة الفرص المتكافئة للجميع، وعليها أن تفتح أبواب الضمان الاجتماعي الذي يقوم بالإنفاق على المرضى والعاجزين، ومن لا يكفيهم الدخل اليومي، كما أن عليها أن تقوم بمراقبة السوق والقضاء على جميع ألوان الاحتكار والاستغلال، ولم يشر التعليم إلى قواعد التربية الإسلامية الهادفة إلى تماسك المجتمع، وتطوره وتهذيبه وتعاونه، وصيانته من الشذوذ والانحراف، كما لم يعن التعليم بما قدمه الإسلام من الطاقات العظيمة في تربية النفس وإصلاحها، وتحليها بالآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة، ولم يشر التعليم إلى ما جاء به الإسلام من الأنظمة الاجتماعية التي تعنى بالوحدة الشاملة لجميع المسلمين، وجعلهم يداً واحدة على من سواهم، وإن هذه الوحدة تستهدف وحدة المشاعر والعواطف ووحدة المصير والاتجاه.

لقد أهمل التعليم جميع ما أثر عن الإسلام في حقول هذه الحياة، وألقى الحجب الكثيفة على نوره وهديه، وأبرزه إلى الناشئة الحديثة بغير شكله وإطاره الذي نزل من ربّ العالمين... وقد اعترفت الأجهزة الاستعمارية بأن أنظمتهم

التعليمية قد حلت الروابط الإسلامية، يقول القس (ويلس): «إن التربية الغربية هي من قبيل قوة تنحل بها الروابط الإسلامية»[1] وأعلن (استوورد كروفا):

«إن التربية الغربية جعلت المسلمين يقتبسون من المبادئ المسيحية وانهم على استعداد للدخول في النصرانية من حيث لا يشعرون»[2].

إن القوى الاستعمارية قد سخّرت جميع أجهزتها التعليمية والسياسية لإقصاء الإسلام عن واقع الحياة لأنه يهدد مصالحهم وأطماعهم، فقد جاء في مقررات المؤتمر الاستعماري الالماني ما يلي:

«إن ارتقاء الإسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم، ولذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح الحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة، والمؤتمر الاستعماري مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد في الشؤون الدينية من حيث الظاهر، يشير على الذين في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام، وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية، وأن ينتفعوا من أعمال الارساليات التبشيرية التي تبث مبادئ المدنية»[3].

ويقول: (وليم حيفورد بالكراد): «ومتى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل حضارتنا التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه».

وعلى أي حال فان الاستعمار يكيد للإسلام في غلس الليل وفي وضح النهار ويسعى جاهداً لإزالته وإقصائه.

(١) جريدة المؤيد المصرية: عدد (٦٦٩٦).

(٢) الغارة على العالم الإسلامي.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي.

فرض لغة المستعمرين

وفرض المستعمرون لغتهم في أنظمة التعليم، وجعلوها جزءً من البرامج الدراسية التي يناط بها النجاح والرسوب، فقد جعل الفرنسيون لغتهم محوراً لجميع الدروس في الجزائر، وقالوا:

«إن المدرسة يجب تكون قبل كل شيء معهداً لتعليم اللغة الفرنسية»[١]، كما حظروا التعليم باللغة العربية، وكذلك عمد الإنكليز إلى فرض لغتهم في جميع مستعمراتهم وخصصوا لها درساً خاصاً، كما جعلوا التعليم خاصاً بلغتهم في المعاهد العالية التي تبحث عن علم الطب والصحة، وعلم الكيمياء والفيزياء، بل حتى التخصص في الأدب العربي والتأريخ الإسلامي عهدوا به إلى المعاهد الأوروبية، فمن أراد من طلاب العرب والمسلمين أن يحوز لقب (دكتور) فعليه أن يدرس في معاهدهم أو على من تخرج منها، وقد عقب على هذا الاستاذ محمد سعيد العرفي بقوله:

«أليس من أشنع الرزايا، وأشد المصائب، وأقبح العار أن يتعلم العرب آداب لغتهم ذات المجد الباذخ والحضارة القديمة من أعداء دينهم وأعداء لغتهم؟ هذا والله هو الضلال المبين؟».

وأضاف يقول:

«إنا ما سمعنا أن لغة من لغات العالم الراقية أو المنحطة، يكون الحكم فيها والمرجع لآدابها غير أبنائها إلا الأمة العربية في عصرنا الحاضر، وما ذكر التأريخ أن أمة تتعلم لغتها من أعدائها الذين هم لها بالمرصاد...»[٢].

---

(١) آراء وأحاديث.

(٢) سر انحلال الأمة العربية: ص ٢١٧.

وعلى أي حال فإن فرض لغة المستعمرين في المدارس والمعاهد إنما يخدم قوميتهم ولغتهم، ويخدم مصالحهم ومطامعهم، ويربط المعاهد العلمية دوماً بهم، يقول الأستاذ محمد سعيد:

«إن هذه اللغات الأجنبية هي السبب الوحيد في بث الدعاية الأجنبية ونشر القسم الفاسد من مدنيتهم، وهي الطريق الذي سهل للغربيين استيلاءهم على البلاد العربية وغيرها من ممالك الشرق، وهي العلة في خروج الأمة عن تقاليدها، وهي السبب في إضاعتها على الأمة دينها ولغتها، وأزيائها وكل ما له علاقة بماضيها، والغريب أن اللغات الأجنبية لا ترضى أن تساوي اللغة العربية في نصيب الدراسة والاعتبار والنجاح، بل تمتاز عليها في ذلك كله، فان معرفة لغة أجنبية وحدها كافلة لنيل الشهادة، وان جهل قواعد اللغة العربية، ولذلك تعنى الحكومة كثيراً في القائمين بتعليم اللغات الأوربية فتنتقيهم من الأساتذة القديرين بها حتى في المدارس الابتدائية، فينمو الطالب على حبها عندما يرى اهتمام الحكومة والأمة، ويشاهد مقدرة المعلم وسلطته وكرامته، وزيادة راتبه فيفقد الروح الوطنية ...»[1].

وقد شجب رجال الفكر، وكبار المربين فرض اللغة الانجليزية في المدارس والمعاهد لأنها تعوق النمو الفكري، وتعرقل سير الدراسة العامة في البلاد لأن الطلبة لم يألفوها، يقول غاندي:

«إن اللغة الانجليزية قد وقفت حجر عثرة في سبيل توصيل المعارف إلى الجماهير. إن الاهتمام المتزايد الذي يعطى للانجليزية قد وضع عبئاً ثقيلاً على التعليم والحجر على عقول الأطفال ليحيوا حياة طبيعية، بل وجعلهم غرباء في أرضهم ووطنهم...»[2].

---

(١) سر انحلال الأمة العربية: ص ٢٠٨.

(٢) التربية الأساسية: ص ٢١ ـ ٢٢.

ونظراً للأضرار البالغة التي تنجم على فرض اللغة الانجليزية في برامج التعليم فقد حظرها غاندي في المدارس الهندية، وأصدر قراراً بذلك جاء فيه: «لن نسمح بتدريس اللغة الانجليزية لأننا نعلم أن كثيراً من وقت الأطفال يضيع عبثاً في حفظ الكلمات والجمل الانجليزية، وحتى إذا سمح لهم بحفظ وترديد هذه الجمل والكلمات الانجليزية فاننا نجدهم غير قادرين على أن يترجموها إلى لغتهم القومية، وغير قادرين على المتابعة المفيدة لما يتعلمونه من أساتذتهم...»[1].

إن الدول الإسلامية والعربية باستطاعتها إقصاء هذه اللغة ـ التي هي من مخلفات الاستعمار ـ عن معاهد التعليم، وترجمة الكتب الدراسية إلى اللغة العربية، وذلك للتسهيل على الطلبة الذين يعانون الجهد والضيق من اللغة الانجليزية بالإضافة إلى أن في ذلك احياءً للغتهم التي جهد المستعمرون على إماتتها وإضعافها، وليس في الدعوة إلى إقصاء اللغة الأجنبية عن معاهد التعليم أن يقتصر المسلمون على لغة واحدة فان تعلم اللغات حسن ومطلوب شرعاً، فإن رسول الله ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة العبرية، ومن الأمثال الجارية: «من تعلم لسان قوم أمن من شرهم»، ويتأكد ذلك على الدعاة إلى الدين الإسلامي فإن عليهم أن يتعلموا اللغات الأجنبية مهما استطاعوا إلى ذلك ليبثوا الدعوة إلى الله ويردوا الشبه التي يلفقها أعداء الدين وخصوم الإسلام.

إضعاف اللغة العربية

وتسعى الأجهزة الاستعمارية بجميع طاقاتها إلى إضعاف اللغة العربية الفصحى وإحياء اللغة العامية، لأن اللغة الفصحى هي التي نزل بها القرآن الكريم، وغرض المستعمرين إبعاد المسلمين عما في القرآن من الثروات الفكرية الهائلة،

---

(١) التربية الأساسية: ص ٣٣.

وحجبهم عما فيه من جمال الفصاحة والإعجاز في البلاغة التي تدفع النفوس إلى الإقبال عليه، يقول الأستاذ محمد سعيد: «إن من أهم الأسباب التي حملت الاستعمار فيما مضى، وتحمله فيما هو آت على محاربة التربية الإسلامية أن تجد سبيلها إلى هذا الجيل هو أن يفرق بينه وبين قرآنه كي يصبح بعد قليل غريباً عن أسلوبه منحطاً عن مستوى فهمه، نائياً عن تذوّق بلاغته حيث يتأتى لهم أن يقولوا بعد ذلك ـ في غيرة وحماس ـ ان الجيل اليوم لا يستسيغ جزالة القديم وثقله، فلابد من تجديد وتبسيط. وما هو إلا أن يفتح باب «التجديد والتبسيط» حتى يقتحموا منه جميع حرابهم إلى هذه اللغة فيقطعوها ارباً إربا، وبذلك ينقطع آخر خيط من الأمل في إمكان عودة هذا الجيل إلى القرآن وهديه»[1].

وثمة سبب آخر أدلى به ساطع الحصري يقول:

«لقد فكر المستعمرون أن اللغة الفصحى هي التي تصل البلاد العربية بعضها ببعض، وهي التي تنقل الأفكار والنزعات من قطر عربي إلى آخر فإذا ما توقف حركة نشر اللغة الفصحى في البلاد العربية، وقامت فيها ـ بعكس ذلك ـ حركة جديدة ترمي إلى إنعاش وتدعيم اللغات العامية... لابد أن يصبح بعد مدة كل قطر من الأقطار العربية ذات لغة خاصة به فيزول بذلك خطر انتشار فكرة الاستقلال، كما ينفي احتمال قيام فكرة الاتحاد بين مختلف الأقطار العربية.

وقد وجدت هذه الفكرة قبولاً حسناً في المحافل الانكليزية والفرنسية على حد سواء. وأخذ القوم يتحمسون لها، ويبثون الدعاية للغات العامية في كل البلاد العربية، ولا سيما في المستقلة منها. واشترك في هذه الدعاية عدد غير قليل من مشاهير الرجال والاستشراق. حتى انه قام جماعة من أبناء البلاد العربية يروّجون هذه الفكرة دون أن ينتبهوا إلى مصدرها الأصلي ومرماها الحقيقي ودون أن

---

(١) تجربة التربية الإسلامية: ص ٧٦.

يفكروا في نتائجها الخطيرة...».

وأضاف بعد ذلك يقول: «إن بعض الأوروبيين أخذوا يدعون إلى هذه الفكرة، وصاروا يزعمون أن الإذاعات اللاسلكية وحفلات الغناء والتمثيل والسينما ستقوي مركز اللغات العامية في البلاد العربية، لأن الكلام باللغة العامية يرضي الدهماء اكثر من الفصحى، كما ان التمثيل باللغة العامية يجلب للمسارح عدداً أكبر من النظارة. وقالوا إن كل هذه العوامل ستؤدي في آخر الأمر إلى انتصار العامية وتغلّبها على الفصحى»[١].

هذا هو اتجاه الاستعمار الغربي في مناهجه التعليمية والتربوية. انه يحاول بجميع قواه المسعورة إماتة هذه الأمة، والقضاء على جميع مقوماتها الفكرية والمعنوية.

المنهج التعليمي الشيوعي

والنظام الشيوعي له سياسته الخاصة نحو التعليم فهو يرى ضرورة نمو الحركة العلمية ولكن على أساس المنهج الماركسي ولا يحفل بغيره، ومن المحتم على جميع المنشئات العلمية تعريف الطلاب بتعاليم ماركس وانجلز ولينين، فيما يختص بطبيعة العالم، وقوانين النمو الاجتماعي، والتحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية فالشيوعية، وتعريفهم بثورة اكتوبر، وسياسة الحزب الشيوعي ومدى الضغط الذي يتعرض له العمال في الدول الرأسمالية.

إن من أهم أهداف التعليم الشيوعي غرس العقائد الماركسية في شعور الجيل الناشئ، وتشكيل اتجاه التلاميذ وميولهم بما يتفق ووجهة النظر الشيوعية في العالم، ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عن مناهجهم التعليمية وعرض ما

---

(١) آراء وأحاديث: ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

يواجه بعضها من نقد بنّاء ونزيه.

أ ـ دراسة الدستور:

يدرس الطلاب دستور الاتحاد السوفييتي في السنة العاشرة، والغرض من ذلك إقناعهم بأن النظام الشيوعي هو من أرقى الأنظمة الديموقراطية، كما يهدف في نفس الوقت إلى تعريفهم بأن الانتصارات التي حققها الاتحاد السوفييتي ترجع إلى متانة النظم الاشتراكية التي هي المرحلة الأولى في الانتقال إلى الشيوعية، ويدرس الطلاب في هذا البرنامج نظام الحكم، ودور الحزب الشيوعي في تسيير دفة الحكم في البلاد، والتعرف على واجبات المواطنين السوفييت[1]. واختيار هذا السن في دراسة النظام الشيوعي إنما هو لأجل بناء العقيدة الماركسية في نفوس الجيل، والإيمان بأهدافها، والتفاني في سبيل مبادئها.

ب ـ النزعة الإلحادية:

ويعني التعليم الشيوعي بصورة أولية بغرس الإلحاد في نفوس الطلاب في جميع مراحل التعليم، وتعريفهم بأن العالم ليس له بداية، ولا نهاية، وانه لم يكن مخلوقاً على يد كائن أبدي، وان المادة ليست سلبية جامدة تتلقى حركتها عن الروح، وإنما هي من الكائنات الحية التي تملك نفسها بنفسها غير محتاجة إلى الروح، وانها تمر بتطور تأريخي مستمر، وان الكون خالد لا نهاية له، وليس هناك خالق للكون، ولا واهب للحياة، يقول (بوليتزر) ورفقاؤه: «لقد فقدت فكرة الله كل محتواها، ولم يعد النقاش حول وجود الله أو عدم وجوده، ذلك النقاش الذي أثارته النزعة الإلحادية الساذجة غير الماركسية يثار كما أثير سابقاً. لقد أصبح الله

(١) دراسات مقارنة للمناهج: ص ٤٣ ـ ٤٤.

كما قال (لابلاس) فرضية لا نفع فيها، وحل مشكلة وجود الله، ومشكلة فكرة الله في رؤوس الناس. هاتان مشكلتان لا تميز النزعة المثالية الموضوعية بينهما»[1]، ويقول لينين: «ان نظرية الفيلسوف القديم هيرقليط المادية ـ الذي كان يرى أن العالم واحد لم يخلقه إله ولا إنسان، كان وسوف يظل شعلة حية تتوهج، وتنطفئ حسب قوانين معينة ـ إنما هي عرض رائع لمبادئ النزعة الإلحادية الجدلية»[2]. وقال انجلز في رده على نظرية هيجل الذي ذهب إلى أن الوجود قبل الأرض: «الوجود قبل الأرض للفكرة المطلقة ـ الذي قال به هيجل ـ ان هو إلا بقايا وهمية الإيمان بخالق فوق الأرض، وان العالم المادي الذي تدركه حواسنا، والذي ننتمي إليه نحن أنفسنا هو الحقيقة الوحيدة»[3].

وهذه النظرية الإلحادية قد أبطلها العلم، وفندتها البحوث الفلسفية القديمة والحديثة، فقد ثبت أن كل ممكن يحتاج في عالم تكوينه وإيجاده إلى علة موجدة هي التي تصنعه وتخرجه من حيز العدم إلى حيز الوجود، ومن المستحيل أن يوجد المعلول بلا علة، والمسبب بلا سبب، ولابد في العلة الايجادية من القدرة الفعالة، والإرادة الحازمة على الإيجاد والتكوين، فإذا لم تكن كذلك فمن المحال أن تفيض التكوين والابداع لأن فاقد الشيء لا يعطيه. «ان جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فانا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته...اننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود».

لقد حجبوا عقولهم عن النظر الى هذه الكواكب المنتشرة في الفضاء التي

---

(١) أصول الفلسفة الماركسية: ٢ / ٢٠٦.

(٢) كراسات فلسفية. تأليف لينين. والمادية الديالكتيكية والمادية التأريخية تأليف ستالين ترجمة خالد بكداش، ص ١٧.

(٣) مقدمة كتاب (لودفيج فيورباخ) تأليف انجلز ترجمة ستورت: ص ١٧.

تعد بمئات الملايين، فان ما اكتشفه العلم الحديث من النجوم بمقدار من الكثرة بحيث لو كنا نعدها بسرعة (١٥٠٠) كوكب في الدقيقة لاستغرق عدّنا لها (٧٠٠) سنة، أما نسبة الأرض إليها فهي أقل كثيراً من نقطة على حرف في مكتبة تضم نصف مليون من الكتب من الحجم المتوسط.

ومن الطبيعي انها لم تكن ناشئة عن الصدفة، وهل يمكن أن تكون الصدفة المدبرة والخالقة لهذه العوالم «وكيف نستطيع أن نفسر أن هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية والتكامل والفرضية، والتوافق والتوازن التي تنتظم بسائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر، كيف يعمل هذا الكون من دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وأبدعه»، يقول (جون وليام كوتس): «إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال ان يكون قد نشأ بمحض المصادفة، انه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى. ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله»[1].

لقد حاولت الدول الكبرى بأقمارها الصناعية، ومراكبها الفضائية، التعرف على واقع هذه الكواكب، وهل هي مزودة بالوسائل التي تتطلبها الحياة، وقد استخدموا جميع الأجهزة العلمية للتعرف على ذلك، وصرفوا عليها آلاف الملايين من أموال شعوبهم، ولكنهم لم يصرفوا أفكارهم وعقولهم إلى النظر في موجد هذه الكواكب وخالقها، فألووا رؤوسهم، وتخبطوا في عشواء مظلمة لا بصيص فيها من النور مصرّين على إنكاره، وعامدين على جحوده في حين أنه اظهر حقيقة يراها الإنسان بعقله وفكره لم ينظروا إلى هذه الكواكب التي تدور في نظام عجيب، وتسير في مسيرة مرتبة تذهل عن إدراكها العقول، قال تعالى: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك**

(١) الله يتجلى في عصر العلم: ص ٤٨.

يسبحون﴾، ان دورة الأرض، ودورة الشمس ودورة الأفلاك ليست مضبوطة بالساعة ولا بالدقيقة ولا بالثانية ولكنها مضبوطة بسرعة الشعاع الذي يقطع (١٨٦) ألف ميل في الثانية، وعلى هذا النظام الدقيق سار الكون، وانتظمت شؤونه، وفاضت معطياته، ولو اختلّت مناهجه لارتطمت الكواكب، واحترقت العوالم.

انهم لم يمعنوا النظر في هذا الكوكب الذي نعيش على سطحه فانه معلق في الفضاء يدور حول محوره في كل (٢٤ ساعة) مرة واحدة، وسرعة حركته (١٠٠٠) ميل في الساعة، ويسبح حول الشمس مرة كل عام فيكون في ذلك تتابع الفصول، انه لو كان يدور حول محوره بسرعة (١٠٠) ميل في الساعة لكان طول الليل عشرة أمثال ما عليه الآن، وكذا طول النهار، وكانت الشمس محرقة في الصيف لجميع النبات، وفي الليالي الباردة ينجمد جميع ما عليها من نبات وحيوان، كما انها لو اقتربت الشمس من الأرض أكثر مما عليه الآن لازدادت الأشعة التي تصل إليها بدرجة تؤدّي إلى امتناع الحياة فوقها، كما انها لو ابتعدت عنها أكثر مما عليها لحدث العكس ولو كانت الأرض في حجمها كالقمر لعجزت عن احتفاظها بالغلاف الجوي والمائي اللذين يحيطان بها ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت، ولو كان قطرها ضعف قطرها الحالي لأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه، وانخفض تبعاً لذلك ارتفاع غلافها الهوائي وزاد الضغط الجوي.

ولو كانت الأرض في حجم الشمس لتضاعفت جاذبيتها للأجسام التي عليها إلى (١٥٠) ضعفاً، ونقص بذلك ارتفاع الغلاف الجوي، ووصل وزن الحيوان إلى زيادة (١٥٠) ضعفاً عن وزنه الحقيقي، كما تتعذر الحياة الفكرية بصورة عامة بالنسبة إلى الإنسان.

وخص الله الأرض بميزة أخرى بأن جعل لها غلافاً غازياً كثيفاً سميكاً يقدر (بـ ٨٠٠) كيلومتر وهو يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل

بخار الماء من المحيطات إلى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يتكاثف مطراً يحيي به الأرض بعد موتها، كما أنه السبب في حيلولة الشهب القاتلة إلى الأرض، وهو السبب في إيصال حرارة الشمس بصورة معتدلة إلى الأرض بحيث يمكن أن تعيش على سطحها النباتات والحيوانات...وليس لبعض الكواكب هذا الغلاف مما سبّب عدم ظهور الحياة عليها، فالمريخ له غلاف غازي رقيق وخال من الأوكسيجين مما جعله غير صالح للحياة.

لقد تجلت قدرة الله العظيم في كل شيء من مخلوقاته، وان العقل ليقف خاسئاً وهو حسير من معرفته تعالى، يقول ابن أبي الحديد:

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر عليلا   أنت حيرت ذوي اللب وبلبت العقولا

كلما أقدم فكري فيك شبراً فر ميلا   ناكصاً يخبط في عمياء لا يُهدى السبيلا[1]

انهم نظروا إلى الوجود نظرة عابرة حمقاء لا تستند إلى دقة، ولا تقوم على وعي فبنوا لهم إطاراً عقائدياً يقوم على إنكار الخالق العظيم الذي تجلت قدرته في كل شيء.

لم ينظروا إلى أنفسهم وما فيها من الأجهزة العجيبة التي تدلل على وجود الله فان فيها العين التي يبصرون بها، وهي تحتوي على التنظيمات التلسكوبية والمكرسكوبية، وهي تحتوي على (١٣٠) مليون من مستقبلات الضوء وهي أطراف أعصاب الإبصار، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذي يقيها ليلاً ونهاراً، وتعتبر حركته حركة لا إرادية، كما يمنع عنها الأتربة والذرات، ويكسر من حدة الشمس، وجعل لها السائل المحيط بها المعروف بالدمع، وهو من أقوى المطهرات والمعقمات إلى غير ذلك من الأجهزة الدقيقة الموجودة فيها التي تنطق بوجود الخالق العظيم.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٣ / ٥١.

وفي الإنسان حاسة السمع، وهي من أعظم أجهزة الإنسان ففيه (التيه)، وقد أدلى العالم (كورثي) عن عجيب ما فيه بقوله: «إن التيه يشتمل على نوع من الاقنية بين لولبية ونصف مستديرة، وان في القسم اللولبي وحده أربعة آلاف قوس صغير متصلة بعصب السمع في الرأس».

ما طول تلك الأقواس؟!!

ما حجمها؟!!

كيف ركبت؟!!

حقاً انها دقة مذهلة تحير الألباب وتذهل العقول، فهل تكونت هذه بمحض الصدفة؟ أو أنشأتها الطبيعة العمياء، ان من يقول بذلك فقد الوى بنفسه وتفكيره إلى مستوى سحيق من الجهل ما له من قرار.

ومن عجيب ما في الإنسان حاسة الشم فان مركزه منطقة محدودة من الغشاء المخاطي المبطن، وبه عدة خلايا شمية طويلة رقيقة تنقل الأثر إلى المخ وذلك في جزء من الأنف، وهو المدخل الرئيسي للجهاز التنفسي الذي يتوقف عليه حياة الإنسان.

وفي الإنسان الجهاز العظمي المتكون من (٢٠٦) عظما، ويتصل بعضها ببعض بالمفاصل، وهذه العظام «صنع الحياة في الجسم فإنها تكوّن الكريات الدموية الحمراء، والبيضاء، ومن عجيب أمرها أنها في كل دقيقة من حياة الإنسان يموت منها ما لا يقل عن مائة وثلاثين مليوناً بسبب دفاعها عن الجسم ضد الميكروبات الوافدة، ومضافاً إلى ما تصنعه العظام من كريات الدم فانها مخزن تحفظ للجسم ما يزيد على حاجته من الغذاء، سواء أكان في داخل العظام نفسها كالمواد الدهنية والزلالية أو على العظام نفسها كالمواد الجيرية.

إلى غير ذلك مما في الإنسان من الأجهزة الدقيقة كالجهاز العصبي، والجهاز

التناسلي، والجهاز اللمفاوي، والجهاز العضلي، وهي منظمة تنظيماً مذهلاً.

هل وجدت هذه الأجهزة على سبيل المصادفة أو التخبط العشوائي؟؟

ومن العوالم الدقيقة المذهلة في هذا الإنسان خزائن النفس، وايحاءاتها وتفاعلها وانفعالها ففيها العناصر المتضادة والصفات المتقابلة من النور والظلام والرحمة والقسوة والحلم والغضب وغيرها يقول العلامة السماوي:

فيك يا نفس كما في الكون نور وظلام   أنت حرب وسلام وهو حرب وسلام
كلما ساد نظام فيك يندك نظام   أو ليست وحدة العدل اقتضت ما ليس يدري

لك كالشمس على الكون طلوع وأفول   أنت نفس الكون ان صح اتحاد وحلول
اشرقت فيك عقول مثلما ضلت عقول   وعلى قارعة الشك جثا من ليس يدري

أصحيح أن هذه العوالم المنطوية في عالم النفس قد أوجدتها الطبيعة الخرساء أو انها وجدت صدفة حقاً، إن من يؤمن بذلك لا يملك أي رصيد من النور والفكر، ومن المؤسف أنه قد سرى ضباب الالحاد إلى كثير من نفوس الناشئة المسلمة فأترعت نفوسهم بالشكوك والأوهام نتيجة الجهل، وفقدان التربية الواعية فغزتهم الأفكار الماركسية وغيرها من التي تقوم على الإيمان المطلق بالمادة، وإنكار الله واعتباره خرافة ووهماً من أوهام الرجعية.

ان الاطار العقائدي الذي تبنته الماركسية ما هو إلا مهزلة من مهازل الفكر البشري، ووهم من الأوهام الرخيصة، وهو لا يلبث أن يتلاشى أمام المنطق والدليل، ولا يؤمن به إلا المنحرفون الذين يفقدون الأصالة في الشخصية والتوازن في السلوك والتفكير.

وعلى أي حال فإن الشيوعية تصر على معتقدها من إنكار الخالق العظيم، وقد فسرت كل حقيقة بتفسير مادي جدلي، ونمت كل شيء إلى المادة، وعلى هذا الأساس اللاعلمي، وضعت مناهجها التعليمية.

ج - الرياضيات:

أما الرياضيات عندهم فانها تنمي طريقة التفكير الجدلي في نفوس التلاميذ، وقد وجهوا بحوثها إلى الخواص والقوانين الأساسية للمادة، كما ان العالم المادي يشكّل صورة موضوعية مستقلة عن الإدراك، وان مادة الطبيعة هي التي تمد الظواهر المعقدة مثل الطاقة الذرية، وإن المادة والطاقة خالدتان، كما ان الطاقة يمكن تحويلها إلى طاقة أخرى، ونتيجة ذلك ان المادة الطبيعية لها دلالة كبيرة في تكوين النظرة المادية الجدلية[١].

ان قدم المادة وخلودها وعدم خلقها قد أبطلها العلم القديم والحديث، وقد أثبت المؤتمر الفلسفي الذي عقد في روسيا احتياج المادة إلى العلة الموجدة، وان أي ممكن في الكون لابد له من علة فاعلة تهبه الحياة والبقاء[٢].

د - التأريخ:

ويعدّ الشيوعيون التأريخ المادة الكبرى لغرس الأفكار والمبادئ الشيوعية يقول (كاريوف): «إن التأريخ يعد سلاحاً قوياً للتربية الشيوعية فهو يمدنا بإجابات علمية عن الاتجاه الذي يسير فيه التطور البشري، كما يمدنا بالوسائل التي يمكن للانسانية المتطورة أن تستعجل بها، وتسهل مولد المجتمع الجديد ويزود التأريخ

---

(١) دراسات مقارنة للمناهج: ص ٤٤.

(٢) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص ١٢٩.

التلاميذ بفهم الحقائق الأساسية في المجتمع الإنساني كما يكشف عن الصراع بين الطبقات، ولتأريخ جمهوريات الاتحاد السوفييتي أهمية خاصة، لأنه يساعد التلاميذ على فهم أعمال الثورة الاشتراكية التي لا يمكن تقديرها بثمن، كما يساعدهم على تقدير حرب البطولات التي خاضها آباؤهم وأجدادهم في سبيل حريتهم، ويعلمهم المحافظة بعناية على النصر الذي أتت به الثورة وينمي فيهم الرغبة لتوجيه كل قواهم لتحقيق ما بذله آباؤهم من جهد في بناء المجتمع الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، كما يربي فيهم الولاء بمصالح الطبقات الكادحة، وعدم التوافق مع كل القوى الرجعية»[1]، أما تفسير التأريخ فان عوامله عندهم ترجع إلى الشؤون الاقتصادية فقد نظر ماركس إلى التأريخ، وحاول معرفة القوى التي شكلته وصاغته في الصورة المعينة التي عرف بها، وقد انتهى إلى تفسيره بالتفسير المادي أو الاقتصادي، وقد حمل وجهة نظره على أن جميع سير التأريخ وبواعثه ترجع إلى العوامل الاقتصادية.

إن المادة عند ماركس هي المحرك الرئيسي للتأريخ، والعامل المهيمن على تطوره، وعن طريق المادة تتحدد العوامل الأخرى فإنها ليست مستقلة في تكوينها، وشكلها بل تتأثر في وجودها وفي صورها بالظروف المادية المتصلة بطرق الإنتاج، وبعلاقات التبادل التي تنشأ بين طبقات المجتمع. وعلى عكس ذلك ذهب (هيجل) فانه يرى أن عالم الواقع المادي وما يجري فيه من الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ليست إلا انعكاسات مادية للفكر المجرد، انتجها الفكر وأوجدها العقل.

إن الأشياء المادية تتشكل ـ في نظر هيجل ـ بحسب تأثير الفكر عليها، ولكن ماركس قد أصر على فكرته، وجعل التطور الديالكتيكي يسير تبعاً لتأثير المادة أو تبعاً لفن الإنتاج ووسائله، بينما يرى (هيجل) أن الفكر هو أساس التطور، وهو

(١) دراسات مقارنة للمناهج: ص ٤٥ ـ ٤٦.

الذي يشكل عالم الواقع.

ويقول ماركس: إن الأوضاع القانونية والاجتماعية والسياسية والفنية والفلسفية، وسائر المناحي الفكرية لا يمكن أن تفهم بذاتها لأنها تتحدد وتتشكل وفقاً لتأثير العوامل المادية أو الاقتصادية عليها فالأوضاع الاقتصادية هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع الأوضاع العامة، ويتساءل ماركس ما هي الظاهرة المادية التي تتطور دائماً، وتدير التأريخ الإنساني؟ ويجيب عن ذلك فيقول: ليست هي البيئة الجغرافية التي لا تتغير، وليست هي كثافة السكان وإنما الأساس في ذلك هو تطور وسائل الإنتاج، فالعوامل الاقتصادية هي التي تعمل على تطور المجتمع الإنساني، فان الإنسان ينفق معظم وقته في العمل لكي ينتج غذاءه، ويصنع كساءه، ويبني مسكنه، وهو في عمله يستعين بأدوات خاصة، وكلما تطورت هذه الأدوات تعدلت العلاقات الجارية بين الناس، ويترتب عليها اختلاف العلاقات الاجتماعية وتباين الايديولوجيات، وتتحكم في كل ذلك العوامل الاقتصادية، وعلى هذا الأساس يتطور التأريخ فالطاحونة التي تدار باليد تزودنا بالمجتمع الإقطاعي، والطاحونة التي تدار بالبخار تزودنا بمجتمع صناعي رأسمالي.

إن جميع الأحداث التأريخية تفسر بتفسير مادي عند الشيوعين. يقول انجلز: «إن القوى الاجتماعية الفعالة تعمل دائماً كالقوى الطبيعية على غير هدى بقوة مدمرة طالما كنا لا نفهمها، ولا نقدرها ولكن حالما نفهمها، وندرك فعلها واتجاهها وأثارها فانه يتوقف علينا وحدنا إخضاعها، وبواسطتها نتوصل إلى أغراضنا... فإذا ما فهمت طبيعتها يمكن أن تتحول في أيدي المنتجين الذين يعملون من سادة مردة إلى خدم طيعين»[1].

لقد آمنوا ان المادة هي التي تفسر أحداث التأريخ وتوضح سير الأجيال.

---

(١) الدستور السوفييتي: ص ٣٢.

وتولد الشكل الاجتماعي الذي يطبع العلاقات بين الأفراد في الجماعة، يقول ماركس: «انه لا يجب البحث عن مفتاح التأريخ في أدمغة الناس وآرائهم وأفكارهم بل في علاقات الإنتاج والقوانين الاقتصادية الموضوعية التي تعمل مستقلة عن إرادة الناس»، إن المنطق الذي تستعين به الماركسية في البحث عن هذه الظاهرة، وفي الاستدلال عليها، إنما هو منطق مذهبي، وليس منطقاً منهجياً، فإنه لم يعتمد على الدراسات العلمية المستندة إلى الإحصاء الدقيق، والمقارنات السليمة، فقد أخضع التأريخ إلى العامل الاقتصادي وحده من دون أن يكون هناك أي أثر للضمير الإنساني والوعي الفكري أو العائلي أو العاطفي، وسائر النزعات الأخرى ومن الطبيعي ان لهذه العوامل الأثر الفعال في تطور المجتمعات الإنسانية وتقدمها فقد انبرى المصلحون إلى إصلاح الأوضاع العامة وتطوير وسائل الحياة، ولم يكونوا مدفوعين بأي دافع اقتصادي أو مادي.

لقد ساهم الكثيرون من المصلحين في بناء الحضارة الإنسانية فأقاموا المثل العليا، وفتحوا الآفاق الكريمة لشعوبهم، ولم يحفزهم إلى ذلك أي جانب مادي إنما كانوا مدفوعين بدافع الإصلاح وحب الخير العام(١).

الأدب:

ولم يعن الشيوعيون بالأدب ولم يحفلوا بقيمه سوى الذي يشيد بالنظم الماركسية والعوامل الاقتصادية، أو الذي يهاجم النظم الرأسمالية، فان ذلك عندهم المستوى الأعلى للشعور الفياض الذي يبلغ به الأديب القمة، وإن مني أدبه بضعف الأسلوب وهزال الفكر، ويعود السبب في ذلك إلى أن العامل الاقتصادي هو القاعدة الأساسية للأدب وسائر الفنون، ومن الطبيعي أنه لا واقعية لذلك فإن مسألة الأدب مسألة وجدانية غير خاضعة لأي عامل اقتصادي، وإنما هي نابعة من

(١) نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص ١١٢ ـ ١١٤.

شعور الإنسان وما يحيط به من مؤثرات لا تمت أكثرها بصلة إلى العوامل الاقتصادية، فما قيل في الرثاء من الشعر العاطفي الحزين الذي يهز أوتار النفوس، ويبعث في أعماقها حرارة الأسى والحزن، وما قيل في وصف الطبيعة والمناظر الكونية مما هو أبلغ واروع مما قيل في عالم الأدب، فهل كان ذلك مبعثه العوامل المادية؟ إن من يقول بذلك لم يفهم الواقع الأدبي القائم على العواطف والأحساس المجردين في كثير من الأحيان من المؤثرات المادية.

الكتب الدراسية:

إن سياسة الحزب الشيوعي تولي اهتماماً متزايداً بالكتب الدراسية، فانها تفحص فحصاً دقيقاً وشاملاً، ويعنى بجميع بنودها وموادها على أن لا تحفل بأي شيء يناهض الأفكار الماركسية، فقد أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي أمراً إلى قويسبار التعليم في ١٢ فبراير سنة (١٩٣٣) أنه يجب أن توزن كل كلمة وكل تعريف بما يتفق ومبادئهم، وقد جاء ذلك كرد فعل لعدم اهتمامهم بالكتب الدراسية في الفترة السابقة لعام (١٩٣٢).

وتعد الكتب الدراسية وتطبع تحت إشراف الدولة حتى تتأكد أنها تحوي المعلومات الأساسية المطلوبة في كل مادة، وانها تمثل وجهة النظر التي توافق عليها السلطات الحاكمة[١]، ومن الطبيعي أن هذه الإجراءات المشددة على التعليم تؤدي إلى حرمان النشء من الإطلاع على القيم العلمية الأخرى التي لها شأن كبير في بناء الشخصية العلمية وازدهار الحركة الفكرية في البلاد.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن النظام التعليمي الخاضع للمبادئ الماركسية التي تحدد من قيم التربية العلمية، وتهمل الكثير من جوانبها.

---

(١) دراسات مقارنة للمناهج: ص ٥٨ ـ ٥٩.

لقد تبين من هذا العرض الموجز للاطار الثقافي في ظل الأنظمة الرأسمالية والماركسية أنها قد عنت بصورة خاصة في العلوم الصناعية التي طورت الحياة بصورة مذهلة لم يحلم بها الإنسان في جميع أدوار تأريخه، ولكنها أهملت الجوانب الروحية، وسلطت معول الهدم على جميع القيم الإنسانية التي يمتاز بها هذا الإنسان، فلم يعد هناك ظل للرحمة ولا للتعاون بين أفراد المجتمع، كما انحلت روابط الأسرة، وفقد الإنسان كثيراً من الروابط الاجتماعية والقيم العليا التي لها الدخالة في توازنه وسلوكه.

وعلى أي حال فإن التخطيط الثقافي في التربية الحديثة سواء في الأنظمة الرأسمالية أو الشيوعية إنما يعنى ـ بصورة أولية ـ إلى دفع الشباب للحصول على الشهاده ليعيش بها، فإذا ظفر بها ونال الوظيفة أعرض عن العلم، ورمى الكتاب، وأقبل بعضهم بنهم على متعه ورغائبه.

وشيء آخر جدير بالاهتمام هو أن أغلب المتخرجين من المعاهد العالية سرعان ما ينسون أغلب معلوماتهم الدراسية، ويعزى ذلك إلى سرعة التعليم كما أفادت سيكولوجية دراسة التعليم، فقد أجريت سلسلة من الدراسات على طلبة الكليات فأنتجت أن ٥٠ ٪ من المادة الدراسية التي يعرفها الطالب قد نسيت خلال عام من دراسته وان ٨٠ ٪ قد نسي بعد عامين[1]، أن سرعة التعليم وعدم طلب العلم لذاته قد أعقب هذه النتائج السيئة.

---

(١) أساسيات المناهج: ص ١٦٦.

التخطيط الثقافي

في برامج التربية الإسلامية

إن الإسلام يؤمن بالعلم، ويؤمن بمقدرته الخلاقة على تطوير المجتمع الإنساني ونموه وازدهاره، كما يؤمن بأن المجتمع الذي لا يقبل على العلم إنما هو مجتمع متأخر ضعفت قواه العقلية وروابطه الفكرية، وانه لابد أن ينعزل عن موكب الحياة والنور، وقد أثر عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «هلاك أمتي في ترك العلم».

لقد أعلن الإسلام منذ بزوغ نوره مقاومته للجهل، ومناهضته للجمود كما تبنى بصورة إيجابية الدعوة إلى العلم، والدعوة إلى تفتح آفاق الفكر، واعتبر ذلك عنصراً أساسياً في تشكيل حياة الفرد والمجتمع، ومن أهم العوامل الدافعة للنهوض بالأمة ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، ومن ثم جعل طلبه فريضة من فرائضه، وعاملاً مهماً في بناء مجتمعه وتكوين حضارته.

وادّعى الغربيون أن الإسلام قد حارب الفكر، وقضى على حرية الرأي وحظر على معتنقيه الاشتغال بالعلم، يقول الكاتب الفرنسي (بيير لوتي) مشيراً لذلك ومفنداً له: «عندنا نحن الأوروبيين نعتبر من الحقائق الثابتة أن الإسلام هو دين من أديان الظلام الفكري التي تحول بين معتنقيها والنور، وهو يجلب الركود إلى الشعوب، ويضع أمامها العقبات في سيرها نحو ذلك المجهول الذي يدعونه

بالتقدم، وهذا يدل ـ قبل كل شيء ـ على الجهل المطلق بتعاليم النبي، وفوق ذلك هو نسيان مدخل لشهادات التأريخ..لأن الإسلام منذ القرن الأول قد جعل يتطور ويتقدم مع الأجناس المتباينة ونحن نعرف أي صعود سريع ذلك الذي منح اياه إبان حكم الخلفاء الأولين»[1]، ولا نعلم أن هناك إتهاماً أهزل ولا أرخص من هذا الاتهام، يحكم بكذبه وزيفه كل من نظر إلى واقع هذا الدين العظيم الذي جعل طلب العلم في مقدمة شؤونه، ومن أوليات مقاصده، وأثبت الفروق الهائلة بين العالم والجاهل وجعل المقياس في تفاوت الناس واختلاف قيمهم قدر ما يحسنون ويعلمون، يقول الإمام أمير المؤمنين رائد الحكمة والعلم في الأرض: «قيمة كل أمرء ما يحسنه».

وعلى أي حال فإن الذي يعنينا هو البحث عن المخططات الثقافية التي هي جزء من برامج التربية الإسلامية، ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعضها:

فضل العلم

وأولى الإسلام اهتمامه البالغ بشأن العلم، فأشاد بسموّه، وجعله عنصراً أساسياً من عناصر نهضته الفكرية، وقد أعلن القرآن الكريم ذلك، كما تواترت الأخبار عن النبي وأئمة الهدى ورجال الفكر في فضله، ونعرض لبعضها.

أ ـ في القرآن:

وأشاد الذكر الحكيم في غير آية من آياته بفضل العلم، وسمو مكانة العلماء قال تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾[2].

---

(١) موت فيليه: ص ٨٣.

(٢) سورة المجادلة: آية ١١.

وقال تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[2].

وقال تعالى: ﴿بل هو آياتٌ بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[4].

وهناك كوكبة أخرى من الآيات، قد أعطت الأهمية للعلم، وأشادت بفضل العلماء، وانهم مصدر النور، ومبعث الفكر في الأرض.

ب ـ في السنة:

وتواترت الأخبار الواردة عن الرسول الأعظم ﷺ وأئمة الهدى في فضل العلم، وهذه بعضها:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة[5] العلم»[6].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: «غدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة».

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد».

(١) سورة الزمر: آية ٩.

(٢) سورة النحل: آية ٤٣.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٤٩.

(٤) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٥) بغاة العلم: طلابه.

(٦) أصول الكافي: ١ / ٣٠.

٤ ـ قال ﷺ: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم».

٥ ـ قال ﷺ: «تعلموا العلم، فان تعلّمه لله حسنة، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة».

٦ ـ قال ﷺ: «اطلب العلم ولو بالصين»[1] وهو كناية عن المكان البعيد الذي تزم اليه الركائب بين مكاره السفر وشدائده.

إلى غير ذلك من الأخبار التي أثرت عن الرسول الأعظم ﷺ وهي تحث المسلمين وتدفعهم إلى التقدم في المجالات العلمية، وان لا يدعوا شبحاً للجهل في مجتمعهم لأنه مصدر التأخر والانحطاط ... أما ما أثر عن أئمة الهدى في فضل العلم فكوكبة كبيرة من الأخبار نلمع إلى بعضها.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله قد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه...»[2].

وحدّث الإمام أمير المؤمنين تلميذه كميل بن زياد النخعي عن فضل العلم فقال له: «يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله يا كميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

(١) يراجع في هذه الأحاديث المصادر التالية: مسند أحمد ٢ / ٢٥٢ و٣ / ٢٣٥ سنن ابن ماجة ١ / ٧١. وسنن الدارمي ١ / ٢٧. ومسند أبي داود ص ١٤. والمعبد ص ١٣ وأصول الكافي ١ / ٣٠.

(٢) أصول الكافي: ١ / ٣١.

يا كميل هلك خزّان الأموال، وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة»[1].

قال الإمام أبو عبدالله عليه السلام: «اطلبوا العلم، وتزيّنوا معه بالحلم والوقار»[2].

لقد تظافرت الأخبار المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي تدعوا المسلمين إلى تثقيف نفوسهم وبلورة أفكارهم، والتحلي بزينة العلم والأدب.

أقوال مأثورة

وأولى حشد من أقطاب الحركة الفكرية في الإسلام المزيد من اهتمامهم في دفع المسلمين إلى العلم، ولهم كلمات قيمة في فضله نشير إلى بعضها.

قال أبو الأسود الدوئلي: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام الناس، والعلماء حكام على الملوك»[3].

قال مصعب بن الزبير لولده: «تعلم العلم فان لم يكن لك جمال، كان لك جمالاً وان لم يكن لك مال كان لك مالاً».

قال الغزالي: «لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، فانهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الهمجية إلى حد الإنسانية...»[4].

قال الجاحظ: «لست أطلب العلم طمعاً في بلوغ غاية، والوقوف على نهاية، ولكن التماس ما لا يسمح جهله، ولا يحسن بالعاقل إغفاله...».

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده ٣ / ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) أصول الكافي: ١ / ٣٦.

(٣) تذكرة السامع: ص ١٠.

(٤) احياء العلوم: ١ / ٩.

قال ابن عبد البر: «اطلبوا العلم فان كنتم ملوكاً برزتم، وإن كنتم سوقة عشتم»[1].

وننهي بهذه الكلمات الحديث عن فضل العلم، وما له من الأهمية البالغة في الإسلام.

الأهداف العظيمة

لم يكن الغرض من طلب العلم - في الإسلام - يهدف إلى منافع مادية ضيقة، أو يجر إلى مكاسب شخصية لا صلة لها بواقع الروح والتهذيب، وإنما الغاية أنبل وأسمى شأناً من ذلك، ونشير - بإيجاز - إلى بعض تلك المقاصد العظيمة:

١ - أن يكون الداعي لطلب العلم خالصاً لوجه الله غير مشفوع بأي جهة مادية، فإن ما يعانيه الطالب من الجهد والعناء، وما ينفقه من السهر المتواصل، والتعب الشاق في تلقي العلوم لا ينبغي أن ينشد به شأناً ضيقاً من شؤون الحياة التي يرجع أمرها إلى التراب، وإنما ينبغي أن يقصد به مكسباً عظيماً يعود عليه وعلى المجتمع بالخير العميم، وليس هناك أسمى قصداً ولا أكثر عائدة من أن يطلب به رضا الله واليوم الآخر، وقد قصر (اخوان الصفا) أهداف التعليم على كل ما يقصد به وجه الله، فقالوا: «اعلم يا أخي أن كل علم، وأدب لا يحمل صاحبه على طلب الآخرة، ولا يعينه على الوصول إليها، فهو وبال على صاحبه وحجة عليه يوم القيامة...»[2].

وقصر الغزالي التعليم على هذه الجهة فقال: «أيها الولد، كم من ليال أحييتها

---

(١) جامع بيان العلم: ١ / ٢٨.

(٢) رسائل اخوان الصفا.

بتكرار العلم ومطالعة الكتب، وحرمت على نفسك النوم. لا اعلم ما كان الباعث منه إن كان نيل غرض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال فويل لك، ثم ويل لك، وإن كان قصدك إحياء شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الأمارة بالسوء، فطوبى لك، ثم طوبى...»[1].

وقد شجب النبي ﷺ جميع الدوافع المادية التي ينشدها من لا إيمان له، فقال ﷺ: «إن من تعلم العلم ليماري به السفهاء، أو يباهي به العلماء، أو يصرف وجوه الناس إليه، ليعظموه فليتبوء مقعده من الناو...»[2].

على هذه القاعدة المشرقة ركز الإسلام أهدافه الأصيلة في إلزامه بطلب العلم، وحتميته، يقول بعض المربين في الإسلام: «ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضا الله، والآخرة وإزالة الجهل عن نفسه، وعن سائر الجهال، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام، فإن بقاء الإسلام بالعلم...».

٢ ـ أن يكون الباعث له على طلب العلم نشر المعارف، وإشاعة التقوى بين الناس، وقد حرض الإسلام على النفر للتفقه في شؤون الدين، ومعرفة أحكام الله، وإبلاغها إلى الناس، قال تعالى:

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[3].

إن طلب العلم في الإسلام إنما يعنى به إذا قصد به تهذيب الناس، ورفع مستواهم، وإبعادهم عن جميع الوان الشذوذ والانحراف...وإذا كان طالب العلم معنياً بهذا الهدف العظيم كان ـ حقاً ـ من ورثة الأنبياء، ومن أئمة المتقين

---

(١) أيها الولد: ص ٩٤

(٢) تحف العقول: ص ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) سورة التوبة: آية ١٧٢.

والصالحين.

وعلى أي حال فإن من أهم الأهداف في التعليم الديني نشر العقيدة الإسلامية. وتعريف الناس بأحكام الشريعة، وتعويدهم على الأخلاق الفاضلة وإبعادهم عن الرذائل والأخلاق الفاسدة.

٣ ـ من دواعي التعليم في الإسلام إثارة الوعي الاجتماعي، وبعث الناس إلى التعاون، وطهارة القلب، وصفاء النفوس، وتنمية الشعور بالمسؤولية وتهيئة الوسائل التي تشجع على النمو الفكري والعلمي وتحسين الحياة العامة، وتحريرها من الفقر والمرض والجهل. فإن الطابع التعليمي في الإسلام لم يكن دينياً محضاً، ولم يكن دنيوياً محضاً، وإنما كان يلائم بين الدين والدنيا فهو يهدف إلى إعداد الناس للحياة الدنيا والآخرة، وقد حكى القرآن الكريم ذلك، قال تعالى:

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبكَ من الدنيا﴾[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه».

٤ ـ ومن الأهداف العظيمة التي يعنى بها التعليم الإسلامي نشر الوعي السياسي، وبلورة الفكر الاجتماعي، وتفتّح الذهنية العامة أمام المصالح العامة ومراقبة الشؤون السياسية، وإلى ذلك يهدف الحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ومن الطبيعي أن هذا الوعي إنما يتم في المجتمع الإسلامي إذا ازدهرت حياته الفكرية والعلمية، وأما إذا شاع الجهل فإن هذا الوعي الأصيل لابد أن يتلاشى، وينعدم ظله.. إن الأزمات الخطيرة التي مني بها العالم الإسلامي في كثير من مراحل حياته إنما كانت من النتائج المباشرة للانحطاط الفكري والاجتماعي.

---

(١) سورة القصص: آية ٧٧.

٥ ـ ويستهدف العلم في الإسلام تماسك الأمة ووحدتها، والقضاء على جميع التفرقة والانحلال، فإن المسلمين جميعاً إنما هم جسد واحد تجمعهم رابطة الإيمان التي هي أقوى من رابطة النسب، وهذه الروح الخيرة إنما تحصل فيما إذا انتشرت المعارف الإسلامية. وفهم المسلمون واقع دينهم العظيم، أن أهداف التعليم في الإسلام لا تقتصر على الشؤون الدينية، وإنما هي شاملة لجميع العلوم التي تتطور بها الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرهما، يقول بعض المعنيين في الشؤون التعليمية: «إن التعليم عند المسلمين كان يرمي إلى أربعة أغراض: غرض ديني، وغرض اجتماعي، وغرض يرجع إلى التلذذ العقلي، وغرض مادي»(١). هذه بعض الأهداف التي ينشدها الإسلام في المجالات العلمية.

وجوب التعليم

والظاهرة الفذة التي يمتاز بها الإسلام على بقية الأديان والمذاهب أنه أوجب على المسلمين وجوباً كفائياً تحصيل العلوم التي تنتظم بها حياتهم، كما يجب عليهم وجوباً عينياً التفقه في شؤون دينهم العظيم إما اجتهاداً أو تقليداً، فإن الجاهل به غير معذور، ففي الحديث: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له: هلا عملت؟ فيقول: لم أعلم! فيقال له: هلاّ تعلمت».

وقسم الغزالي العلم إلى قسمين: فرض عيني، وفرض كفائي، قال: واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه إلى أكثر من عشرين فرقة، كل فرقة حملت الوجوب على العلم الذي تذهب إليه. فقال المتكلمون: هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد، وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام، وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة، وعدّد

(١) التربية عند العرب: ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

الغزالي الكثير من تلك الفرق[1].

وذهب القابسي إلى أن تعليم الصبيان واجب، واستدل عليه أن المعرفة واجبة بنص القرآن الكريم، كما ان معرفة القرآن واجبة أيضاً لضرورتها في الصلاة، وإن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والصلاة، فإن لم يتيسر له أن يعلمه بنفسه فعليه أن يرسلهم إلى الكتّاب لتلقّي العلم بالأجرة، فان لم يكن قادراً على نفقة التعليم فآباؤه مكلفون به، وإذا عجزوا عن ذلك فان المعلم يعلمه احتساباً أو يأخذ أجرته من بيت المال[2]، وقد تركزت هذه النظرية عند فقهاء المذاهب فأفتوا بأنّ طلب العلم فرض على جميع المسلمين[3]، وروي عن ابن وهب أنه كان جالساً مع مالك يتذاكر معه في بعض المسائل العلمية فحضرت الصلاة فقام إليها فقال له مالك: ما الذي قمت إليه بأوجب عليك من الذي قمت عنه.

وعلى أي حال فإن الإسلام قد حتم على جميع المسلمين وألزمهم بتحصيل العلوم الدينية وغيرها لأجل تطويرهم، واقصاء الجهل عن واقع حياتهم، فان الجهل هو المصدر الوحيد للتأخر والانحطاط.

التعليم الاجباري

ويحتم الإسلام على الدولة أن تقوم بدور إيجابي بتحطيم أغلال الأمية، وأن تسعى جاهدة إلى نشر العلم والمعرفة بين الناس، ومن طريف ما نقل في هذا الموضوع أن عمر بن الخطاب لقي أعرابياً فقال له:

ـ هل تحسن أن تقرأ القرآن؟

---

(١) احياء العلوم.

(٢) التربية في الإسلام: ص ٩١ ـ ٩٢.

(٣) مقدمات ابن رشد: ص ١٤ ـ ١٥.

ـ نعم.

ـ اقرأ أم الكتاب.

ـ والله ما أحسن البنات فكيف الأم.

فضربه عمر ثم سلّمه إلى الكتّاب، فمكث مدة ثم هرب وأنشأ يقول:

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات

كتاب الله في رق صحيح وآيات القرآن منفصلات

فخطوا لي أبا جاداً وقالوا تعلم صعفصاً وقريشيات

وما أنا والكتابة والتهجي وما حظ البنين من البنات[١]

إن التعليم ضرورة من ضرورات الحياة، وعنصر هام في تقدم المجتمع ورقيه، وقد الزم الإسلام به كقاعدة أساسية في بناء مجتمعه، وأكد بالذات على خصوص التفقه في الدين، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لوددت أن أصحابنا ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا». وقال عليه السلام: «إني لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين إما عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فرّط، فان فرط ضيّع، فان ضيع أثم، فان أثم سكن النار، والذي بعث محمداً بالحق»[٢].

ان زمن الشباب دور القوة، والعزيمة، وزمان الجد والعمل وهو الدور الذي تتكامل فيه القوى، وتتوثب فيه النزعات فيجب أن تصرف طاقاته في العلم وتهذيب النفس، وتكاملها.

---

(١) تاج العروس: كلمة بجد.

(٢) أصول الكافي: باب وجوب طلب العلم.

الأجرة على التعليم

واختلف الفقهاء في جواز أخذ الأجرة على التعليم فأجازه قوم، ومنعه آخرون واستدل كلا الفريقين بأدلة دونت في الموسوعات الفقهية وغيرها...أما الشيء المحقق فهو ان الأخيار والمتحرجين في دينهم - في أكثر العصور الإسلامية - كانوا يتأثمون من الاكتساب بالتعليم، وكانوا يلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة وقد رؤوا أن التعليم هداية إلى الله، ولا يصلح أن يؤخذ عليه أجر شأنهم في ذلك شأن الأنبياء الذين لم يسألوا أحداً من أجر على هدايته...وقد امتنع فريق كبير من المعلمين من أخذ الأجر فقد كان الضحاك بن مزاحم وعبدالله بن الحارث يعلمان الأطفال، ولا يأخذان الأجر[١] وكانوا يتحرجون حتى من أخذ الهدية التي يقدمها أولياء الطلاب إليهم، فقد أثر عن عبد الرحمن السلامي أنه كان يعلم الأطفال في مسجد من مساجد الكوفة، ثم ذهب إلى بيته فوجد هدية من والد تلميذه فردها، ومعها كتاب جاء فيه: «نحن لا نعلم القرآن بأجر»[٢]. ويقول الحاج خليفة:

«فالعلوم ليس الغرض منها الاكتساب بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الأخلاق. على أن من تعلم علماً للاحتراف لم يأت عالماً إنما جاء شبيهاً بالعلماء ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا الأمر ونطقوا به، ولما بلغهم بناء المدارس في بغداد أقاموا مأتم العلم. وقالوا: كان يشغل به أرباب الهمم العالية والأنفس الزكية الذين يقصدون الشرف والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تداني إليه الأخساء وأرباب الكسل...»[٣].

---

(١) المعارف لابن قتيبة.

(٢) طبقات ابن سعد.

(٣) كشف الظنون ١ / ٥٣.

وكانوا ينفقون الأموال الضخمة في تحصيل العلم لذاته لا ليكسبون منه فقد قال أبوبكر محدث نيشابور: «انفقت في الحديث مائة ألف درهم ما كسبت بـه درهماً»[1]، ولما تطورت البلاد الإسلامية في العصور العباسية واتسعت الحـركة العلمية اتساعاً هائلاً، صار العلم سبباً للدخول في جهاز الحكم، كما صار سـبباً للمعيشة، ومنذ ذلك الوقت أصبح العلم يؤخذ عليه الأجر، يقول ابـن خـلدون: «وأضبح العلم من جملة الصنائع والحرف واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان، فدفع للعلم من قام به سواهم وأصبح حرفة للمعاش، وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدي للعلم...»[2].

ولا تزال تحتفظ بطابع التعليم المجاني الجامعة الدينية الكبرى في النجف الأشرف وقم فإن التعليم في جميع مراحل الدراسة فيهما لا يؤخذ عليه أجر، وإنما هو خالص لوجه الله تعالى.

سن التعليم

ورعى الإسلام جميع الجوانب المؤدية إلى ازدهار التربية والتعليم، وكان من بينها تحديده لسن التعليم، فقد حددها بما يتفق والنمو الفكري للطفل وهو السنة السابعة من عمره، فقد روى محمد بن يـعقوب عـن الإمـام أبـي عـبدالله الصادق رائد الحركة العلمية والفكرية في الإسلام أنه قال:

«الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سـبع سـنين، ويـتعلم الحـلال والحرام سبع سنين»[3].

(١) طبقات الشافعية: ٢ / ١٦٩.

(٢) المقدمة.

(٣) وسائل الشيعة: ٧ / ١٩٤.

وقال عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين فإن أفلح وإلا فلا خير فيه»[1].

لقد أعلن الإسلام هذه الظاهرة قبل أن تكتشفها دراسة سيكولوجية التعليم الحديثة التي قررت أن سن التعليم للطفل فيما هو إذا بلغ سبع سنين وأكدته منظمة اليونسكو العالمية، فقد جاء في مقرراتها التربوية ذلك... أما إرسال الطفل إلى المدرسة قبل أن يبلغ هذا السن فانه مما يوجب إرهاقه وعنائه، وشل نموه الفكري، ومن المؤسف أن أكثر الآباء يزجون بأبنائهم إلى المدرسة قبل أن يبلغوا هذا السن، يقول بعض المربين:

«ومن المشاهد المؤسفة في هذا العصر التكالب العنيف على التحصيل العلمي المجرد لدرجة جعلت الوالدين في كثير من الأحيان ينسون أن لأبنائهم طفولة، وان لهم قدرات وإمكانيات عقلية وجسمية محدودة، وأن لهم ميولاً ورغبات خاصة...ينسون كل ذلك، ويدفعون أبناءهم إلى التحصيل العلمي دفعاً قوياً لا هوادة فيه، ولا رحمة، على الرغم من صغر أعمارهم وضآلة قدراتهم فتجدهم يتعجلون إلحاقهم بالمدارس قبل الخامسة والسادسة ونجدهم يستكثرون عليهم ست سنوات أن يقضونها بالمرحلة الابتدائية فيحاولون القفز بهم من صف إلى صف، وتجدهم يرهقونهم بدروس خاصة تستنفد طاقاتهم، وتعطل عمليات نموهم...»[2].

ويقول العبدري:

«إن السلف الصالح كانوا يرسلون أبناءهم إلى الكتّاب في سنّ السابعة وهي السن التي يكلف فيها أولياء الأمور تعليم الأولاد الصلاة والفضائل والأخلاق، ولكن الأطفال يذهبون الآن للتعليم في سن مبكرة، فليحذر المدرس من تعليمهم

(١) وسائل الشيعة: ٧ / ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) مدخل الشرع الشريف: ٢ / ١٦٣.

القراءة في سن مبكرة لأن تعليمهم في هذا السن يرهقهم جسمياً وعقلياً...والواقع أن الآباء يرسلون أطفالهم إلى المدارس والكتاتيب مبكرين لا يقصدون تعليمهم، ولكنهم يريدون التخلص من متاعبهم بإبعادهم عن البيت...»[١].

إن إرسال الأطفال إلى المدرسة، وهم في سن مبكرة له مضاعفاته السيئة ومن أخطرها أنها تغرس في نفوسهم روح السأم والكلل، وتوقف نموهم الفكري.

وهنا ظاهرة فذة أكد الإسلام على رعايتها، وهي ضرورة قيام المربين والآباء بتغذية الأطفال بالروح الدينية خوفاً من أن تغزوهم الأفكار الالحادية، فقد أُثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها...»[٢].

إنه ليس هناك شيء أخصب من نفوس الصغار لنشر الدعوة الدينية واعتناق ما في الإسلام من خير وجمال...إن دعوتهم إلى الدين إنما هي تطهير لنفوسهم من الزيغ والضلال، وهداية لهم إلى مستقبل أفضل.

إن الطفل أكثر ما يكون قابلية للتشكيل، وأطوع ما يكون للتأثير بأي فكرة كانت، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته...» فيجب استغلال هذه الظاهرة وتوجيههم الوجهة الصالحة التي تتسم بالتوازن وحسن السلوك، ومن المؤسف إهمال المربين والآباء لذلك، فانهم لم يعنوا بمناعة أبنائهم من الاصابة بالأوبئة الفتاكة التي دهمت بلاد المسلمين من الوجودية وغيرها، فقد أصيب الكثيرون بجراثيمها، وصاروا من

---

(١) التخطيط للتربية والتعليم: ص ٨٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٧ / ١٩٧.

الضعة والهوان بأقصى مكان، فانطلقوا يحاكون (الخنافس) في ملابسها وأزيائها، والوجودية في تحللها وتسيبها، لا عن وعي ورشد، قد انعدمت فيهم جميع المقاييس التي توزن بها القيم الإنسانية، ويميز فيها بين الخير والشر...

أنواع العلوم

ويأمر الإسلام بالخوض والاختصاص بجميع أنواع العلوم والمعارف خصوصاً التي تتطور بها الحياة الفكرية والاجتماعية، بل ان بعضها يكون واجباً يتحتم على المسلمين القيام به كعلم الطب والصيدلة وغيرهما من سائر العلوم والفنون الصناعية، ويتأكد ذلك بصورة خاصة معرفة العلوم الحديثة والتخصص بها، فقد أصبحت أساساً لرقي الشعوب ونهضتها، فان من أوثق الأسباب التي أوجبت تدهور العالم الإسلامي، وتمزيق أوطانه، وتظافر القوى الاستعمارية على نهب ثرواته، والاستيلاء على مواده الاقتصادية هو ما مني به من الجهل والانحطاط الفكري، وتأخره في عالم الصناعات، وعدم مسايرته للدول الناهضة التي أقامت أسس حضارتها على العلم والفن.

وعلى أي حال فان العلم الذي حث الإسلام على طلبه لا يتقيد بنوع خاص، وإنما يشمل جميع أنواع العلوم والفنون، وقد فتق أغلب أبوابها أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين هم خزنة علم النبي صلى الله عليه وآله ومستودع حكمته وأسراره، فقد خاضوا في محاضراتهم وبحوثهم جميع ألوان العلوم العقلية والنقلية كعلم الفقه والحديث، وعلوم القرآن الكريم، وعلم الطب والكيمياء وغيرها، وكان الإمام الصادق عليه السلام له الضلع الأكبر في بلورة الحياة الفكرية، واتساع نطاق العلوم التي ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية، يقول الأستاذ السيد مير علي الهندي:

«ولا مشاحة ان انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم

الإسلامي، ولا يفوتنا أن نشير إلى ان الذي تزعّم تلك الحركة هو حفيد (علي بن أبي طالب) المسمى بالإمام (جعفر) والملقب بالصادق، وهو رجل رحب أفق التفكير، بعيد أغوار العقل ملم كل الإلمام بعلوم عصره، ويعتبر في الواقع أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام، ولم يكن يحضر حلقته العلمية إلا أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب فحسب، بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية»[1].

ويقول الأستاذ محمد صادق نشأة:

«كان بيت جعفر الصادق كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام، فكان يحضر مجلس درسه في أغلب الأوقات الفان، وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين»[2].

والمهم الذي نريد أن نؤكده أن الإسلام قد أقام حياته الفكرية على اشراق جميع أنواع العلوم وتطورها، ولم يتبن نوعاً خاصاً منها، يقول العقاد:

«العلم في الإسلام يتناول كل موجود، وكل ما يوجد، فمن الواجب أن يعلم فهو أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام، إذ انه خير عبادة أن يهتدي الإنسان إلى سر الله في خلقه، وان يعرف حقائق الوجود في نفسه ومن حوله...»[3].

نعم ان الإسلام أكد على ضرورة التفقه في الدين ومعرفة أحكام الله لأنها السبب في تنظيم العلاقات الاجتماعية، والسبب في توازن سلوك الشخص واستقامته، ولا يقتصر التفقه في الدين على معرفة الطقوس الإسلامية كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وغيرها، وإنما يشمل المعاملات من العقود والإيقاعات،

---

(١) جعفر بن محمد: ص ٥٩.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٨١

(٣) التفكير فريضة إسلامية: ص ٨٦.

والحدود والديات وغيرها مما عرضت لكل شأن من شؤون الحياة سواء في عالم الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد، وغيرها مما يتعلق بآداب السلوك والأخلاق.

العلوم المحرّمة

وحرّم الإسلام بعض العلوم والفنون، وحذر من تعلّمها واستعمالها لأنـها تحجب العقول، وتميت الوعي، وتسبب الخمول والجمود، وهي:

السحر:

وفي السحر أضرار بـالغة عـلى المـجتمع، فـهو يـوجب تـمسك النـاس بالأباطيل والخرافات، ويدفعهم إلى الإيمان بالأوهام والأضاليل، فتعليمه وتعلّمه حرام، وقد قرنه الإسلام بالشرك والكفر، ففي الحديث: «ان الساحر كالكافر»، وفي حديث آخر: «من تعلم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربه إلا أن يتوب»، وعن النبي صلى الله عليه وآله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم»[1].

إن من يتعاطى هذا الفن فهو مارق من الدين، ولا نصيب له من الإسلام، لأنه أداة تخريب وضلال، ومصدر عبث وفتنة بين الناس، وقد آمن بالسحر جملة من البسطاء والسذج، واتخذوا قـول السـحرة مـنطق الحـق الذي لا يـخطئ فكـانوا يفزعون إليهم للكشف عما يجهلونه، فإذا ألمت بهم حادثة جهلوا فاعلها كالقتل والسرقة بادروا إليهم ليخبرونهم عن الفاعلين لها حتى يقتصوا منهم، وفي كثير من الأحيان تلقي السحرة تبعة ذلك وجريرته على الأبرياء، مما أدى الى شيوع الفتنة والفساد في المجتمعات المؤمنة بقولهم.

(١) المكاسب للشيخ الانصاري. وقال الشهيد: في (الروضة) ان تعليم السحر حرام والتكسب به سحت. ويقتل مستحله.

علم النجوم:

وعلم النجوم يهدف إلى الاعتقاد بتأثير الكواكب في الأحداث، وان لها دخالة ذاتية في إيجادها وتكوينها على سبيل الاستقلال، بحيث يمتنع التخلف عنها امتناع تخلف المعلول عن العلة العقلية، أو الاعتقاد بأنها المدبرة لهذا العالم والموجدة لهذا الكون ـ كما يذهب لذلك بعض المنجمين ـ ومن الطبيعي أن ذلك يؤدي إلى إنكار الله تعالى، أو تعطيله عن التصرف في الحوادث السفلية بعد خلقه لهذه الأجرام والكواكب، وقد حذر الإسلام من تعلم ذلك أو الإيمان به ففي الحديث: «من صدّق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله»، وقد أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يسافر فبادر إليه بعض المنجمين فقال له:

«إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم.

فرمقه الإمام بطرفه، وقال منكراً عليه: أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها انصرف عنه السوء وتخوّف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا القول فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله تعالى في نيل المحبوب، ودفع المكروه... ثم قال: أيها الناس، اياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فانها تدعو إلى الكهانة، فالكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار...»[١].

هذا هو منطق الإسلام الهادف إلى الإيمان بالله، وربط مجريات الأحداث بمشيئته وارادته، وليس للأجرام السماوية أي دخالة في التأثير عليها...نعم يستثنى من العلم بالنجوم معرفة الأنواء الجوية، ومعرفة الخسوف والكسوف، وما يجري مجراها فإنها لا تتصادم مع الدين، ولا تخالف واقعه وهديه.

---

(١) المكاسب.

هذه بعض العلوم المحرّمة في الإسلام وهي ـ من دون شك ـ توجب شل الحركة الفكرية، وإماتة الوعي، وتبعث على الإيمان بالأوهام والخرافات.

تعليم المرأة

لم يكن التعليم في الإسلام وقفاً على الرجل فقط، وإنما كان للمرأة حظ وافر منه، فقد بعث الإسلام في نساء المهاجرين والأنصار حماسة لتعليم القراءة والكتابة، والتفقه في أمور الدين، ويروي البخاري أن النساء قلن للنبي ﷺ: «غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فعين لهن يوماً يلقاهن فيه، ويعلمهن»، وعدد البلاذري بعض النساء الكاتبات منهن حفصة زوج النبي ﷺ وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد التي قالت: علمني أبي الكتاب[1]، وكان عيسى بن مسكين يدعو بنيه وبنات أخيه فيعلمهن القراءة والعلم[2]، ويرى الجاحظ أن المرأة تمنع من الكتابة ورواية الشعر، ولكن تعلم القرآن، ومن القرآن سورة النور[3] وحضر القابسي من تعليمها خشية فسادها، وقال: «سلامتها من تعلم الخط انجى لها».

وهذا الرأي يفقد الأصالة العلمية، ولا يلتقي مع روح الإسلام وهديه فان الإسلام وجّه جميع أجهزته وطاقاته لإقصاء الجهل، ومحو الأمية، وجعل العلم حقاً ذاتياً لكل انسان ذكراً كان أو أنثى، وألزم الدولة بتهيأة الفرص المتكافأة بتحصيل العلم لكل انسان بغضّ النظر عن أصله وقوميته ومكانته الاجتماعية، وان كل انسان له الحق في المشاركة الواسعة في جميع ألوان النشاطات العلمية والفكرية.

---

(١) فتوح البلدان: ص ٤٥٨.

(٢) آداب المعلمين: ص ٢٢.

(٣) البيان والتبيين: ٢ / ٢.

إن رسالة الإسلام تبتني على العلم والإيمان بأنه عنصر هام من عناصر التقدم الاجتماعي للأمة والفرد على حدّ سواء، وهو ليس مقصوداً على الرجل فقط، إنما يشمل المرأة فانها القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها بناء الأسرة، وقد عني الإسلام بها عناية بالغة فأشاد بدورها ووظيفتها في إقامة المجتمع الإنساني، وازدهار الحياة وتطورها... إن عناية الإسلام بالمرأة لا نظير لها في جميع الأديان والمذاهب الاجتماعية، فقد أعطاها أقصى ما يمكن أن تعطى من الحقوق سواء في نطاق العلاقات العامة بالدولة أو المجتمع أو في نطاق العلاقات الخاصة بالأفراد.. فكيف يحضر عليها العلم الذي هو السبب في تطورها وتقدمها فكرياً واجتماعياً، وان من المحال أن تصل إلى أي مرتبة من مراتب الرقي والكمال ما لم تبن حياتها على العلم والدين.. نعم إن الإسلام يمنعها من التعليم المختلط، ويحضر عليها التبرج لان ذلك يدفعها إلى تيارات سحيقة من التفسخ والتحلل، ويوجب سقوط عفتها وكرامتها... الإسلام ينشد كرامة المرأة وأهاب بها أن تنزل إلى أي مستوى سحيق، وطلب منها أن تكون سيدة هذا الجنس وان تتولى توجيهه وتربيته، وتقوم باعداده للحياة على أسس سليمة.

مكانة المعلم

واحتفى الإسلام بالمعلم احتفاءً بالغاً، وأولاه المزيد من العناية والتكريم لأنه اللبنة الأولى في رقي المجتمع وتكامله، والسبب في تغيير سلوك الأفراد والجماعات، وتنمية أفكارهم، وتوجيههم الوجهة الصالحة، وكان النبي ﷺ يعنى به، ويرفع من مكانته، فقد أثر عنه أنه خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما فيه قوم يدعون الله عزوجل، ويرغبون إليه، وفي الثاني جماعة يعلمون الناس فقال: «أما هؤلاء فيسألون الله فان شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثت معلماً» ثم عدل إليهم وجلس معهم، وقد أعطى ﷺ بذلك خير مثل لتشجيع التربية والتعليم.

المعلم قدوة

ومما لا ريب فيه أن المعلم هو القـدوة الفـذة لتـلاميذه، فـمنه يكـتسبون العادات الطيبة، والاتجاهات السليمة، ومنه يستمدون حسن السلوك والتوازن فان سيرته وهديه ينفذان إلى أعماق قـلوبهم، فـعليه أن يـبالغ فـي تـهذيب نـفسه، ويروضها على الأخلاق الكريمة، والمثل العليا ليكون لهم أسوة حسنة قال بعض الخلفاء لمعلم ولده:

«ليكن اصلاحك بني إصلاحك لنفسك، فـان عـيوبهم معقودة بـعيوبك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت...»[1].

يقول بعض المربين:

«إن المعلم هو القدوة الصالحة.. يراقبه تلاميذه للأخذ عنه مـن حـيث لا يعلم...»[2].

ويقول مربٌ آخر:

«إن أكثر الناس مقلدون ينظرون إلى حال القائل، والذي لا ينظر إلى حال القائل، وإنما يقصر النظر إلى ما قاله فهو نادر، فلتكن عناية المعلم بتزكية نفسه أكثر منه بتحسين علمه ونشره...»[3].

ومن الأقوال المأثورة: «إن العـالم إذا لم يـعمل بـعلمه زلت مـوعظته مـن القلوب كما يزل القطر عن الصفا»[4] وما أروع هذه الأبيات التي نسبت إلى أبي

---

(١) الدر النضيد: ص ١٣٨. عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢ / ١٦٦.

(٢) الدر النضيد: ص ١٣٨.

(٣) مفتاح السعادة: ١ / ٤٣.

(٤) مختصر جامع بيان العلم: ص ٩٨.

الأسود الدوئلي:

يـا أيـها الرجـل المـعلم غـيره هـلّا لنـفسك كـان ذا التـعليم
لا تـنه عـن خـلق وتأتـي مـثله عـار عـليك إذا فـعلت عـظيم
وابدأ بنفسك فـانهها عـن غـيها فـإذا انـتهت عـنه فأنت حكـيم
فهناك يقبل إن وعظت ويـقتدى بـالقول مـنك ويـنفع التـعليم

ان ما منيت بـه النـاشئة الحـديثة مـن الشـذوذ والانـحراف عـن التـقاليد الاجتماعية كل ذلك ناشئ ـ على الأكثر ـ من تسيب بعض المعلمين، وتحللهم من القيم والآداب، فأثر ذلك في سلوك تلاميذهم.

حقوقه:

وللمعلم الحقوق الوافرة على تلاميذه، فـهو مـصدر تكـاملهم ومـعرفتهم بخبرات الحياة، وهو مصدر الإشعاع لعقولهم وأفكارهم، فحقه عليهم أكثر مـن حقوق آبائهم، فواجبهم أن يكنّو له أسمى الوان الاحتفاء والتبجيل، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«واما حق سائسك بالعلم فالتعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم بأن تنزع له عقلك، وتحضره فهمك وتذكي له قلبك، وتـجلي له بـصرك بـترك اللـذات، ونقص الشهوات، وان تعلم أنك فيما القى اليك رسوله إلى من لقيك من أهـل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه اليهم، ولا تخنه في تأديـة رسـالته، والقيام اذا تقلدتها»[1].

---

(١) تحف العقول: ص ٢٦٠.

وحفلت هذه الكلمات الذهبية باروع حقوق المعلمين، وأكثرها عائدة على الأمة توجيهاً وسلوكاً واخلاقاً.

إن الهيئة التعليمية لها أوفر الحقوق وأكثرها لا على الطلبة فحسب بل على الأمة بأسرها لأنها مصدر النور والوعي الذي تستمد منه عوامل نهضتها وارتقائها... فعلى جهود المعلمين تتأسس الحضارة، وتزدهر معالم الحياة وتتحقق الآمال الجسام التي تصبو إليها الأمة في جميع مراحل حياتها.

آدابه ومسؤولياته:

وادلى علماء التربية القدامى من المسلمين ببعض الآداب والمسؤوليات التي ينبغي للمعلم أن يطبقها على واقع حياته العلمية، وهي ـ من دون شك ـ مما توجب جعله قدوة فذة، ومثالا يحتذى به، كما توجب ازدهار التربية والتعليم، وايجاد نشء متسم بالتوازن وحسن الأخلاق وهي:

١ ـ أن يقصد بعمله التهذيبي وجه الله. وأن يكون اشتغاله بالتعليم في سبيل الله تعالى لإصلاح ناشئة المسلمين لا طمعا في مال أو جاه، فان كان قصده ذلك ضل، قال سفيان بن عيينة: «كنت قد أوتيت فهم القرآن فلمّا قبلت الصرة ـ أي المال ـ من أبي جعفر سلبته».

٢ ـ أن يكون قوي اليقين بالله عزوجل، وأن يقوم بشعائر الدين واظهار السنن واخماد البدع. وأن يتخلق بمحاسن الأخلاق حتى يقذف الله في قلبه الفهم، قال ابن مسعود: «ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب».

٣ ـ أن يتنزه في ساعات فراغه عن امتهان المهن الحقيرة، كالحجامة والدباغة وما الى ذلك.

٤ ـ أن ينظف جمسه بإزالة الأوساخ وتقليم الأظافر، واجتناب الروائح الكريهة.

٥ ـ أن يقتصد في ملبسه ومطعمه ومسكنه، قال الشافعي: «ما شبعت منذ ستة عشر سنة».

٦ ـ أن يبتعد ما استطاع عن الحكام والملوك، قال الأوزاعي: «ما شيء أبغض إلى الله من عالم يزور وزيراً».

٧ ـ أن يتشبه بأهل الفضل والدين من معلمي الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أكابر العلماء.

٨ ـ أن يكون ذا عناية بالعلوم المفيدة، وان يتجنب غير المفيدة التي يقل نفعها، ويكثر الجدل فيها، والقيل والقال عنها.

٩ ـ أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة من نوع ما روي عن شقيق البلخي استاذ حاتم الأصم، فقد قال لحاتم:

« ـ منذ كم صحبتني؟

ـ منذ ثلاث وثلاثين سنة.

ـ ما تعلمت مني في هذه المدة؟

ـ ثمان مسائل.

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك، ولم تتعلم إلا ثمان مسائل.

ـ لم أتعلم غيرها، ولا أريد أن أكذب.

ـ هاتها، حتى أسمعها.

ـ محبة الحسنات، ومدافعة الهوى، والعدالة والتقوى، ومصادقة الحق،

وعداوة الشيطان، وملازمة الطاعة، وترك الذل للخلق بسبب المعيشة، والتوكل على الله.

فطفق شقيق يبدي إعجابه، وإكباره قائلاً:

ـ يا حاتم وفقك الله. إني نظرت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فرأيتها تدور على هذه المسائل الثمان».

١٠ ـ أن لا ينصب نفسه للتعليم حتى يستكمل أهليته، ويشهد له أفاضل أساتذته بذلك، قال الشبلي: «من تصدّر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه».

١١ ـ أن يؤدب طلابه وتلاميذه بسيرته وعمله تأديبهم بقوله وموعظته.

١٢ ـ أن يحب تلاميذه، ويصونهم عن الأذى ما استطاع، قال أبو عباس: «أكرم علي جليسي الذي يتخطى الناس حتى يجلس إلي، ولو استطعت أن لا يقع عليه الذباب لفعلت».

١٣ ـ أن يغفر لتلاميذه خطاياهم، ويعذرهم على هفواتهم، فان أراد تنبيههم على ذنوبهم لمح لهم، فان لم يتعظوا صرح لهم. فان لم يفدهم ذلك وبخهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علموا ولا تعنفوا، فان المعلم خير من المعنف» وقال: «الينوا لمن تعلمون، ولمن تتعلمون منه».

١٤ ـ أن يرحب بطلبته إذا حضروا إليه ويسأل عنهم إذا غابوا عنه.

١٥ ـ أن يقول: لا أدري إذا سئل عما لا يعرفه، قال ابن مسعود: «يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فان من العلم أن تقول: الله أعلم».

١٦ ـ أن يتفهم مستوى طلابه، ويخاطبهم على قدر فهمهم وإدراكهم فيكتفي للحاذق بالإشارة، ويوضح لغيره بالعبارة، ويكرر لمن لا يعلم.

١٧ ـ أن يذكر لهم قواعد الفن التي لا تنخرم مطلقاً أو غالباً مع مستثنياتها إن كانت موجودة، وان يحرضهم على الاشتغال في كل وقت ويطالبهم بإعادة محفوظاتهم فمن وجده حافظاً أثنى عليه، ومن وجده مقصراً عنّفه، وان يطرح عليهم أسئلة يختبر بها أفهامهم، ويأمرهم بالاعتدال في الطلب إذا ما أسرفوا فيه، وظهر ذلك على أجسامهم، وفي وجوههم، واذا ما رأى من أحد ضجراً أو نحوه أوصاه بالراحة والاستجمام.

١٨ ـ أن لا يعلم أحداً ما لا يحتمله ذهنه أو سنه، ولا يشير على أحد بقراءة كتاب يقصر عنه ذهنه، فان استشاره من لا يعرف حاله في قراءة فن مشكل، أو كتاب معضل أو بحث عريض، لم يشر عليه بشيء حتى يمتحنه، فاذا امتحنه سمى له الكتاب الذي يقدر عليه، ولا يمكن طالباً من الاشتغال بعدة فنون لا يستطيع اتقانها معاً.

١٩ ـ أن لا يدّرس، وهو منزعج النفس فيه ملل أو مرض أو جوع أو غضب فان ذلك مضر بنفسه وبطلابه.

٢٠ ـ أن لا يطيل في درسه تطويلا مملاً، ولا يقصره تقصيراً مخلاً، وان لا يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن سماع الحاضرين.

٢١ ـ أن يجعل للطلاب أوقاتاً معينة يعرضون فيها عليه ما حفظوه من القرآن والكتب، وكان المعلمون قديماً يجعلون ذلك عشية يوم الأربعاء وصبيحة يوم الخميس، وطيلة الجمعة للاستراحة والاستجمام.

٢٢ ـ أن يساوي بين طلابه فلا يميز بعضهم على بعض فقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ايما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين» كما أن عليه أن لا يكون في مجلسه مكان يتميز فيه بعض التلاميذ على بعض بل كل من جلس فيه فهو أولى به.

٢٣ ـ أن يرعي ميول المتعلم، ورغباته النفسية فيعلمه العلم الذي يرغب فيه، فإن لم تكن عنده بضاعة فيه أرشده إلى من يعلمه، يقول ابن سينا: «ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له ومواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه، وانه لو كانت الآداب والصناعات تجيب، وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة، ما كان أحد غفلاً من الأدب، وعاريا من صناعة. وإذاً لو اجتمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات، وربما نافر طباع الناس جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء...ولذلك ينبغي لمدبر أمر الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويسبر قريحته، ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك...».

٢٤ ـ أن يكافئ الطالب المجد، ويمدحه أمام الطلاب قال ابن مسكوب: «ويمدح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل، وفعل حسن، ويكرم عليه».

٢٥ ـ أن يكون دقيقاً في معاملته للطالب يعد عليه انفاسه، ويحاسبه على جميع حركاته وسكناته.

٢٦ ـ أن ينمي في نفوس تلاميذه الرغبة إلى طلب العلم، ويبين لهم أنه من أهم المكاسب التي تعود عليهم وعلى المجتمع بالخير العميم، فان هذه النزعة الكريمة إذا انطبعت في نفوسهم اندفعوا وراء العلم بلذة وشوق وازدهرت بذلك الحياة الفكرية والعلمية في البلاد[1].

وحفلت هذه الأمور بجميع المقومات للتربية الرفيعة التي تستهدف ايجاد الإنسان الكامل في سلوكه واتجاهاته وميوله.

ولما كانت الهيئات العلمية في العصور الإسلامية الأولى تسير على وفق

---

(١) مصادر البحث: الوثيقة لابن عبدون (ص ٢١٤) المدونة للامام مالك: ٤ / ٢٦ تدريب الراوي للنواوي: ص ١٢٨ احياء العلوم للغزالي: ٣ / ٦٢ تهذيب الأخلاق. تذكرة السامع لابن جماعة: ص ٣٠ آداب المعلمين: ص ٤٣. نظم القلادة للبكري: ص ٩٩ آداب المريدين لابن عربي: ص ٣ تحف العقول. الوعي التربوي: ص ٤٨.

هذه البرامج استطاعت أن توجد النشء الصالح المتسم في سمو أدبه، وكمال نضوجه، وأن تحقق أروع نهضة علمية امتدت موجاتها المشرقة إلى جميع العصور.

طريقة التعليم

وتبنى المربّون القدامى من المسلمين منهجاً خاصاً للتعليم يعود بالخير العميم على المتعلمين، ونشير إلى بعض بنوده.

أ ـ ترك الشدة:

وينبغي للمعلم أن يعامل طلابه بالرفق واللين، وأن يجتنب الشدة والقسوة وذلك لأنهما يعوقان النمو الفكري، ويخلقان في نفس التلميذ عقداً نفسية خطيرة، يقول ابن خلدون:

«إن ارهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم، ولا سيما في اصاغر الولد، ومن كان مرباه بالعسف».

ب ـ العقوبات البدنية:

وإذا شذ الطالب في سلوكه أو أهمل دروسه، ولم ينفع معه النصح فإن اللازم تأديبه حتى يثوب إلى الهدى والرشاد، وكان المعلمون في العصور الإسلامية الأولى يلجأون إلى عقوبة الضرب والحبس حتى مع أبناء الملوك فقد ضرب أبو مريم مؤدب الأمين والمأمون الأمين بعود فخدش ذراعه فدعاه الرشيد فعمد أن حسر ذراعه أمام أبيه فسأله عن أمره فقال له: «ضربني أبو مريم. فأرسل

الرشيد خلف أبي مريم فقال له: ما بال محمد يشكوك؟

ـ غلبني خبثاً وعرامة.

ـ اقتله فلأن يموت خير من أن يموق»[1][2].

وورد في وصية الرشيد إلى الأحمر مؤدب ولده: «وقوّمه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة...»[3] وشاهد أبو نواس الشاعر الخليع عقوبة نزلت بأحد الصبيان في مكتب حفص فنظمها بقوله:

قال حفص: اجلدوه ... إنه عندي بليد

لم يزل مذ كان في الدرس ... عن الدرس يحيد

كشفت عنه خزوز ... وعن الخز برود

ثم هالوه بسير ... لين ما فيه عود[4]

وكان الأب يقول لمعلم ولده: «لك اللحم ولي العظام» وكان الضرب والتعذيب عند بعض المعلمين من أعظم وسائل التربية إلا أنه أمر مغلوط لا يقره الإسلام فانه يرى أن التربية يجب أن تتركز على الرحمة والشفقة واللين ويجب أن تبتعد عن جميع الطرق الملتوية..أما إذا شذ الطفل في سلوكه فليس له أن يسرف في ضربه وتعذيبه لأن ذلك يخلق عقداً نفسية عند الطفل، ويعوق عن نمو تربيته وازدهار شخصيته يقول ابن خلدون:

«وان أرغم المعلم بالقهر، سطا بالمتعلم القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث خوفاً

(١) الموق: الحمق في غباوة.

(٢) محاضرات الأدباء: ١ / ٣٠.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص ٣٩٩.

(٤) ديوان أبي نواس: ص ٤١٨.

من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب..»[١].

وفي الحديث: «علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف»[٢] ويقول ابن قتيبة: «يستحب للعالم إذا علم أن لا يعنف وإذا علم أن لا يأنف»[٣].

وقد شبّهوا المعلم بالوالد العطوف فقالوا: «المعلم للصبيان عوض عن آبائهم»[٤].

وقالوا: «ينبغي له ـ أي للمعلم ـ أن يعتني بمصالح الطالب، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه، والإحسان اليه، والصبر على جفاء ربما وقع منه..وأن يوقفه على ما صدر منه بنصح وتلطف لا بتعنف وتعسف»[٥]، وسأل بعضهم القابسي وهو من أعلام المربين في القرن الرابع الهجري فقال له: «هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان أو يرفق بهم، ولا يكون عبوساً؟

فأجاب القابسي:

إذا أحسن المعلم وضع الأمور في موضعها..والنظر في زجر الصبيان لا يخرجه من حسن رفقه بهم، ولا من رحمته اياهم. فانما هو عوض عن آبائهم، فكونه عبوساً أبداً من الفظاظة الممقوتة، ومما يوجب جرأة الصبيان عليه»[٦].

إن شدة المعلم تخلق عقداً نفسية عند الطفل، وتوجب سأمه من العلم

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ص ٥٤٠.

(٢) نهج التعلم للبوبكاني: ص ٨٣.

(٣) عيون الأخبار.

(٤) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين للقابسي: ص ٥٤.

(٥) تذكرة السامع: ص ٤٩.

(٦) تذكرة السامع: ص ٤٦.

وعدم الرغبة فيه.

ج ـ الزجر بالتعريض:

ويرى المربون في الإسلام أن من وسائل التعليم أن يزجر الطالب بالتعريض فيما إذا شذ في سلوكه أو أخلّ بواجبه فان ذلك أردع له من التصريح بالذنب، فقد قالوا: «إذا رأى المعلم من أحد طلبته مكروهاً ولحظ في سلوكه اعوجاجاً فلا يصرح له بذلك مباشرة، بل يعرض إليه في سياق كلامه مع الطلبة جميعاً كاشفاً عن وجه المذمة في المكروه اجمالاً فتحصل بذلك الفائدة المنشودة»[1].

وهذه الطريقة أكثر عائدة على المتعلم من النقد الذي يجره إلى التمرد والإصرار على الخطأ، وقد أكد الإسلام ذلك في مقام الإرشاد والتعليم، فقد أُثر عن سبطي النبي ﷺ الحسن والحسين انهما اجتازا على شيخ لا يحسن الوضوء، وكانا طفلين، فرأيا أنهما إذا قالا له: إنك لا تحسن الوضوء مع كبر سنك ربما تأخذه العزة في الإثم، فأجمعا على أن يتوضآ أمامه ليرى أي الوضوئين أحسن، وانطلقا إلى الشيخ فأخبراه بذلك، وقاما فتوضآ أمامه فتنبه الشيخ إلى خطأه من دون أن يأنف، وطفق يقول لهما:

«يا سيديَّ كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن عمكما الشيخ لا يحسن شيئاً» وقد تبنى الإسلام هذه الطريقة النيرة، وأكد على ضرورتها لانها ترجع الضال في مسيرته إلى جادة العدل والقصد، وتوجب سلامته من الشذوذ والانحراف، قال المربون: إذا لم يصلحه التعريض لقلة فهمه وإحساسه صارحه ونهاه عن ذلك سراً فان لم ينته نهاه جهراً، ويغلظ له في القول إذا اقتضى الحال ذلك، وان لم ينته

---

(١) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين: ص ٥٤.

فيطرده، ويعرض عنه إلى أن يرجع[1].

آداب المتعلمين

وأولى علماء التربية في الإسلام المزيد من العناية والاهتمام بشأن طلاب العلوم، فوضعوا لهم المناهج الرفيعة الهادفة إلى تهذيبهم، واتصافهم بالأخلاق الكريمة، والآداب الفاضلة، ونشير - بايجاز - إلى بعضها:

١ - أن يطلب العلم لله، وللدين لا لأمور الدنيا، ولا لأي غرض زائل فاذا عقد نيته على الإخلاص لله، رفع الله من شأنه، وذلل له الصعوبات، وسهل له العسير، ومنحه الفهم والذكاء، ووهب له الخير في آخرته ودنياه.

٢ - أن يحافظ على شعائر الدين، ومكارم الأخلاق، واظهار السنن وأن يخشى الله في سره وعلانيته، ويطهر قلبه من الصفات الذميمة، كالحسد والرياء والعجب والكبرياء، فإن هذه الأمور من أخبث الصفات، وهي مما تحجب التوفيق عنه، قال بعض المربين:

«كما لا تصح الصلاة إلا بتطهير الظاهر من الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة القلب بتعلم العلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق، ونجاسات الصفات، وليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذف في القلب...».

٣ - عليه أن يتزين بالحلم والوقار، فقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال: «تعلموا العلم، وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن علّمتموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء»[2].

---

(١) أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين.

(٢) مصادر البحث: المنبد للعلموي: ص ١٣، أصول الكافي: ١ / ٣٦، التربية والتعليم في الإسلام: ص ٧٤ - ٧٦، الفارابي رسالة في السياسة ص ٢٩.

وقال الإمام أبو عبدالله الصادقعليه السلام:

«اطلبوا العلم، وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم».

ومن الطبيعي أنه إذا تزين الطالب بهذه الأخلاق الكاملة صار قدوة للغير وأثر تأثيراً إيجابياً على سلوك الناس وأخلاقهم.

٤ ـ أن يجدّ في الدراسة، ويبذل قصارى جهده في التحصيل، فان العلم ليس الهامياً، وإنما هو من الأمور الكسبية، فكلما سعى جاهداً في التحصيل ظفر بالثروة العلمية، كما أن عليه أن يحافظ على الوقت، ولا يتأخر عن موعد الدراسة فان ذلك مما يوجب تأخره، وضياع دروسه، وزهادة المدرس فيه.

٥ ـ أن لا يفرط في الدراسة، فانه ينهك القوى، ويعيق النمو الفكري فلابد له من الوقت الكافي لراحته، وتقوية جسمه، واستجمامه، فان للبدن على الإنسان حقاً فلابد من رعايته، يقول الغزالي:

«ينبغي أن يؤذن للولد بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً، يستريح اليه من تعب العلم بحيث لا يتعب في اللعب، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم مما يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه».

٦ ـ أن لا يسال أستاذه أسئلة تعنت وتعجيز، فذلك مما يوجب سلب التوفيق عنه لأنه يتطاول بالعلم، وفي نفس الوقت لم يرعَ حرمة أستاذه التي هي أولى بالرعاية من كل شيء.

٧ ـ أن ينظر إلى أستاذه بعين الإجلال والاحترام، فان حقوقه عليه أوفر من حقوق أبيه، ويروى عن الشافعي أنه قال: «كنت اصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها». كما أن عليه أن يبجل أستاذه في حال

حضوره وغيبته، وان يخاطبه باسمى عبارات التكريم والاحتفاء، ولا يناديه باسمه، وأن يصبر على بعض هفواته، أو جفوته، وسوء خلقه، قال الشافعي: «قيل لسفيان بن عيينة ان قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم، يوشك أن يذهبوا، ويتركوك، فقال: هم حمقى إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي». كما أن عليه أن يسبق أستاذه في الحضور إلى مجلس الدرس، وان يجلس أمامه، ولا يستند بحضرته إلى حائط أو وسادة أو يدير ظهره اليه فإن ذلك مما يتنافى مع حقوق الأستاذ، وعليه أن يلقي بسمعه وحواسه لما يلقيه، ولا يجعل أستاذه يحتاج إلى إعادة الكلام، كما أن عليه أن لا يتثأب أو يتجشأ أو يضحك أمامه، وأن لا يسخر منه، أو يقوم ببعض الأعمال التي تحط من قدر أستاذه.

٨ ـ أن لا يجمع في دراسته بين علمين في وقت واحد فإن ذلك مما يوجب انشغال فكره، يقول ابن خلدون: «وان لا يخلط علمين معاً فانه حينئذٍ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال، وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر».

٩ ـ عليه أن لا يعاشر غير اخوانه المجدين من أهل العلم فانه يتأثر بسلوكهم، وقد قيل إن الحياة الاجتماعية حياة تأثير وتأثر فكل انسان يتأثر فيمن حوله، ويؤثر فيمن حوله فاذا كان صاحبه مصاباً بالكسل والخمول فان ذلك يؤثر فيه حتماً.

١٠ ـ ان لا يفتش في بداية دراسته عن اختلافات العلماء واقوالهم الغامضة خصوصاً في المباحث العقلية فان ذلك مما يفسد ذهنه، وطبعه.

١١ ـ أن لا ينتقل من درس إلى آخر بعمل إلا بعد اتقان الدرس الأول، وليس له اهماله فانه يؤدي إلى التأخر، وعدم الإتقان.

ازدهار الحياة العلمية

وأوجد الإسلام انقلاباً تاماً على جميع المفاهيم السائدة في العصور الجاهلية من الجهل والإيمان والخرافات، والانقياد وراء الاضاليل والأوهام فاوجد وعياً أصيلا وتطوراً هائلاً في المجالات الفكرية والعلمية، وقد وجه جميع أجهزته لبلورة الفكر، ونشر العلم، والقضاء على جميع التقاليد الاجتماعية التي لا تحمل هدياً، ولا وعياً.

وقد عمت الثقافة الإسلامية جميع المناطق التي دخلها نور الإسلام، فعن ابن حزم قال: «مات رسول الله ﷺ والإسلام قد انتشر وظهر في جميع الجزيرة العربية من منقطع البحر المعروف ببحر (القلزم) ماراً إلى سواحل اليمن كلها، إلى بحر فارس إلى منقطعه مارا إلى الفرات، ثم على ضفة الفرات إلى منقطع الشام إلى بحر (القلزم) وفي هذه الجزيرة من المدن والقرى ما لا يعرف عدده إلا الله كاليمن والبحرين وعمان ونجد، وجبلي طي وربية، وقضاعة، والطائف ومكة، وكلهم قد أسلموا، وبنوا المساجد، ليس منها مدينة، ولا قرية، ولا حلة لأعراب إلا قد قرئ فيها القرآن في الصلوات، وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب». وأضاف يقول:

«ثم مات أبوبكر، وولي عمر ففتحت بلاد الفرس طولاً وعرضاً وفتحت الشام كلها، والجزيرة، ومصر كلها، ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد، ونسخت فيه المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن، وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً»[1].

وقد هيأت الأمبراطورية الإسلامية العظمى جميع الفرص المتكافئة للتعليم حتى لم يكن هناك شيء ابذل من العلم، فقد فتحت المساجد والمعاهد ودور العلم والحكمة أبوابها أمام الجميع، وقدمت الدولة الإسلامية جميع ما يحتاج اليه

---

(١) التربية في الإسلام: ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

الطلاب من النفقات لتمكنهم من التفرغ لطلب العلم[1].

ولم يقتصر الوعي الثقافي والعلمي ـ في العصور الإسلامية الأولى ـ على الأساتذة والطلاب وأصحاب المكتبات، وإنما كان عاماً بين المسلمين، فقد روى المؤرخون أن شاباً هاجر إلى بغداد لطلب العلم، وبعد أن نال بغيته من العلم أراد السفر إلى وطنه فاستأجر دابة لتبلغه إلى أهله، وقبل أن يسافر سمع نقاشاً علمياً يدور بين اثنين من أصحاب الحوانيت القريبة منه فأعجب بذلك، وتأثر منه، وطلب من صاحب الدابة أن يعيده إلى محل اقامته ببغداد، وقال له: إن بلداً باعته بهذه المنزلة من العلم لا ينبغي أن يرحل عنه.

وعكفوا على مطالعة الكتب، وهاموا بها، حتى كانوا في أثناء مطالعتهم لا يستجيبون لمن دعاهم، فقد أرسل أحد الخلفاء خادمه ليطلب له عالماً يسامره، ويتحدث معه، فلما جاء الخادم وجده جالساً، وحوله كتب كثيرة يقرأها فقال له:

ـ إن أمير المؤمنين يستدعيك.

ـ قل له: إن عندي قوماً من الحكماء أحادثهم، فاذا فرغت منهم حضرت اليه.

فعاد الخادم إلى الخليفة وأخبره بذلك فقال له:

ـ ويحك من هؤلاء الحكماء الذين عنده؟!!

ـ والله يا أمير المؤمنين ما عنده أحد.

ـ احضره الساعة كيف كان.

وانطلق الخادم فاحضره في الوقت فقال له الخليفة:

---

(١) التربية الإسلامية: ص ٣ ـ ٤.

ـ من هؤلآء الحكماء الذين كانوا عندك؟

ـ يا أمير المؤمنين

هم جلساء ما نمل حديثهم ... أمينون مأمونون غيباً ومشهدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم ... معيناً على نفي الهموم مؤبدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً وسؤددا
فلا ريبة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلت أمواتاً فلست بكاذب ... وإن قلت أحياءً فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه يشير إلى الكتب فأعجبه ذلك، ولم ينكر عليه تأخره. وبلغ من إقبالهم على العلم انهم كانوا ضنينين بكتبهم لا يبيعونها إلّا عند العسر الشديد فقد حدّث المؤرخون أن الشريف المرتضى اشترى من أبي على بن أحمد الفالي نسخة من الجمهرة لابن دريد فتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها وهي:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب بهن ضنين

فأرجع السيد إليه النسخة، وترك ثمنها[١] وكانوا يرون ان مجالسة السوق مذمومة إلّا عند باعة الكتب، وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

---

(١) الكنى والألقاب: ٢ / ٤٤٠.

مـــجالسة الســوق مــذمومة　　مــنها مــجالس قــد تــحتسب
فلا تقربن غـير سـوق الجـياد　　وسوق السلاح وسوق الكتب
فـــهاتيك آلة أهـــل الوغـــى　　وهـــاتيك آلة أهـــل الأدب

وعلى أي حال فإن الحياة العلمية قـد ازدهـرت فـي العـصور الإسـلامية ونشطت الحركات الفكرية، وأخذت النوادي ودور الخلفاء والمحلات العـامة تعج بالمسائل العلمية، ومذاهب الكـلام والفـلسفة، وغـيرها مـن ألوان الثـقافة العالية.

مراكز الثقافة الإسلامية

وكانت يثرب دار هجرة النبي صلى الله عليه وآله المركز العام للـثقافة الإسـلامية، فـمنها امتدت الحركة العلمية والثقافية إلى سائر أنحاء العالم العربي والإسلامي. وكـان جامع النبي صلى الله عليه وآله هو المعهد الأعلى الذي يتلقى فيه المسلمون شـؤونهم الديـنية والعلمية، كما كان مـركزاً لإدارة شـؤون الدولة، والنـظر فـي قـضاياها السـياسية والعسكرية...وقد اتخذ المسلمون هذا الجامع العظيم معهداً لهم فـي كـثير مـن فترات تأريخهم، فكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يلقون فيه محاضراتهم القيمة التـي تناولت كثيراً من العلوم والمعارف، وقد جعله الإمام الصادق عليه السلام مركزاً لجامعته الكبرى التي ضمت أربعة آلاف طالب، وفيهم من أئمة المذاهب الإسلامية كأبي حنيفة، ومالك، وسفيان بن عيينة...وكذلك كان الامام موسى بن جعفر عليه السلام يلقي في بهوه دروسه العلمية، وإلى جانب المسجد النبوي كان جامع قـبا، فـقد كـان منتدى للوفود ومركزاً للحلقات الدراسية، وفيه فقه النبي صلى الله عليه وآله أصحابه، وأرسلهم إلى مختلف أنحاء الجزيرة لينشروا دينهم العظيم ويدعوا الناس إلى فعل الخـير والنهي عن المنكر.

لقد كانت الجوامع هي المعاهد العامة للتعليم، وقد انتشرت في معظم المدن الإسلامية، وكان من اهمها جامع الكوفة فقد التحق به كبار المتخرجين من مدرسة الامام الصادق عليه السلام، وكان عددهم تسعمائة عالم كما حدثنا بذلك الحسن بن علي الوشا، قال: «أدركت في هذا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد...»[١].

وأحصى المقدسي في المسجد الجامع بالقاهرة وقت العشاء مائة وعشرة مجالس من مجالس العلم[٢] وكان جامع المنصور ببغداد أشهر مركز للتعليم في المملكة الإسلامية، وقد جلس فيه ابراهيم بن محمد المعروف بنفطويه خمسين سنة يلقي فيه دروسه[٣].

وتعتبر أول مؤسسة علمية في الإسلام «دار القرآن» فقد أسست لتعليم القرآن الكريم، وكان بعض القراء يسكنون فيها، لأجل التعليم، يقول المستشرق (دييس): ويظهر أنه قد وجدت منذ فجر الإسلام أمكنة كانوا يجتمعون فيها لاستظهار القرآن وتدارسه، ولا شك في أن هذه المواضع كانت كالمدارس الأولية يتعلمون فيها مبادئ القراءة وأصول الكتابة العربية، كما يحدثنا الواحدي، ويذكر أن عبدالله بن أم مكتوم كان يسكن دار القرآن بالمدينة[٤].

إن موضوع الدين لم يكن وحده موضع الدراسة في تلك الجوامع، وإنما كان للندوات الأدبية والموضوعات اللغوية والشعرية نصيب كبير فيها[٥] كما كان لسائر العلوم العقلية نصيب فيها كعلم الكلام والفلسفة وعلم الطب والنبات وغيرها.

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٨١.

(٢) المقدسي: ص ٢٠٥.

(٣) الارشاد لياقوت: ١ / ٣٠٨.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية: ٣ / ٤٠١.

(٥) تعليم الكبار والتربية الأساسية: ص ١٢.

ولما اتسعت الحركة العلمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي أنشأت الحكومات الإسلامية المعاهد والمدارس في كثير من المناطق الإسلامية، وقد اتخذ الشريف الرضي داراً اسماها (دار العلم) وفتحها لطلبة العلوم وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه[1] وكان كل جامع أو معهد علمي مزوداً بمكتبة كبيرة تضم جميع أنواع العلوم، وكانت عادة العلماء أنهم يوقفون كتبهم على الجوامع[2] وعمل القاضي ابن حيان في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى لهم الأرزاق[3].

هذه بعض معاهد التعليم، ومراكز الثقافة في الإسلام ـ تحدثنا عنها بإيجاز ـ وقد عملت على إشاعة العلوم، وبلورة الفكر، وتقدم الإنسان المسلم.

---

(١) ديوان الشريف الرضي: ص ٣.

(٢) وفيات الأعيان: ١ / ٥٥.

(٣) الحضارة الإسلامية: ١ / ٣١١.

الهجرة لطلب العلم

ودعا الإسلام إلى الهجرة والنفر لطلب العلم قال تعالى:

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[1].

وقد استجاب المسلمون في جميع عصورهم إلى هذه الدعوة الأصيلة، فقد نزحت طوائف كبيرة من مختلف الأقاليم الإسلامية عن أوطانها إلى معاهد التعليم، وقضوا شطراً كبيراً من حياتهم في طلب العلم صابرين على ألم الغربة وعناء السفر لا لشيء إلا لذات العلم والتقرب به إلى الله، ولما فتح الإمام جعفر الصادق عليه السلام جامعته الكبرى أسرع إلى الانتماء إليها جميع رواد العلم والفضيلة من شتى الأقطار الإسلامية، يقول الأستاذ السيد عبد العزيز الأهل:

«وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز إلى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها من كل قبلية من بني أسد، ومن غنى، ومخارق، وطيء، وسليم وغطفان، وغفار، والأزد، وخزاعة، وخثعم، ومخزوم، وبني ضبة، ومن قريش، ولا سيما بني الحارث بن عبد المطلب، وبني الحسن بن علي... ورحل إليه جمهور من الأحرار، وأبناء الموالي من أعيان هذه الأمة من العرب، وفارس، ولا سيما مدينة قم...»[2].

لقد اشتركت البلاد الإسلامية في إرسال أفلاذ أكبادها إلى جامعة الإمام للانتهال من نمير علومه، وأخذ أحكام الدين من سبط النبي العظيم...وقد حقق المجتمع الإسلامي نهضة علمية امتدت موجاتها المشرقة إلى سائر العصور.

إن أفذاذ المسلمين قد هبوا إلى طلب العلم غير حافلين بما يعانونه من

---

(١) سورة التوبة: آية ١٢٢.

(٢) جعفر بن محمد: ص ٥٩.

جهد السفر وعنائه يقول ابن إسحاق: سمعت مكحولا يقول: طفت الأرض في طلب العلم، وقال مكحول: أعتقت بمصر فلم أرع بها علماً إلا حويته ثم أتيت الشام فغربلتها، وقال سعيد بن المسيب: كنت أسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد[1] وجاء في ترجمة النسائي انه سمع الحديث بخراسان والعراق والحجاز ومصر والشام والجزيرة. وأراد أبو الطيب الطبري الهجرة لأخذ الحديث والعلم من محمد بن أيوب الرازي فمنعه أهله فلما وافاه النبأ بموته صرخ ومزق قميصه، ووضع التراب على رأسه فقال له أهله:

ما خبرك؟

ـ نعي إلى محمد بن أيوب، ومنعتموني من الارتحال إليه.

فأخذ أهله في تسليته، وأذن له أهله في الهجرة لطلب العلم[2] وقال عبدالله ابن المبارك: دوخت العلماء، وعاينت الرجال بالشامات والعراقين والحجاز فلم أجد الأدب إلا مع ثلاثة: ابن عون، غريزته الأدب، وعبد العزيز بن رواد متكلف الأدب، ووهب المكي كأنه ولد مع أدب[3].

لقد كان المسلمون في عصورهم الذهبية يتسابقون إلى طلب العلم وسماع الحديث وتدوينه، وإذا وفد عليهم أحد من العلماء هبوا إلى استقباله والاحتفاء به للاستماع منه، والأخذ من علومه، ولما ورد الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة ازدحمت عليه جماهير المسلمين تستفتيه، وتسأله عن أحكام دينها. ويحدثنا محمد بن معروف الهلالي عن كثرة زحام الناس وإقبالهم عليه يقول:

«مضيت إلى الحيرة إلى (جعفر بن محمد) فما كان فيه حيلة من كثرة الناس فلما كان اليوم الرابع رآني فأدناني، وتفرق الناس عنه، ومضى يريد قبر أمير

(١) جامع بيان العلم: ١ / ٩٤.

(٢) تذكرة الحفاظ: ٣ / ١٥١.

(٣) أدب الاملاء: ص ٢.

المؤمنين عليه السلام فتبعته، وكنت أسمع كلامه، وأنا معه أمشي...»[1].

وروى المؤرخون أن أبابكر جعفر بن محمد المحدث الشهير لما ورد إلى بغداد استقبله أهلها بالطيارات والزبازب[2] فأوعدهم في شارع المنار الواقع بقرب باب الكوفة ليلقي عليهم محاضرة في الحديث، فاجتمع الناس هناك وكان عددهم ثلاثين ألفاً، والمستملون للحديث ثلاثمائة وستة عشر[3]. ويحدث القاضي علي بن محمد البصري قال: كنا نجلس مجلس أبي إسحاق إبراهيم بن علي لأخذ الحديث منه، فكان يجلس على سطح أهله ويمتلئ شارع (بلجهم) بالناس الذين يحضرون للسماع، قال البصري: وكنت أفوقه في السحر فأجد الناس قد سبقوني وأخذوا مواضعهم، وحسب الموضع الذي يجلس فيه الناس، وكسر فوجد يحوي ثلاثين ألف رجل[4]، وقد قيل لعبد الله بن المبارك: لو أن الله أعلمك بأنك تموت في العشاء فما تصنع في يومك؟ فقال: أقوم وأطلب العلم[5]، وهذه الروح العالية إنما هي نفحة من نفحات الإسلام، وقبس من نوره وهديه.

إن هذه البوادر قد دلت على مدى إقبال المسلمين في تلك العصور على طلب العلم... ومما ساعد على الهجرة لطلب العلم وجود مملكة إسلامية متسعة الأطراف، وتوحد اللغة الرسمية ـ وهي العربية ـ وعدم وجود لغة أجنبية ولا وجود كتب أجنبية، كل ذلك كان من المحفزات لطلب العلم ونشره.

---

(١) حياة الامام موسى بن جعفر: ١ / ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) الطيارات والزبازب: نوعان من أنواع السفن في ذلك العصر.

(٣) تأريخ بغداد: ١٢ / ٢٤٨.

(٤) ادب الاملاء: ص ١٧.

(٥) تأريخ التربية الإسلامية: ص ٧٤.

الاختصاص بالعلوم

والشيء الذي هو جدير بالاهتمام هو أن المسلمين ـ في عصورهم الأولى ـ قد تسابقوا إلى الاختصاص بالعلوم العقلية والنقلية، وقد نبغت فيهم طائفة كبيرة، منهم هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، ومحمد بن عبدالله الطيار، وقيس الماصر، فقد تخصص هؤلآء الأعلام ـ الذين هم من خيرة ما أنتجته جامعة الإمام الصادق ـ في علم الفلسفة، ومباحث الكلام. وتخصص في علم الفقه وأصوله زرارة ابن أعين، ومحمد بن مسلم، وجميل بن دراج، ويزيد بن معاوية، وإسحاق بن عمار وعبيدالله الحلبي، وأبو بصير، وأبان بن تغلب، والفضل بن يسار، وأبو حنيفة، ومالك ابن أنس، ومحمد بن الحسن الشيباني، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد، وسفيان الثوري، وتخصص في حكمة الوجود وأسرار الخليقة المفضل بن عمر، وتخصص في علم الكيمياء جابر بن حيان الكوفي، وهو أشهر كيماوي في العالم العربي ـ كما قال فانديك ـ [1] وقد اخترع جابر أموراً مذهلة ذكرها المعنيون بترجمته، فقد ذكروا انه أوجد قرطاساً لا يحترق، وقرطاساً يضيء في الليل أملى فيهما أحاديث أستاذه الإمام العظيم جعفر الصادق عليه السلام، يقول عبد الرحمن بدوي:

«لن يستطيع الباحث في تأريخ الفكر الإسلامي أن يجد شخصية أغرب وأخصب من شخصية جابر بن حيان، فهي شخصية أمعنت في الغموض، واكتنفها السر حتى كادت أن تكون أسطورة، وتسامت في التفكير حتى ليقف المرء اليوم ذاهلا أمام ما تقدمه من نظرات علمية فلسفية كلها عمق، وكلها حياة، وأمام هذه الروح العامة التي تسودها روح التنوير والنزعة الإنسانية التي تصبو إلى اكتناه كل الأسرار...».

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٨٣.

وأضاف يقول:

«لن يستطيع البحث العلمي والفيولولوجي والحضاري أن يفرغ منها تاماً، مهما أنفق من جهد في هذا السبيل بل ستمضي في البعد كلما توغل في الطريق إليها، وسيزداد مقدارها كلما تلمس المرء نواحيها، ونحن اليوم أبعد ما نكون عن إدراكها إجمالا فضلا عن الإحاطة بخطوطها الرئيسية وتياراتها التوجيهية...»[1].

وعلى أي حال فإن الإسلام قد سبق المعاهد الحديثة في تأسيس الاختصاص بالدراسات العلمية.

حرية الدراسة

ويتمتع طالب العلم الديني وغيره ـ في الإسلام ـ بحرية تامة في اختيار المواد التي يرغب في دراستها، فلم تفرض عليه قيود خاصة بالنسبة إلى سنه، أو شروط أخرى تحدد صلاحيته لاتباع نوع خاص من أنواع العلوم. فإن الأساس الوحيد الذي يدفعه لطلب العلم إنما هو الرغبة لطلب العلم لوجه الله وابتغاء الدار الآخرة.

ومن خصائص الدراسة الدينية في جامعة النجف الأشرف وفي غيرها منح الطالب الحرية الكاملة في مناقشته لأستاذه، ويعتبر انطلاقه في ذلك دليلا على تفوقه وفهمه.

التدوين والتأليف

والشيء المحقق أن الإسلام منذ فجر تأريخه قد تبنى الدعوة إلى تدوين

---

(١) الالحاد في الإسلام: ص ١٨٩.

العلوم، ونقلها لما في ذلك من أثر مهم في تطوير الحياة العلمية والثقافية، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «قيدوا العلم. فانبرت إليه طائفة من أصحابه فقالوا له: ما تقيده؟

قال: كتابته»[1].

وحدث الرواة أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى النبي صلى الله عليه وآله فيسمع منه الحديث فيعجبه، ولكنه لا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: «استعن بيمينك» وأومأ بيده ـ أي خط بها ـ[2]، وحث الإمام الصادق عليه السلام طلابه على تدوين دروسه، ومحاضراته التي خاض بها أغلب العلوم والفنون، وقد أكد ذلك في غير موطن، فقد روى أبو بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي:

«ما يمنعكم من الكتابة! أنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا، إنه خرج من عندي رهط من أهل البصرة يسألون عن أشياء كتبوها...».

وروى أبو بصير قال: سمعت أبا عبدالله يقول:

«اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا...»[3].

واستجاب طلابه إلى هذه الدعوة النيرة التي تحمل في أعماقها إشاعة العلم وبسطه بين الناس، فتسابقوا إلى تدوين العلوم، فقد ألف أبان بن تغلب من أعلام تلاميذه ما يلي:

١ ـ كتاب معاني القرآن.

٢ ـ كتاب القراءات[4].

---

(١) بحار الأنوار: ١ / ١٠٨.

(٢) صحيح الترمذي: ١٠ / ١٣٤.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الشهادات الباب الثامن.

(٤) فهرست ابن النديم: ص ٣٠٨.

٣ ـ كتاب الفضائل.

٤ ـ كتاب الأصول في الرواية.

٥ ـ غريب القرآن[١].

وألف محمد بن علي الكوفي الشهير بمؤمن الطاق ما يلي:

١ ـ كتاب الإمامة.

٢ ـ كتاب المعرفة.

٣ ـ كتاب إثبات الوصية.

٤ ـ كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول.

٥ ـ كتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة.

٦ ـ كتاب افعل ولا تفعل.

٧ ـ المناظرة مع أبي حنيفة[٢].

وألف المفضل بن عمر كتاب (التوحيد) وهو من أجلّ الكتب الإسلامية بحث فيه عن خلق الإنسان، وتكوينه، وما في أعضائه وأجزائه من الأسرار والغرائب كما عرض إلى كثير من البحوث الطبية[٣].

وألف هشام بن الحكم وهو من أجلّ تلاميذ الإمام سبعة عشر مؤلفاً تناولت مختلف العلوم والفنون.

وألف جابر بن حيان كتاباً في علم الكيمياء يقع في ألف ورقة تضمنت

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٨٤.

(٢) فهرست الشيخ الطوسي: ص ١٢١.

(٣) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٨٥.

رسائل الإمام التي بلغت خمسمائة رسالة[1]، وكانت هذه الرسائل مصدراً خصباً لعلم الكيمياء. وقد أثنى على جابر جميع رجال العلم والفكر من المسلمين والمستشرقين لأنه جهز المجتمع الإسلامي بأضخم ثروة علمية تلقاها من أستاذه الإمام رائد الحركة الفكرية والعلمية في الإسلام، وهناك كوكبة كبيرة من نوابغ تلاميذه قد ألفوا في مختلف العلوم والفنون كزرارة وأبي بصير واسماعيل بن أبي خالد وغيرهم. وقد ترجم فقيد الإسلام الكبير الشيخ أغا بزرك (نضر الله مثواه) مائتي رجل من مصنفي تلامذة الإمام[2].

وبلغ من اهتمام العلماء بالتدوين والتأليف أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد احتف به العلماء والرواة، وكان في أكمامهم ألواح أبنوس، وأميال فإذا نطق بكلمة أو أفتى بنازلة بادروا إلى تسجيلها[3] وقد انتشرت بذلك الحركة العلمية في جميع الحواضر الإسلامية، وأصبح التراث الإسلامي تتناقله العلماء جيلا بعد جيل.

أفول نجم التعليم

وخبا ضوء التعليم، وأفل نجمه في العالم الإسلامي حينما احتل الطاغية هولاكو التتار بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية عام (٧٦٥) فقد جلب هذا الاحتلال آلاماً فظيعة للشعوب الإسلامية يفوق ما جلبته أي كارثة في تأريخ العالم كله.

وبعد أن مزق الغرب الدولة الإسلامية إلى عدة دويلات بدأت الحياة العلمية والفكرية تضمحل تدريجياً حتى تلاشت، وساد الجمود العقلي، والركود الذهني جميع أنحاء الحواضر الإسلامية... وأقبل الغرب يخطط سياسته الرهيبة

(١) الاعلام للزركلي: ١ / ١٨٦. مرآة الجنان: ١ / ٣٠٤.

(٢) الذريعة: ٦ / ٣٠١ ـ ٣٧٤.

(٣) الأنوار البهية: ص ٩١.

التي لا تنتج تفتحاً ذهنياً، ولا انطلاقاً فكرياً، وإنما تهدف إلى إماتة الوعي والخلود إلى الدعة والجهل، يقول بعض المعنيين في شؤون التربية العربية: «كانت المدرسة في أوائل القرن العشرين جامدة تحتوي طلاباً قد جهلوا ما حولهم، وجهلوا أنفسهم، قد صبوا في قالب واحد، تكويناً وتثقيفاً وإنتاجاً..وكان هذا نتيجة التحكم من الخارج في العلم، فلا غرو أن وصل بنا التعليم إلى ما وصلنا إليه من انهيار هدد كل نواحي حياتنا..وما ذلك إلا لأن المتحكم في التعليم كان نفراً خارجاً عن بناء الوطن وكان هدفه خلق جيل يخلد للدعة والاطمئنان، ويقنع بالقليل لا حرية له في الرأي، ولا قدرة له على مغالبة الحياة، وحل مشاكلها وما كان التعليم ليبحث هذه النواحي أو يمسها من قريب أو بعيد...»[1].

وفي هذا العصر بدأت اليقظة الفكرية تدب في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأخذ المسلمون ينفضون عنهم غبار الجهل والتأخر، وينطلقون إلى مسايرة الأمم المتطورة التي سايرت مواكب الحياة والنور..فعلى الحكومات القائمة في بلادهم أن تستغل هذه الظاهرة، وأن تقوم قبل كل شيء بتوفير الخبرات التعليمية في المدارس والمعاهد، وأن تنمي في نفوس الشباب روح المعنوية، والاعتماد على النفس، وحب النظام، والاهتمام بشؤون الوطن، والذود عن حمايته واستقلاله ... وأن تقوي فيهم روح الكراهية والعداء للاستعمار والصهيونية، وتدلل على مواقع خطرهما وكيدهما للعالم العربي والإسلامي، فإن ذلك من أهم المسؤوليات الاجتماعية التي يجب أن تعنى بها الحكومات القائمة في بلاد المسلمين.

إن المجتمع الإسلامي قد عانى من الاستعمار وعملائه جميع ألوان الكوارث والخطوب، فأوجد فيه أسباب الفرقة والعداء وبث فيه روح الاستهتار والأنانية والسلبية، وسعى بكل الوسائل إلى حجبه عن تراث دينه العظيم، وحرمانه

---

(١) التعليم ومعنى الحياة: ص ٨.

من النظر فيما ينشده لهم من العزة والكرامة...فيجب أن ينشأ التعليم على معاداة الاستعمار وكراهيته والتخلص من جميع أنظمته التربوية التي تعرقل مسيرتنا نحو التقدم والازدهار واستثمار موادنا الاقتصادية... كما يجب إبراز ما في الإسلام من طاقات عظيمة سواء في المجالات التربوية أو السياسية أو الاجتماعية، وغيرها مما عالجت به جميع حقول الحياة وشؤونها فإن جعل ذلك من برامج التعليم من أفضل الطرق لنهضة المسلمين ورقيهم...ونكتفي بهذا العرض الموجز من حديثنا عن التخطيط الثقافي في التربية الإسلامية.

التربية

الفكرية والنفسية في الاسلام

واتخذ الإسلام ضمير الإنسان، وقواه النفسية والعقلية القاعدة الأولى في بناء كيانه التربوي فأرصد لها الطاقات الكبيرة من الإصلاح. إصلاح للغرائز، وتنمية للملكات الشريفة، وتحذير للنزعات الشريرة. حتى يكون الإنسان بحكم مكتسباته التربوية خليفة لله في أرضه، مقيماً للحق، آمراً بالعدل، منطلقاً وراء الخير.

لقد ركز الإسلام اهتمامه بالإطار النفسي ليجعله بمنجاة من الانحلال والانهيار والضعف، ومشبعاً بروح الإيمان، وقوة الإرادة، وقوة العزم والتصميم... وقد حقق الإسلام هذه التربية الرائعة على مسرح الحياة ـ منذ فجر تأريخه ـ فأوجد شيوخنا يتسابقون إلى ساحات الحروب ويعانقون السيوف والرماح في سبيل الذب عن مبادئ دينهم العظيم، كما أوجد شباباً مسلحاً بقوى العقيدة والنضال متفانين في سبيل الحق حتى بلغ من عظيم إيمانهم أنهم هجروا آبائهم واخوانهم لتخلفهم عن غزوة تبوك ولم يقربوا منهم حتى سمح لهم النبي صلى الله عليه وآله بمواصلتهم.

لقد فاضت التربية الإسلامية بطاقات روحية هائلة في قلوب المسلمين ـ في صدرهم الأول ـ حتى امتلكت مشاعرهم وعواطفهم، وصاروا جميعاً بمنزلة

جسد واحد تربطهم العاطفة الدينية، وتوحد كلمتهم واتجاههم قوة الإيمان التي ثبت أنها أقوى بكثير من أي رابطة أخرى.

ونعرض - بإيجاز - إلى بعض ما أثر عن الإسلام في الميادين التربوية سواء في المجالات الفكرية أو النفسية.

التربية الفكرية

وتسعى التربية الإسلامية بجميع أجهزتها وطاقاتها إلى تنمية الفكر الإنساني وانطلاقه، وتحريره من ربقة الجهل والتقليد، وتنويره بالعبر والأحداث وبعثه على التأمل في دقة الكون وأنظمته ليخلص بذلك إلى الإيمان بالله خالق الكون، وواهب الحياة...إيمان عن تدبر، واعتقاد عن حجة، ويقين عن دليل لتشرق بذلك في عوالم النفس أضواء العقيدة الواعية التي تدفع الإنسان إلى التسابق في ميادين البر ومجالات الخير.

لقد عني الإسلام أي عناية بالعقل فدعا إلى انطلاقه وتفتح آفاقه، وألزم باستخدامه واللجوء إلى حكمه... وقد تظافرت الأخبار التي أثرت عن أئمة الهدى عليهم السلام بأنه الحجة الباطنية، وانه مما يعبد به الرحمن، ويكتسب به الجنان، وان الحكم المستكشف به إنما هو حكم بلغه الرسول الباطني[1] وعند الشيعة الإمامية ان حكمه من الأدلة الأربعة التي يستنبط منها الفقيه الحكم الشرعي، كما انه المرجع الأعلى للاخبار المتعارضة فما وافق حكمه فهو حق، وما شذ عنه فهو زخرف.

ونعى القرآن الكريم على الذين يهملون مواهبهم العقلية قال تعالى:

---

(١) فرائد الأصول.

﴿إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾[1].

وقال تعالى:

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالانعام بل هم أضل سبيلاً﴾[2].

وجعل تعالى السبب في عذاب الكفار إنما هو حجبهم لعقولهم عن النظر والتأمل فيما أمر به الله، قال تعالى:

﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾[3].

لقد أشاد الإسلام بالعقل لأنه الركيزة الأولى للإيمان، واكتساب الجنان ونعرض إلى بعض ألوان التربية الفكرية التي أثرت عن الإسلام:

التأمل في نظام الكون

ان التدبّر الصادق، والنظرات العميقة في ظواهر هذا الكون وأسراره مما يملأ القلب إشراقاً وإيماناً بالله، وقد حث الإسلام على هذه الظاهرة قال تعالى:

﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾[4].

إن استعراض بدائع هذا الكون والتأمل في عجائبه مما يحكم صلة الإنسان

---

(١) سورة الأنفال: آية ٢٢.

(٢) سورة الفرقان: آية ٤٤.

(٣) سورة الملك: آية ١٠.

(٤) سورة ق: آية ٦ ـ ٨.

بربه ويستشف منه دقائق الحكمة والعظمة والابداع في هـذا الخـلق، والإسـلام يدعو إلى تنبيه الفكر وتوجيهه إلى النظر في هذه الآيات، قال تعالى:

﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خـلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[1].

إن الإمعان في خلق السموات والأرض، والتأمل في اختلاف الليل والنهار كل ذلك مما يملأ النفس إيماناً ووثوقاً بالله، ولكن لا يفكر بذلك إلا أُولو الألباب الذين يستخدمون قواهم العقلية الواعية إلى التفكير الجاد في عجائب مخلوقات الله، فهم عن إيمان ووعي يذكرون الله قـياماً وقـعوداً، ويـقولون بـنبرات اليـقين والرجاء: «ربنا ما خلقت هذا باطلاً سـبحانك فـقنا عـذاب النـار» إن التـدبّر فـي ملكوت الله هو المنهج الكامل للتربية الفكرية، فانه يطهر النفس مـن كـل زيـغ، وينفي عنها الريب والشكوك، ويدفعها إلى حـظيرة الإيـمان والعـقيدة بـالله...ان الإنسان لو أمعن في الأنظمة الرائعة والدقة المذهلة التي بني عليها هذا الكون لآمن بالله إيماناً لا يخامره أدنى شك فانه من المستحيل أن تكون وليدة المصادفة التي ثبت في لغة العلم أنها من أسخف الأفكار، يقول (لابلاس): «ان النظام المـحير للعقول، المشاهد في حركات الأجرام التي تتألف منها المـجموعة الشـمسية لا يمكن أن يحمل على التصادف، بل التصادف كلمة لا يصح النطق بها فـي لغـة العلم...ان التصادف معدوم ومحال في هذا العالم الذي نرى فيه كل شيء خاضعاً لقوانين الموازنة، وقوانين الحساب التي عينتها إرادة غيبية، وحكمة بـالغة. ومـا الشيء الذي ندعوه بالتصادف إلا محصل القوات الغيبية التي لا نعلم عن صورة تأثيرها شيئاً، بل لا نعلم عن وجودها شيئاً، في حين أنها تحفل حولنا.. وبناءً عليه ليس من الممكن حمل هذا النـظام الذي نـراه فـي المـجموعة الشـمسية عـلى

(١) سورة آل عمران: آية ١٩٠ ـ ١٩١.

التصادف ولابد من الاعتراف بوجود مسبب أصلي عام منظم لهذا النظام»[1].

ويقول (اكريسي موريسون): «إن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة، وان وجود الإنسان على ظهر الأرض، والمظاهر الفاخرة لذكائه إنما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون»[2].

إن الإسلام يدفع الطاقات العقلية إلى التفكير والامعان في أسرار هذا الكون ليخلص الإنسان بذلك إلى الإيمان بالله، فيقيم حياته على أساس من التوازن في سلوكه مع نفسه ومع غيره.

التأمل في خلق الانسان

وحث الإسلام على التدبر في خلق الإنسان، وكيفية تكوينه قال تعالى: **﴿فلينظر الإنسان ممَّ خُلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر﴾**[3].

وقال تعالى:

﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾[4].

إن معرفة الإنسان لنفسه، والنظر بما تنطوي عليه ذاته من العوالم والأسرار

---

(١) نقلا عن الدين والعلم: ص ٢١.

(٢) العلم يدعو للايمان.

(٣) سورة الطارق: آية ٥ ـ ١٠.

(٤) سورة الحج: آية ٥.

مما تدعو إلى حتمية الإيمان بالله، يقول الأستاذ عفيف عبد الفتاح:

«أما الدلائل على وجود الله في الأنفس فهي أكثر من أن تحصى، وكلما اتسع نطاق العلم تضافرت الأدلة على أن لهذا الإنسان البديع الصنع إلهاً حكيماً. أي ناحية من نواحي الإنسان ليست مثار دهشة وعجب؟

أليست أطواره في الرحم آية من آيات الله؟!!

أليس نظام طعامه وشرابه، وتحليل الطعام إلى عناصر مختلفة بموازين يذهب كل عنصر إلى حيث يؤدي وظيفته عدا العنصر الذي لا يفيد، فيطرد إلى الخارج؟؟؟

أليس هذا كله آية من آياته؟

أليس نظام توزيع الدم من مكانه الرئيسي وهو القلب إلى جميع أنحاء الجسم بواسطة الشرايين التي لا يحصي عددها إلا الله، ثم عودته إلى القلب بواسطة الدورة الدموية، ومرور الهواء الذي جلبه التنفس ليصلح الدم بعد الفساد، ويفيد منه الجسم؟؟

أليس ذلك آية من آياته؟

دع سمع الإنسان، وبصره، ونطقه، وإحساسه، بل دع ما يعرض له من ذكر ونسيان، وحزن وسرور، وعلم وجهل، فانها آيات كبرى على وجود الخالق...»[1].

إن الأجهزة الدقيقة في جسم الإنسان التي لم يصل العلم الحديث بما يملك من وسائل الأجهزة والمعدات والمختبرات إلى معرفة الشيء اليسير منها كل ذلك يدل على عظمة الصانع وقدرته.

---

(١) روح الدين الإسلامي: ص ٦٢.

التأمل في الكائنات الحية

ويحث الإسلام على الامعان في الكائنات الحية كالنباتات، فقد وهب تعالى كل نبات من الخصائص ما لم يهبه لغيره، وأعده إعداداً مرتباً يأخذ من الأرض ما ينمو فيه خاصته، ويؤهله للغاية التي خلق من أجلها، قال تعالى:﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه إنّا صببنا الماء صباً ثمّ شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنباً وقضبا وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم...**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وآية لهم الأرض أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[3].

ولو أمعن الإنسان في خلق الحيوانات وأنواعها، وعجائب صنعها لقاده ذلك إلى الايمان بالله. يقول (نيوتن): «كيف تكونت أجسام الحيوانات بهذه الصناعة البديعة، ولأي المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة؟

هل يعقل ان تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الإبصار ونواميس والأذن بدون إلمام بقوانين الصوت؟؟

كيف أن حركات الحيوانات تتجدد بإرادتها؟ ومن أين جاء هذا الالمام الفطري في نفوس الحيونات.

---

(١) سورة عبس: آية ٢٤ ـ ٣٢.

(٢) سورة يس: آية ٣٢ ـ ٣٥.

(٣) سورة النحل: آية ١٠ ـ ١١.

ان هذه الكائنات كلها في قيامها على أبدع الأشكال، وأكملها تدل على وجود إله منزه عن الجسمانية، حي حكيم، موجود في كل مكان يرى حقيقة كل شيء، ويدركه»[1].

لقد دعا القرآن الكريم إلى الإمعان في خلق الحيوانات، والنظر في بديع صنعتها، قال تعالى: **﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جوّ السماء ما يمسكهنّ إلاّ الله إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾**[3].

وخلق تعالى الحيوانات من أجل صالح الإنسان، وسخرها له لينتفع بها قال تعالى: **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾**[5].

ان التفكير في مخلوقات الله يبعث على الإيمان، ويصقل النفس من الأوهام والشكوك، وهو من أفضل الطاعات ففي الحديث: «تفكير ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

---

(١) الإنسان ليس وحيداً.

(٢) سورة النحل: آية ٧٩.

(٣) سورة الغاشية: آية ١٧.

(٤) سورة النحل: آية ٦٨ ـ ٦٩.

(٥) سورة النحل: آية ٨٠.

التدبر في أحوال الأمم

ومما يدعو إلى إيقاظ العقل، وتنمية إدراكاته التدبر في أحوال الأمم والشعوب، والنظر في تأريخهم وشؤونهم، فهناك طائفة من الأمم سلكت الطريق النير، وابتعدت عن جميع ألوان الشذوذ والانحراف، وقد ظفرت بالحياة الكريمة التي تسودها الدعة والأمن والاستقرار. وهناك طائفة من الأمم انحرفت عن الطريق القويم، وشذت عن طريق الحق والعدل، فتدمرت، وهلكت وخبا ذكرها، وأفل نجمها، ومن الطبيعي أن في ذلك درساً وعظة وعبرة لكل إنسان يملك وعيه واختياره فيجتنب عوامل التدمير والسقوط ويسير في حياته بسيرة تتسم بالتوازن، وعدم الانحراف، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات، بسوء الأفعال، وذميم الأعمال فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم، فإذا تفكرتم في تفاوت حاليهم ـ أي من السعادة والشقاء ـ فالزموا كل امر لزمت العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية فيه عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم، من الاجتناب للفرقة، واللزوم للالفة، والتحاض عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن منتهم، من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور وتدابر النفوس، وتخاذل الأيدي.

وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء ألم يكونوا أثقل الخلائق أعداءً، وأجهد العباد بلاءً، وأضيق أهل الدنيا حالاً؟ اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب، وجرعوهم المرار فلم تبرح الحالة بهم في ذل الهلكة، وقهر الغلبة، لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلاً إلى دفاع حتى إذا رأى الله جد الصبر منهم على الأذى في محبته، والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً، فأبدلهم العز مكان الذل، والأمن مكان الخوف، فصاروا ملوكاً حكاماً، وأئمة أعلاماً، وقد بلغت الكرامة من

الله لهم ما لم تبلغ الآمال إليه بهم..»[1].

ويستمر الإمام عليه السلام في إعطاء صورة حية للأمم الناهضة التي سايرت موكب الحق والعدل، وحققت أهم ما تصبوا إليه من العزة والكرامة، والشرف والمنعة...أما القرآن الكريم فقد حفل بالدعوات المتكررة إلى النظر في عاقبة المتقين الذين استخلفهم في الأرض، ومكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، كما حفل القرآن بالامعان في عواقب الطغاة والمكذبين الذين حادوا عن طريق الحق فجعل نصرهم هباءً، وذكرهم جفاءً، ونعرض - بإيجاز - إلى ذلك.

عاقبة المتقين:

وأعلن كتاب الله العظيم أن العاقبة الكريمة للمتقين والصالحين من عباده، قال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾[2].

وقد منح تعالى المتقين من عباده هذ المنزلة الكريمة في الدنيا، كما منّ عليهم فجعل ذكرهم خالداً وحياتهم قدوة، وفي الدار الآخرة بوّءهم الفردوس، والنعيم الدائم.

عاقبة الطغاة:

وقضى الله، وأعطى عهداً على نفسه بتحطيم الطغاة والمتجبرين الذين لا يؤمنون بحق المجتمع، ولا يحفلون بأرواح الناس، وأموالهم، وكرامتهم وقد حكى

---

(١) نهج البلاغة محمد عبده: ٣ / ١٧٥ _ ١٧٧.

(٢) سورة النور: آية ٥٥.

تعالى في غير موضع - من كتابه الكريم - قصة فرعون حينما طغى وتجبر فأخذه أخذ عزيز ذي انتقام قال تعالى:

﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾(١).

لقد كانت نهاية فرعون الخزي والعذاب لأنه كفر بأنعم الله، وحاد عن الطريق القويم، وتجبر وعلا في الأرض.

ودعا القرآن الكريم إلى المسير في الأرض للنظر في أحوال الذين ظلموا أو استبدوا كيف أخذهم تعالى بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق قال تعالى:

﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا هم أشد منهم قوة وأثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾(٢).

وقال تعالى: **﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾**(٣).

ولعن تعالى الظالمين وأعدّ لهم في دار الآخرة العذاب الأليم قال تعالى:

﴿ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما

(١) سورة القصص: ٤ - ٦.

(٢) سورة غافر: آية ٢١.

(٣) سورة يونس: آية ١٣ - ١٤.

كانوا يبصرون﴾[1].

إن الله تعالى حكم بالانتقام من الظالمين في جميع مراحل تأريخ هذا الإنسان، وان الظالمين إذا حلت بهم نقمة الله وعذابه فلا ينقذهم، ولا ينجيهم ما يتمتعون به من القوى العسكرية والاقتصادية، وانه تعالى يجعلها هباءً لا تغني عنهم شيئاً.

وفي حكاية القرآن الكريم للتدبر بأحوال الظالمين، وما نزل بهم من العذاب والهوان، إنما هو درس وموعظة للانسان في ان يقلع عن نفسه الصفات الشريرة، من الاعتداء على الناس والاستهانة بهم.

تحرير الفكر من التقليد

ودعا الإسلام إلى تحرير العقل، وانطلاقه من ربقة التقليد الذي لا ينبعث إلا من الجهل والتعصب. وقد نعى القرآن على المقلدين الذين يقولون:

﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أثارهم مهتدون﴾[2].

وندد بالذين: **﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾**[3].

ونفّر الشعوب من تقليد الرؤساء والقادة الذين لا يتبعون الهدى وجعل الجميع يتساوون في العذاب الأليم. قال تعالى:

﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾[4].

---

(١) سورة هود: آية ١٨ ـ ٢٠.

(٢) سورة الزخرف آية ٧٣.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧.

(٤) سورة البقرة: آية ١٦٦.

ان الإسلام يناهض جميع الاتجاهات التي لم تقم على الدليل والبرهان وانما قامت على مجرد التقليد الذي لا يمت إلى الواقع بصلة، وفي ذلك دعوة إلى تحرير الأفكار وتهذيب النفوس من ربقة التقليد.

التثبت في الأمور

من مناهج التربية الفكرية في الإسلام التثبت في الأمور، وعدم الإسراع بالحكم فيها، إلا بعد العلم والوقوف عليها، قال تعالى:

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً﴾(١).

ومن هنا حرم التعويل على الظن، والأخذ به قال تعالى:

﴿وما يتبع أكثرهم إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾(٢).

وندد بالذين يعتمدون على الظن، قال تعالى:

﴿ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾(٣).

إن الظن الذي لا يستند إلى دليل يؤدي بصاحبه إلى الوهم الباطل ويوقعه كثيراً في المحاذر والمهالك، وقد اعتمد عليه الدهريون فأنكروا الله، وأنكروا البعث والنشور: **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾**(٤).

ولم ينجرف الدهريون إلى هذه المجاهل السحيقة إلا لتعويلهم على الظن

---

(١) سورة الاسراء: آية ٣٦.

(٢) سورة يونس: آية ٣٦.

(٣) سورة النجم: آية ٢٣.

(٤) سورة الجاثية: آية ٢٤.

والأخذ به في مجالاتهم العقائدية.

ومما عني به الإسلام عدم الأخذ بأخبار الفاسق خشية الوقوع في الفتنة والجهالة قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**[1].

إن التثبت في الأمور والتروي فيها من العناصر الأساسية التي يعنى بها الإسلام في مجالاته التربوية.

الأخْذ بالأحسن

وحث الإسلام على عدم الجمود على رأي محدود، وان اللازم الأخذ بأحسن الآراء، لأن في ذلك إخلاصاً للحق، وتهذيباً للفكر، قال تعالى:

﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾[2].

لقد أمر الله تعالى المسلمين أن يستعرضوا كل مذهب، وأن لا يحملهم التعصب للرأي على أن يرفضوا أي رأي دون تفهم وفحص، وأن يأخذوا من بينها بما هو أحسن، ووصف تعالى الذين يفعلون ذلك بأنهم المهتدون ومن أهل العقول الراجحة والبصائر النيرة.

وهكذا نرى الإسلام قرر لأهله من الأصول ما توصلت إليه أرقى الفلسفات[3].

---

(١) سورة الحجرات: آية ٦.

(٢) سورة الزمر: آية ١٨.

(٣) روح الدين الإسلامي: ص ٢٩.

التربية النفسية

وتحقق التربية الإسلامية في المجالات النفسية قوة كافية في دخائل النفس تصدها عن جميع الوان الشذوذ والانحراف، وتنمي فيها النزعات الخيرة، والعادات الطيبة، وتوجد فيها تماسكاً، وصموداً أمام الأحداث وتحدث فيها توازناً يشمل جميع آفاق النفس، حتى يتحقق للانسان كيان فريد في سلوكه واتجاهاته، وميوله وعواطفه، فلا يطغى أي جانب من الدوافع النفسية على جوانب الروح، ولا تستعبده أي نزعات الهوى والشرور وإنما تتحقق للانسان قيادة رشيدة على نفسه، وضبط كامل لنزعاته وشهواته ولابد لنا من وقفة قصيرة للتحدث عن مظاهر التربية النفسية في الإسلام.

رقابة الضمير

وتسعى التربية الإسلامية بجميع طاقاتها إلى تكوين الوازع الديني في أعماق النفس ودخائل الذات بحيث يغالب الدوافع النفسية، ويتولى هو قيادة التسيير والتوجيه لهذا الإنسان.

ان العاصم الوحيد الذي يمكنه أن يحجز الإنسان من الانحراف، ويصده عن الطغيان، إنما هو الضمير الواعي المترع بروح العقيدة والإيمان وهو أعظم وازع من الوقوع في حمأة الرذائل والحرام، ويجهد الإسلام على تكوينه وتقويمه ليكبح جماح الشهوات، ويوجه الإنسان في ميدان مشرق يسوده رضاء الله، ورضاء الضمير، وهذا هو السر في أصالة التربية الإسلامية ونجاحها في معطياتها التربوية، وقد اعترف بهذه الظاهرة الفذة بعض الجنرلات الفرنسيين، من خصوم الإسلام، فقال بحقد وخبث:

«لا ينبغي أن نستهين بالإسلام، إذا استهنا بالمسلمين لأن الإسلام عقيدة عجيبة بقيت إلى الآن في الأرض... إننا حاولنا كل النظم الاقتصادية حاولنا النظم الرأسمالية، وحاولنا النظم الإدارية وفشلنا، ومن أهم ما فشلنا فيه عدالة التوزيع والرقابة..إن الرقابة في الإسلام لا تأتي من شخص على شخص، ولا من هيئة على هيئة، وإنما هي رقابة الإنسان لربه، ونضج الضمير الديني، وهذا وحده قوة كامنة في الإسلام، وان من حسن الحظ أن المسلمين لا يفهمون هذا، ولا يقدّرون دينهم مع أنه حفظهم وأبقاهم إلى الآن...وما علينا إلا أن نطمس معالم هذا الدين بتجويعهم وبفقرهم، وإبادتهم، وبحرمانهم من العلم والثروة...»[1].

إن الإنسان فيه نفحة من روح الله، وفيه نزعات قوية وحادة من نزعات الشيطان ففيه إغراء عنيف، ودفع قوي إلى عالم من الشهوات لا ضبط ولا حصر لها، وقد نظر الإسلام إلى ذلك كله بعمق وشمول، فأخذ بدقة بالغة يخدر نشاطات الغرائز الشريرة، ويستأصل جذورها، ويحدد فعالياتها، ويدفع القوى الخيرة للسيطرة على النفس، فأخذ يعد الإنسان بالنعيم الدائم ان ثاب إلى الحق، فهناك الوان رائعة في سور القرآن الكريم من الثواب والجزاء للمتقين قال تعالى:

﴿إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نظرة النعيم﴾[2].

وقال تعالى: **﴿وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾**[3].

ووصف ذلك النعيم الخالد فقال: **﴿على سرر موضونة متكئين عليها**

---

(١) تجربة التربية الإسلامية: ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) سورة المطففين: آية ٢٢ ـ ٢٤.

(٣) سورة الغاشية: آية ٨ ـ ١٦.

متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون﴾[1].

وقال تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً﴾**[2].

ومن الطبيعي أن هذا الجزاء العظيم يحرر النفس من جميع افانين الشذوذ والانحراف ويمدها بطاقات كبيرة من الفضيلة والنور.

ووصف تعالى العذاب المفزع الشديد الذي ينصب على من يتبع قيادة هواه ويعرض عن ذكر الله، والدار الآخرة، قال تعالى:

﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[3].

وقال تعالى: **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون﴾**[4].

وقال تعالى: **﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ثم ان**

---

(١) سورة الواقعة: آية ١٥ ـ ٢٤.

(٢) سورة الكهف: آية ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) سورة الحج: آية ١٩ ـ ٢٣.

(٤) سورة الحاقة: آية ٣٠ ـ ٣٧.

مرجعهم لإلى الجحيم﴾[1].

لقد تناثرت في القرآن الكريم آيات كثيرة، وهي ترعب النفس، وتـملأها ذعراً وخوفاً من عقاب الله الشديد، ومما لا شبهة فيه أن ذلك يقيم الحواجز عن معاصي الله، ويصد النفس من ارتكاب المنكر والاثم.

انه ليس هناك شيء أملك لقيادة النفس، ولا أكثر سيطرة عليها من عـالم الرجاء والخوف اللذين يملكان زمام النفس، وقد حقق الإسلام بهذا الاسـلوب الرائع رقابة الضمير، وجعل له حكومة على سائر الغرائز النفسية يكبت نزواتها، ويكبح من جماحها.

(١) سورة الصافات: آية ٦٢ ـ ٦٨.

الفضائل النفسية

وعني الإسلام عناية بالغة بالفضائل النفسية، فأرصد لها منهجاً خاصاً يؤدي إلى تماسك الشخصية وصلابتها، وتحليها بكل نزعة شريفة، وصفة فاضلة، ونشير ـ بإيجاز ـ إلى بعضها.

العفة

وفسر علماء الأخلاق العفة بضبط النفس، واعتدال ميلها إلى اللذة، سواء في ذلك اللذائذ الجسمية من المأكل وغيره، واللذائذ النفسية من الانفعالات والعواطف، فلا يسمى الشخص عفيفاً ما لم يعتدل في جميع ذلك وتهدف هذه الفضيلة إلى أن يكون الإنسان سيداً لنفسه لا عبداً لشهواته، وميوله... وقد تظافرت الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في فضل هذه الصفة، فقد أثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أفضل العبادة العفاف»، وقال الامام الباقر عليه السلام: «ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج»، وقال عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج».

وإذا نمت هذه النزعة الخيّرة في النفس فان الإنسان يسلم من كثير من الأمراض النفسية والجسمية ويكون بمأمن من الشراهة والدعارة والطمع والإسراف، والغضب، والسخط، والثرثرة، وغيرها.

ان العفة تدفع الإنسان إلى الاستقامة في كل شيء، استقامة في الطعام بحيث لا يسرف فيه فان الاسراف في ذلك يجر له كثيراً من الأمراض، ويجعله دوماً في عيادة الأطباء، وقد حث القرآن الكريم على الاتصاف بهذه النزعة الشريفة قال

تعالى: ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾[1].

كما انه ليس من العفة في شيء أن يبالغ في الزهد ويمتنع عما أحله الله من الطيبات قال تعالى: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة**﴾[2].

وتتطلب العفة ضبط النفس عن الاسترسال في جميع الشهوات النفسية فان الافراط فيها يفسد حياة الإنسان، ويضعف روحانيته، ويؤدي به إلى السقوط، وقد قال علماء الأخلاق: «ان شهوات النفس غير متناهية فاذا أعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها إلى شهوات قد استحدثتها فيصير الإنسان أسير شهوات لا تنقضي وعبد هوى لا ينتهي، ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح، ولم يوجد فيه فضل»[3]. إن العفة تستلزم سيطرة الإنسان على ميوله وشهواته، فلا يكون الشخص عفيفاً إلا إذا ضبط نفسه واعتدل في مأكله ومشربه. واعتدل في انفعالاته فلا يفرط في الحزن إذا ألمت به إحدى مصائب الدهر.

وسائل تنميتها:

أما الوسائل المؤدية إلى نمو العفة فهي ـ حسب ما ذكره علماء الأخلاق ـ تتلخص بما يلي:

١ ـ الاعتدال في الميل إلى الشهوات.

٢ ـ اجتناب مرافقة الاشرار الذين يزينون له الرذائل والانهماك في اللذات.

٣ ـ مجالسة الاخيار والمتحرجين في دينهم الذين يدفعونه إلى عمل الخير

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٢) سورة الأعراف: آية ٣٢.

(٣) أدب الدنيا والدين.

واجتناب المنكر.

٤ ـ عدم قراءة الكتب الخلاعية التي تهدم صرح الفضيلة والكمال، واجتناب أماكن اللهو ودور الفسق.

٥ ـ ضبط النفس عن الغضب الذي هو جنون قصير.

٦ ـ الابتعاد عن الصفات المرذولة كالكبر والإعجاب بالنفس فانها تحمل صاحبها على أن يثور لأقل شيء يتوهم فيه الحط من كرامته.

٧ ـ عدم التفكير في الشر والرذيلة فان الفكر قائد الإرادة والعمل، وإذا استرسل مع خياله الفاسد وهواجسه الشريرة قاده ذلك إلى الوقوع في حمأة الرذيلة.

٨ ـ عدم السخط والانقباض من الحياة فلا يكن من الذين ينفرون منها، وقالوا: تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد.

ولا يكن من الذين يزهدون من الاجتماع بالناس، وقد قالوا:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوّت إنسان فكدت أطير

٩ ـ ان لا ينسى نصيبه من الدنيا، وعليه أن يتمتع بما خلقه الله له من طيبات الرزق شريطة أن لا يخرج بذلك عن حدود العقل والدين قال تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾**[1].

هذه بعض الأمور التي تؤدي إلى نمو العفة حسب ما ذكره الأخلاقيون[2].

---

(١) سورة القصص: آية ٧٧.

(٢) الخلق الكامل: ٤ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

قوة الإرادة

أما قوة الإرادة، وقوة العزم والتصميم فانها من أوليات المقاصد في التربية النفسية في الإسلام، فقد عنى -قبل كل شيء- في ان يوجد في الإنسان إرادة صلبة وعزماً ثابتاً، ونفساً قوية لا تنجرف مع تيارات الحوادث، ولا تتصدع أمام زوابع الفتن والأحداث، وقد بالغ في الاستهانة بمن ضعفت نفوسهم، فشبههم بالموتى، قال تعالى: **﴿انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء﴾**.

إن الإسلام يمنح الإنسان طاقات كبيرة منْ العزم والإرادة، ويجعله بمنجاة من جميع عوامل الضعف، والفزع والخوف، وقد كان الرسول الأعظم ﷺ المثل الأعلى لقوة الإرادة والعزم الجبار، فقد وقف صامداً وهو يناضل، ويقاوم في سبيل مبادئه وأهدافه، ويفعل ما يمليه عليه ربه، غير حافل بما يعانيه من المشاق والمعوقات وما يواجهه من المشاكل والخطوب قد رفع بإحدى يديه علم التوحيد، وباليد الأخرى معول الهدم والتخريب على أفكار الجاهلية وعاداتها وتقاليدها، وهو يهتف بكرامة الإنسان، وإعلان حقوقه، وقد تضافرت على مناجزته جميع قوى الشرك والإلحاد في حين لم يجد له ناصراً، ولم يكن يأوي إلى ركن شديد سوى عمه أبي طالب مؤمن قريش، وحامي الإسلام، وقد انبرت زعماء قريش إلى أبي طالب يهددونه ويتوعدونه ان لم ينته الرسول عن دعوته، فانطلق أبو طالب إلى النبي ﷺ وعرض عليه ذلك، فأجابه بهذه الكلمات التي سارت مع الفلك وارتسمت فيه قائلاً:

«يا عم، والله لو وضعوا الشمس بيميني، والقمر بيساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى أموت أو يظهره الله!!».

وبهذه الإرادة العملاقة، وبهذا التصميم الجبار قد تغلب على جميع الأحداث، فحطم الأصنام، وأباد قوى الشرك، ونسف خلايا الجاهلية ورفع كلمة

الله عالية في الأرض، وبنى حياة جديدة للإنسان تميزت بالصلابة للحق، والصرامة في العدل.

وطعم ﷺ أصحابه بهذه النزعة العظيمة فكانوا على قلة عددهم كالجبال عزة ومنعة، فقاوموا الأحزاب، وهزموا جيوش الشرك، وعانقوا السيوف والرماح، وكانوا لا يولون الأدبار في حروبهم، حتى فتحوا الأمصار ورفعوا علم الإسلام خفاقاً على أغلب أنحاء هذه الأرض.

وتمثلت هذه الإرادة العظيمة عند قائد الإسلام الأعلى باب مدينة علم النبي وأبي سبطيه الامام أمير المؤمنين، صاحب الفتوحات العظيمة الذي حصد رؤوس المشركين، وفلل قواعدهم، وقهر اليهود، وأذلهم وهو قائل:

«لو تضافرت العرب على قتالي لما فررت منها».

ان هذه الإرادة الجبارة إنما هي نفحة من إرادة الله فانها إرادة تأبى الخضوع وتأبى الضيم، وتأبى العبودية، وتأبى الاستسلام، وقد تمثلت بأروع صورها ومعانيها عند سبط الرسول الأعظم ﷺ أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام فقد وقف على صعيد كربلاء مع قلة الناصر، يخاطب جيوش الشرك والضلال ويملي عليهم إرادته قائلاً:

«لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد، ألا وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما...».

وترجل إلى ساحة الموت مع الفتية الطيبة من أهل بيته ليعطي للعالم بأسره دروساً عن قوة الإرادة، وصلابة العقيدة، والتضحية في سبيل الله.

ان قيمة الإنسان إنما هي في إرادته، وإذا تجرد عنها فهو ليس بإنسان، يقول (ديكارت): «ليس في الإنسان ما هو لاصق بشخصيته أكثر من الإرادة» ان قوة الإرادة لها الأثر التام في تكوين الشخص وفي خلوده، وان الشخص الذي هو

ضعيف الإرادة يستحيل أن يحقق أي هدف لنفسه أو لمجتمعه، يقول (امرسن): «إن قوة الإرادة سر النجاح، والنجاح غاية الوجود، فإن قوة إرادة نابليون، وكرنت والاسكندر وغيرهم من رجال التأريخ هي التي خلدت أسماءهم، وإنا لنرى عدداً كبيراً من رجال التأريخ لم ينتج انخذالهم على ما اشتهروا به من الشجاعة والحنكة والذكاء إلا عن ترددهم، وضعف إرادتهم، وان من المحال أن ندخل معترك الحياة، ونرجو الفوز فيها دون أن تكون لدينا إرادة قوية»[1].

ان قوة الإرادة من مظاهر الشخصية المستقلة التي تصنع التأريخ الإنساني ولا تعرف شيئاً مستحيلاً في الحياة، وقد قيل لنابليون: إن جبال الب ستقف في طريق جيشك، فقال: «سوف لا تكون ألب» وكانت أثقل الألفاظ على سمعه كلمة مستحيل، ولا استطيع.

بقي هنا شيء وهو أن الإسلام يحرص كل الحرص على أن يكون القائم بأمور المسلمين، والحاكم لشؤونهم ذا إرادة قوية، وعزم جبار، وإذا كان ضعيف الإرادة فانه يمنع من قيادة الأمة لأنه يعرضها للأخطار، ويذهب بهيبة الحكم، ومعنويته، ويغري ذوي القوة بالتمرد والخروج عن الطاعة.

ضعف الارادة

وإذا مني الشخص بضعف الإرادة فقد فقد شخصيته، وتغلبت عليه الأهواء، ومن المحتم انه يستسلم لقيادة شهواته، وينطلق في ميادين سحيقة من الرذائل كشرب الخمر والمقامرة واقتراف جميع أنواع الإثم، كما يستسلم للكسل والخمول، ويجر لنفسه كثيراً من الويلات والخطوب.

---

(١) قوة الإرادة لاوريسون سويت ماردن.

تنمية الارادة

وإذا أصيبت الإرادة بالضعف والخمول فان علاجها يكون بإلزام النفس في الدخول في الأعمال الشاقة التي تتطلب جهداً وعناءً فان ذلك يقويها ويعودها على التغلب على المصاعب، وبذلك تكتسب الإرادة قوة حسب ما يقوله علماء الأخلاق، ومما يقوي الإرادة انا إذا عزمنا على شيء يجب أن نحاول بقدر ما نستطيع تنفيذه من دون أن نسمح لأنفسنا بتركه، وقد دعا الإسلام إلى ذلك قال تعالى: **﴿وإذا عزمت فتوكل على الله﴾** كما ان من بواعث تقوية الإرادة النظر في سيرة العظماء الذين غيروا مجرى التأريخ وصنعوا المجد لأمتهم، فانهم لم يصلوا إلى ذلك إلا بإرادتهم الدافعة إلى ذلك الخير.

حرية الارادة

ومنح الإسلام حرية الإرادة لكل شخص، وجعلها من الحقوق الذاتية له فله الحق أن يحقق جميع رغباته وأمانيه، وليس لأي أحد أن يقف حاجزاً دونها، ولكن شريطة أن لا تكون في الإثم والحرام، أو تكون مضرة بالغير فانه يحجر عليه، ويقاوم حفظاً على الصالح العام، وقد تحدثنا في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) عن هذه الظاهرة، وأوليناها المزيد من التحقيق.

الشجاعة

الشجاعة من أهم العناصر التي تتكون منها الشخصية العظيمة، فانها تحمل صاحبها على ضبط النفس وقت الخطر، ومقابلة الأحداث بالصبر، وعدم الانهيار عند مداهمة الكوارث والخطوب، وقد أولى الإسلام اهتمامه البالغ بغرس هذه الظاهرة في النفوس وأكد على رعايتها في جميع مجالاته التربوية والنفسية، فدفع المسلمين إلى ساحات البطولات، وميادين التضحية والفداء في سبيل الحق، والذب عن مبادئهم وأهدافهم، فكانوا ـ في عصورهم الأولى ـ يتسابقون إلى اعتناق السيوف والرماح بعزم ثابت وإرادة جبارة حتى استطاعوا على قلتهم أن يهزموا قوى الشرك، ويفللوا قواعد الالحاد...لقد حفل تأريخ الإسلام بالبطولات الفذة النادرة، وكان من أروعها الامام أمير المؤمنين عليه السلام، فليس في جميع فترات التأريخ الإنساني قديماً ولا حديثاً من هو أشجع قلباً، ولا أثبت جناناً، ولا أربط جأشاً منه، فله المواقف المشهودة، والمقامات المشهورة، والأيام المذكورة يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم أحد، ويوم خيبر، ولم يحفل بتلك المواقف الرهيبة، ولم يحجم فيها فقد جاهد في الله حق جهاده وأبدى صفحته في دار الشرك، والأرض مشحونة ضلالة، والأصنام تعبد جهرة، وهو القائل: «لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، ولو اسلمني الناس جميعاً لم أكن متضرعاً» واستوعبت مواقفه البطولية جميع لغات الأرض، فكان من ألمع صور الشجاعة والبطولات في العالم بأسره...وارتقى إلى هذا الميدان المشرق، وحلّق فيه الإمام الحسين عليه السلام أبو الأحرار، وقائد الحركة التحررية والنضالية في الإسلام فكان عليه السلام نسخة لا ثاني لها في العالم ـ بعد أبيه ـ فقد استقبل السيوف والرماح ـ في يوم كربلا ـ بثغر باسم، ووقف كالطود الشامخ، وهو يلقي على الأجيال دروساً عن

الكرامة والإباء، ونكران الذات غير حافل بما يعانيه من الكوارث التي تتصدع من هولها القلوب أسى وحزناً من مصارع فتيته وأبنائه وأحبته، وما ألّم به من اليم العطش وصراخ أطفاله ونسائه، فلم توقفه هذه المحن الكبرى عن المضي في جهاده وكفاحه، فقد بقي صامداً لم يضرع، ولم يجزع حتى لقي الله عزوجل، وهو صابر محتسب، وقد سجل بمواقفه العظيمة أعظم الانتصارات للإسلام، وبقي صورة حية تتجدد وتنير، وتفتح معالم الطريق لجميع الشعوب المكافحة عن حريتها واستقلالها.

مظاهر الشجاعة

وأهم المظاهر الطبيعية للشجاعة هي ما يلي:

١ ـ الحفاظ على الحالة الطبيعية والتوازن، وعدم الارتباك حين المناظرات وإبداء الرأي والدفاع عن العقيدة.

٢ ـ التغلب على الصعاب، التي تعترض الإنسان في حياته، والإقدام على إصلاح ما يراه من الأخطاء في حياة الناس، ومعتقداتهم.

٣ ـ الجهر بالحق، وعدم المبالاة بما يناله من الشر والخطوب في سبيل إعلاء كلمة الحق.

الشجاعة الأدبية

ونعني بها الجهر بالحق بشجاعة ونكران للذات، وهذا ما يعني به الإسلام في مجالاته التربوية، فانه يريد من المسلم أن يكون قائلاً بالحق غير هياب، ولا خائف، ففي الحديث: «قل الحق ولو كان مراً»، وفي حديث آخر: «لا تخف في الحق لومة لائم»، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الإمام

الحسن عليه السلام: «وخض الغمرات للحق حيث ما كان»، وقال صلى الله عليه وآله: «قل الحق ولو على نفسك»، وأهاب صلى الله عليه وآله بأمته أن لا تقول الحق مع الظالمين والمعتدين فقال صلى الله عليه وآله: «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم، فقد تودع منها» وكان من أبرز رجال الإسلام الذين جاهروا بالحق، وأنكروا المنكر الصحابي العظيم أبوذر الغفاري فقد اندفع بوحي من عقيدته الإسلامية إلى شجب السياسة الأموية حينما انحرفت عن الطريق القويم، فكان يهدد عثمان، ويدعو المسلمين إلى إعلان الثورة على حكمه.

إن صيحة أبي ذر كانت صيحة رجل يقظ وعى الإسلام، ووقف على أهدافه وواقعه، فأنكر على عثمان سياسته الذي تدعو إلى التلاعب بمقدرات الأمة، ونهب ثرواتها، ومنحها للوجوه والأعيان في حين قد عمت المجاعة جميع أنحاء البلاد، يقول سيد قطب: «إن صيحة أبي ذر كانت دفعة من دفعات الروح الإسلامي أنكرها الذين فسدت قلوبهم ولا يزال ينكرها أمثالهم من مطايا الاستغلال في هذه الأيام، لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير لم تخدره الاطماع أمام تضخم فاحش في الثروات يفرق الجماعة الإسلامية طبقات ويحطم الأسس التي جاء بها الدين ليقيمها»[1].

وانطلق أبو ذر بكل بسالة يوالي إنكاره الشديد، ويبدي سخطه البالغ على عثمان حتى نفاه إلى الربذة فمات فيها جوعاً وفي يد عثمان ذهب الأرض يصرفه بسخاء على بني أمية وآل أبي معيط، ويحرّمه على هذا الصحابي العظيم الذي هو شبيه المسيح عيسى بن مريم في هديه وسمته، كما يقول الرسول العظيم صلى الله عليه وآله في حقه.

وقد ملكت قادة الشيعة وأعلامها رصيداً كبيراً من الجرأة والإقدام فلم يخضعوا لجور الحكم القائم آنذاك وقسوته، فقد اندفعوا إلى إعلاء كلمة الله،

---

(١) العدالة الاجتماعية: ص ٢١١.

وشــجب الفســاد والمـنكر، فـهذا عـبدالله بـن عـفيف الأزدي صـاحب الامـام علي عليه السلام قد ثار في وجه الطاغية المجرم عبيدالله بن زياد حينما خطب بعد مقتل ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسبطه الإمام الحسين، فما انهى كلماته حتى انبرى إليه عبدالله راداً عليه بهذه الكلمات التي كان وقعها على الطاغية أشد من ضربات السيوف قائلاً له:

«إنما الكذاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه يا عبد بني علاج أتقتلون أبناء النبيين، وتصعدون على منابر المسلمين؟ أين أبـناء المـهاجرين والأنـصار لينتقموا منك ومن طاغيتك اللعين ابن اللعين ـ مشيراً إلى يزيد وأبيه معاوية ـ على لسان النبي الأمين».

وهذا الكميت بن زيد قابل بالهجاء المقذع ملوك الأمويين، وأشاد بفضل العلويين فقال:

ســـاسة لا كـــمن يـــرى رعـــية النـــاس ســـواء ورعـــية الأغـــنام
لا كـــعبد المـــليك، أو كـــوليد أو ســـليمان بـــعد أو كـــهشام

وهجا الطاغية هشام فقال:

مـصيب عــلى الأعــداء يـوم ركـوبها بـما قـال فـيها مـخطئ حـين يـنزل
كــلام النــبيين الهــداة كــلامنا وأفــعال أهــل الجــاهلية نـفعل

وخاطب الامويين بهذا الشعر الجريء:

فــقل لبــني أمــية حـيث كـانوا وإن خــفت المــهند والقــطيعا
أجـــاع الله مـــن أشـــبعتموه وأشـــبع مـــن بـــجوركم أجـــيعا

وبالغ الأمويون في اضطهاده وإرهاقه، ولكنه ازداد تصلباً لعقيدته وإيماناً بمبدئه.

وظهر على مسرح الحياة الشيعية شاعر آخر وهو الفرزدق فانتقد الأمويين وجاهر في ذمهم، وانتصر لأهل البيت عليهم السلام دعاة الحق والعدالة في الإسلام وكان من أهم مواقفه المشرقة مدحه للإمام زين العابدين عليه السلام وانتقاصه لهشام بن عبد الملك الذي أنكر معرفة الإمام، وتجاهله أمام أهل الشام، فقال يخاطبه أمام الجموع الحاشدة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

وتعرض على هذه الجرأة لسخط الأمويين، ونقمتهم، ولكنه لم يعن بذلك، فانطلق يذكر معائب الأمويين، وهجا هشام بن عبد الملك فقال:

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعين له حولاء باد عيوبها

وهذا دعبل الخزاعي شاعر المضطهدين والمعذبين قد جهر بالحق، ونقم على ملوك عصره الذين جهدوا في ظلم الرعية وإرهاقها، فقد هجا الرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، وابراهيم بن المهدي، وكان من أروع هجائه، وأكثره صلابة ما قاله في المعتصم:

وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له عقل وليس له لب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم يأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

لقد اندفع هذا العملاق بوحي العظيم من دينه وعقيدته إلى مناهضة الظالمين الذين ابتزوا أمر هذه الأمة، وامعنوا في إذلالها وقهرها، ولم يكن هناك أحد يستطيع أن يجهر بكلمة الحق، ويدافع عن مصالح البؤساء والمحرومين

سوى دعبل واخوانه المؤمنين الذين صمدوا في وجه الأعاصير، وأعلنوا كلمة الله في أحرج الظروف وأكثرها محنة وعناءً.

ولم تقتصر الشجاعة الأدبية على المناضلين الأحرار من رجال الشيعة فقد كان لنسائهم دور كبير في مناهضة الظلم الاجتماعي والغبن الاجتماعي، ومناصرة الحق، فهذه سوادة بنت عمارة سيدة نساء العراق وفدت على معاوية تشكو إليه من ظلم عامله، وجوره فلما دخلت عليه عرفها فقال لها بنبرات تقطر غضباً:

ألست القائلة يوم صفين:

شمّر كفعل أبيك يابن عمارة يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان

ان الإمام أخا النبي محمد علم الهدى ومنارة الايمان

فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدماً بأبيض صارم وسنان

فانبرت وهي رابطة الجأش مستهينة بمعاوية قائلة له:

«أي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب».

فبهر معاوية، واندفع يقول:

- ما حملك على ذلك؟

- حب علي واتباع الحق.

- ما أرى عليك من أثر علي شيئاً؟

- مات الرأس، وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نسي، وإعادة ما مضى.

وعرضت عليه ما جرى عليها، وعلى قومها من ظلم عامله، وأنشأت تقول:

صلى الاله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قــد حــالف الحــق لا يــبغي بــه بــدلا فـــــصار بـــالحق والإيــمان مــقرونا

فقال معاوية: من ذلك؟

ـ علي بن أبي طالب.

ـ ما صنع حتى صار عندك كذلك؟

ـ قدمت عليه في رجل ولّاه صدقتنا، فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً عليه السلام لأشكو إليه ما صنع، فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إلي انفتل من صلاته، ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللهم إنك أنت الشاهد علي وعليهم اني لم امرهم بظلم خلقك، ولا بترك حق، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب، فكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ، إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه والسلام».

وذهل معاوية، ولم يملك اهابه، واندفع يقول:

ـ لمظكم ابن أبي طالب الجرأة، وغركم قوله:

فــلو كــنت بــوابــاً عــلى بــاب جــنة لقـــــلت لهـــمدان ادخـــلوا بســـلام[1]

لقد كان موقف هذه السيدة الكريمة نفحة من نفحات الروح الإسلامي التي تأبى الخضوع للذل والعبودية، وتأبى أن تقر الظلم، وتسالم الجور.

وعلى أي حال فان الجرأة الأدبية من أروع صور الشجاعة، ومن أسمى ألوان الصمود وقوة العزم، وصلابة الإرادة.

---

(١) بلاغات النساء: ص ٣٠. اعلام النساء: ٢ / ٦٦٣.

الصبــر

ومما يدعو إلى تماسك الشخصية، وتوازنها الصبر على الأحداث، وعدم الانهيار أمام محن الأيام وخطوبها، وقد أكد الإسلام على هذه الظاهرة بصورة خاصة، وحث المسلمين على التحلي بها وان من يتخلق بها فان الله يمنحه الأجر بغير حساب، قال تعالى: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿ولنجزين الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صابروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**[4].

وقال تعالى في مدحه لنبيه أيوب: **﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب﴾**[5].

إن الصبر نفحة من نفحات الله، يعتصم به المؤمن فيتلقى المكاره والمصاعب بحزم ثابت ونفس مطمئنة، ولولاه لانهارت نفسه، وتحطمت قواه، وأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة، وقد دعا الإسلام إلى الاعتصام به لأنه من أهم الفضائل الخلقية، وقد ذكره القرآن الكريم في سبعين آية، ولم يذكر فضيلة

---

(١) سورة الزمر: آية ١٠.

(٢) سورة النحل: آية ٩٦.

(٣) سورة الإنسان: آية ١٢.

(٤) سورة السجدة: آية ٢٤.

(٥) سورة ص: آية ٤٤.

أخرى بهذا المقدار، وما سبب ذلك إلا لعظيم أمره، ولأنه من مصادر النهوض الاجتماعي، فالأمة التي لا صبر لها لا يمكن أن تصمد في وجه الأعاصير، مضافاً لذلك أنه يربي ملكات الخير في النفس فما من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه، وقد حث أئمة الهدى عليهم السلام على التمسك به، وقد أثر عنهم في ذلك الشيء الكثير من الأخبار فقد قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار»[1]. وقال الامام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[2].

إن الصبر بلسم للقلوب المكلومة التي أثكلها الخطب، وجار عليها الزمان، وهو عزاء للنفوس الحزينة التي هامت بتيار من الهواجس والهموم وهو تسلية للمعذبين الذين يعانون من محن الأيام وخطوبها، ففي ظلاله يجدون الاطمئنان، وتحت كنفه ينعمون بالراحة والاستقرار.

أنواعه

والصبر ـ حسب ما ذكره علماء الأخلاق ـ على أنواع وهي:

١ ـ الصبر عن فعل الشر، ودواعي الهوى والشهوات، وكل ما يمس بكرامة الإنسان ويحط من قيمته.

٢ ـ الصبر على نوائب الزمن، وتحمل الرزايا والآلام، وما يفوت الإنسان من المصالح، والمنافع الدنيوية.

---

(١) جامع السعادات.

(٢) جامع السعادات.

٣ ـ الصبر في مواطن الخوف، والذعر، ومنه الصبر في الدفاع عن الحق ووقاية العرض، وغير ذلك.

وليس من الصبر في شيء الاستسلام للمكروه، والتقاعد عن دفعه بالوسائل المشروعة، كما انه ليس منه الصبر على الفقر، والخلود إلى الراحة وانتظار أسباب الرزق. فان الواجب السعي في الأرض لتحصيل العيش ولا تجوز البطالة فانها ضرب من ضروب الجهل والخمول، وباب من أبواب الموبقات والرذائل.

وعلى أي حال فإن الصبر الذي دعا إليه الإسلام هو من أبرز الفضائل النفسية، وأكثرها عائدة بالخير والنفع على الفرد والمجتمع، وقد قيل إن أعز الشعوب، وأرفعها شأناً، وأعزها سلطاناً هو الشعب الذي عرف من أخلاقه الصبر والثبات في مواطن الاخطار، والصمود أمام الزوابع والأهوال، حتى يعد للأمور عدتها، ويهيء لها أسبابها، ووسائلها حتى ينجو مما ألمّ به.

الحلـم

الحلم اسم من أسماء الله، وصفة من صفاته، فمن تحلى به فقد فاز بأوفر الحظوظ، واستسمك بكل سبب من أسباب الخير، وقد خص الله تعالى به صفوة أوليائه، ومنحه لأكرم أنبيائه، فقال في ابراهيم: «ان ابراهيم لحليم أواه منيب» وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وآله: «خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين».

إن الحلم من أبرز الفضائل النفسية، وأكثرها دلالة على سعة الصدر وعلو الهمة، والتمسك بمكارم الأخلاق، وقد تظافرت الأخبار الواردة عن الرسول الأعظم، وأئمة أهل البيت عليهم السلام في تعظيم هذه الصفة، وإكبار المتصفين بها، وفيما يلي عرض لبعضها:

١ ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم اغنني بالعلم، وزيّني بالحلم».

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله: «ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط».

٣ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك».

٤ ـ قال الامام علي بن الحسين عليه السلام: «إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه».

٥ ـ قال الامام الصادق: «كفى بالحلم ناصراً».

وكانت هذه الظاهرة من أبرز صفات أئمة أهل البيت عليهم السلام فكان الامام الحسن عليه السلام سبط النبي وريحانته مضرب المثل في حلمه حتى شهد له بذلك ألد أعدائه مروان بن الحكم حينما بادر إلى حمل جنازته فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «أتحمل جنازته، وقد كنت تجرعه الغيظ، فقال مروان: كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال» وكان الامام موسى بن جعفر عليه السلام من أكثر الناس حلماً وأوسعهم

صدراً حتى لقب بالكاظم لكظمه الغيظ، وأثنى تعالى على المتصفين بهذا الخلق الرفيع فقال: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[1].

إن الحلم يقضي على كثير من المشاكل والتنافر، ويوجب نشر المحبة والمودة بين الناس، ويبعدهم عن الكراهية والحقد فلذا اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً في تركيزه في نفوس المسلمين وتحليهم به.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٤.

التواضع

إن التواضع من المزايا الكريمة التي تعنى التربية الإسلامية بغرسها في آفاق النفس، وهو أحد الأسباب المزيلة للتكبر والمبيدة لدائه، وهو يرفع الإنسان في الدنيا، ويقربه من الله، وتواترت الأخبار بالحث عليه فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟ فانبروا قائلين: ما حلاوة العبادة؟

قال صلى الله عليه وآله: التواضع».

وقال صلى الله عليه وآله: «أربع لا يعطيهن الله إلا من يحبه: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا» وقد تجسد التواضع بماله من معنى في أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد أعطو دروساً رائعة في ذلك فقد روى المؤرخون ان رجلاً استضاف مع ابنه عند الامام أمير المؤمنين عليه السلام فأكرمهما وقدم لهما خواناً من الطعام وبعد فراغهما انبرى عليه السلام فأخذ الابريق ليصب الماء على يد الرجل فامتنع من ذلك فقال عليه السلام له: اقعد واغسل فان الله عزوجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك، ولا يتفضل عنك يخدمك يريد بذلك في خدمته الجنة، ثم أقسم عليه بحقه أن يستجيب له، فانصاع الرجل، فصب الامام على يده الماء، فلما فرغ ناول الابريق إلى ولده محمد بن الحنفية، وأمره أن يصب الماء على يد ابن الرجل، وقال له: لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عزوجل يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، فقام محمد وصب الماء على يد الابن...بهذه الروح العالية ساد الإسلام في تربيته، وسما في تعاليمه وأخلاقه.

وتحدث الإمام الصادق عليه السلام عن شرف التواضع فقال عليه السلام:

«التواضع أصل كل شرف نفيس، ومرتبة رفيعة، ولو كان التواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق، في مخفيات العواقب. والتواضع ما يكون لله وفي

الله، وما سواه فكبر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده. ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السموات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين. قال الله عزوجل: ﴿وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾[(١)].

وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته، وليس لله عزوجل عبادة يقبلها ويرضاها إلا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المستقلين بوحدانيته، قال الله عزوجل: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[(٢)].

وجد أمر الله عزوجل أعز خلقه وسيد بريته محمداً صلى الله عليه وآله بالتواضع فقال عزوجل: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾[(٣)].

والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع، والخشية والحياء وانهن لا يأتين إلا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للتواضع في ذات الله تعالى.

وألم حديث الامام عليه السلام بواقع التواضع الذي يثاب عليه عند الله، ويستحق به الاجر، وذلك فيما إذا تجرد عن جميع النزعات المادية، وقصد به وجه الله تعالى خالصاً من كل شيء.

---

(١) سورة الاعراف: آية ٤٦.

(٢) سورة الفرقان: آية ٦٣.

(٣) سورة الشعراء: آية ٢١٥.

العفو والصفح

من الصفات الكريمة التي تعنى بها التربية الإسلامية، العفو عن المعتدي والصفح عن المسيء، وحث الله تعالى في كثير من آيات كتابه على التحلي بهذا الخلق الرفيع، قال تعالى: **﴿وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم﴾**[1].

وأمر تعالى بمقابلة المسيئين بالإحسان، والدفع بالتي هي أحسن قال تعالى: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**[2].

وحفلت كتب الحديث بكوكبة كبيرة من الأخبار التي أثرت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام وهي تحث المسلمين على التخلق بهذه النزعة الكريمة، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«الا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، واعطاء من حرمك»[3].

قال صلى الله عليه وآله: «عليكم بالعفو، فان العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله»[4].

قال الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ثلاث لا يزيد الله بهن المسلم إلا عزاً، الصفح عمن ظلمه، واعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»[5].

---

(١) سورة التغابن: آية ١٤.

(٢) سورة فصلت: آية ٣٤.

(٣) (٤) (٥) أصول الكافي ٢ / ١٠٧ ـ ١٠٩.

قال الامام الصادق عليه السلام: «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة، تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك...»[1].

وكانت هذه النزعة الشريفة من صفات الرسول صلى الله عليه وآله فقد قبل جميع من أساء إليه بالعفو والإحسان، وقد عفا عن مشركي قريش الذين آذوه وسخروا منه، وأخرجوه من دياره، وألبوا عليه جميع قوى الشرك، ولما فتح صلى الله عليه وآله مكة، قال لهم:

« ـ ما تظنون أني فاعل بكم؟ فانبروا جميعاً بلسان واحد قائلين: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم؟ فقال صلى الله عليه وآله: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وروى انس بن مالك قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وعليه برد غليظ الحاشية، فجذبه اعرابي من ردائه جذبة شديدة، حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه، وقال له بنبرات تقطر غضباً: «يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك. فسكت الرسول صلى الله عليه وآله برهة، ثم انطلق قائلاً: المال مال الله، وأنا عبده، ثم قال للأعرابي: ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت؟

ـ لا.

ـ لم؟

ـ لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة.

فتبسم صلى الله عليه وآله وأمر بأن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر»، وقد قابل صلى الله عليه وآله كل ما أساء إليه بالاحسان، والمعروف، والصفح الجميل، وكانت هذه الظاهرة الفذة من نزعات أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد امتازوا بها على سائر الناس، فقد روى المؤرخون ان الإمام زين العابدين عليه السلام خرج إلى المسجد فالتقى به رجل، فأخذ يكيل السب والشتم للامام، فأراد غلمانه أن ينتقموا من الرجل،

---

(1) أصول الكافي: ٢ / ١٠٧ ـ ١٠٩.

فنهاهم الامام، وقال لهم: كفوا أيديكم عنه، والتفت إلى الرجل فقال له:

«يا هذا أنا أكثر مما تقول، وما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته. فخجل الرجل واستحيا، وقام الإمام فخلع عليه قميصه، وأمر له بألف درهم، فطفق الرجل يقول: اشهد أن هذا الشاب من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله».

واجتاز شخص من أهل الشام على الإمام الزكي أبي محمد الحسن عليه السلام فأخذ يشتمه، وبعد انتهائه قابله الإمام ببسمات فياضة بالبشر قائلاً له:

«أيها الشيخ: أظنك غريباً لو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا ارشدناك ولو استحملتنا حملناك، وان كنت جائعاً أطعمناك، وان كنت محتاجاً أغنيناك، وان كنت طريداً آويناك».

وما زال عليه السلام يلاطف الشامي بهذا ومثله حتى قلع روح الشر من نفسه وقد ذهل من معالي أخلاقه، ولم يطق رد الكلام، وانطلق يقول:

«الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء»[1].

وهكذا إذا استعرضنا سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام نجدها طافحة بمثل هذه البوادر التي تدل على نكران الذات، والتجرد من نزعات الانتقام فكانوا من أبرز ممن عناهم الله بقوله: **﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾**[2].

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي: ١ / ٢٩٣.

(٢) سورة الرعد: آية ٢٢.

الإحسان

الإحسان أفضل مكرمة يكتسبها الإنسان في حياته، واطيب ثمرة يقتنيها في وجوده، فهو يكسبه مودة الناس، واجماعهم على تكريمه، ويعود عليه بجمال الاحدوثة بعد وفاته، وقد تبنّى الإسلام بصورة ايجابية الإحسان، ودعا اليه، قال تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**[1].

كما جعله من أفضل الصفات التي يتحلى بها الإنسان، قال تعالى: **﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾**[3].

ورغّب باتيان الحسنة، وجعل عوضها خيراً منها، قال تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون﴾**[4].

ووعد بأن عوضها عشر أمثالها، قال تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾**[5].

كما وعد تعالى في غير آية من كتابه بأنه لا يضيع أجر المحسنين، وانه يمنحهم أجزل الأجر وأكثر الثواب قال تعالى: **﴿واصبر فان الله لا يضيع أجر**

---

(١) سورة النحل: آية ٩٠.

(٢) سورة النساء: آية ١٢٥.

(٣) سورة لقمان: آية ٢٢.

(٤) سورة النمل: آية ٨٩.

(٥) سورة الأنعام: آية ١٦٠.

المحسنين﴾[1].

الإحسان قاعدة أساسية في بناء المجتمع الإسلامي، ومن أفضل الوسائل الهادفة إلى نشر المحبة والمودة بين الناس، وقد خص بعض الفئات بالإحسان إليها، وذلك لما لها من روابط القربى أو الجوار، أو لأنها فقدت الكافل قال تعالى:

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾[2].

وقد قرن تعالى البر بهذه الفئات بعبادته لأن بعضها في أمس الحاجة إلى العطف والإحسان، وهذه الفئات هي:

١ ـ الوالدان، فان رعايتهما والبر بهما من أوثق الأسباب التي تؤدي إلى تماسك الأسرة، وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في البحوث المتقدمة.

٢ ـ ذوو القربى به وهم الإخوة، والأعمام، والأخوال، وأبناؤهم، وسائر الأقربين فإن الإحسان إليهم يوجب شيوع المحبة بين أفراد الأسرة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع.

٣ ـ اليتامى: وهم الذين فقدوا آباءهم، والأمة مسؤولة عن رعايتهم وتربيتهم وهو من موارد التكافل الاجتماعي الذي فرضه الإسلام على المسلمين والزمهم بالانفاق على العاجز والضعيف، واليتيم.

٤ ـ المساكين، وهم الفقراء الذين لا يجدون قوت سنتهم فعلى الأمة أن تنفق عليهم، وقد خص الإسلام لهم كثيراً من المبرات الاجتماعية، كما جعل لهم قسماً من الزكاة المفروضة، وذلك لاكتساح الفقر، وإزالة شبحه من المجتمع

---

(١) سورة هود: آية ١١٥.

(٢) سورة النساء: آية ٣٦.

الإسلامي.

٥ ـ الجار: (ذي القربى) وهو المجاور القريب، و(الجار ذي الجنب) أي البعيد في جواره وقد أمر تعالى بالإحسان إليهم حتى تتوثق المحبة والمودة بين أهل الحي الواحد، وهي من الأسباب المهمة في تماسك المجتمع وترابطه.

٦ ـ ابن السبيل: وهو الذي فقد ما عنده من أموال قبل أن يبلغ وطنه، فان الإسلام أمر بتعاهده ورعايته، والإنفاق عليه حتى يبلغ وطنه كما جعل له حصة في الزكاة المفروضة.

٧ ـ ملك اليمين: وهو ما يملكه الإنسان من الرقيق، وقد حث الإسلام على الإحسان إليهم كتحريرهم وعتقهم، والبر بهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون.

إن الإحسان والبر إلى هذه الفئات مما يوجب شيوع المودة، وقوة الروابط الاجتماعية بين المسلمين، ويجعلهم يداً واحدة على من سواهم.

السخاء

من كان ندي الكف مبسوط اليدين بالعطاء متمسكاً بأهداب السخاء بعيداً عن البخل، نائياً عن الشح، فأعظم به من خير عميم، كبير الثقة بالله، عظيم النفس، شريف الذات، نبيل القصد.

ان التربية الإسلامية تعنى بغرس هذه الظاهرة، وتنميتها في آفاق النفس لأنها من أعظم النزعات الشريفة التي توجب تماسك المجتمع، وشيوع المحبة والمودة بين أفراده، وقد دعا النبي ﷺ أمته إلى التحلي به، فقد أثر عنه أنه قال: «إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة»، وقال ﷺ: «قال الله سبحانه: ان هذا الدين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم» وقال ﷺ: «إن السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة بعيد من النار»، وقال ﷺ: «اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس بأهله، فان أصبت أهله فقد أصبت أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله».

وتواترت الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي تحفز المسلمين على التحلي بهذه الصفة الكريمة، قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يستخلي الله منه حتى يدخله الجنة، وما بعث الله نبياً ولا وصياً إلا سخياً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى...».

وكانت هذه النزعة الكريمة من الصفات البارزة في أئمة أهل البيت عليهم السلام فكانوا لا يعرفون للمال قيمة سوى ما يرد به جوع جائع أو إغاثة ملهوف، أو وفاء دين غارم، وقد أثر عن الإمام الحسن كريم أهل البيت عليهم السلام أنه ما قال لسائل لا قط، وقيل له: لأي شيء لا نراك ترد سائلا فأجاب:

«اني لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً، وأردّ سائلاً، وان الله عوّدني أن يفيض نعمه علي، وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن

قطعت العادة أن يمنعني العادة، وأنشأ يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحبا بمن فضله فرض علي معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل وأفضل أيام الفتى حين يسأل[1]

وكانوا يغدقون ببرّهم ونعمهم على المحوجين والايتام، يقول فيهم الكميت:

والغيوث الذين إن أمحل النا س فمأوى حواضن الأيتام

وقد حفلت سيرتهم بكثير من بوادر الكرم والمعروف مما يدل على أن ذلك كان من إحدى مقوماتهم وعناصرهم.

(١) حياة الإمام الحسن: ١ / ٢٩٥.

الايثـــار

الإيثار: من الصـفات الكـريمة التـي تـؤدي إلى سـمو الإنسـان، وتكـامل شخصيته ونكرانه لذاته، وتفانيه في سبيل الحق والخير، وقد عني به الإسلام عناية بالغة واثنى على من يتخلق به، فقد مدح القرآن الكريم جماعة من نبلاء المسلمين وأفذادهم، لأنهم آثروا اخوانهم على أنفسهم، قال تعالى:

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شـح نـفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

وسبب نزول هذه الآية ـ فيما يقول المفسرون ـ ان سبعة أشـخاص مـن المسلمين. سقطوا جرحى في واقعة أحد وقد فتك بهم العطش، وأضر بهم فبادر شخص من المسلمين فجاءهم بماء ولكنه لم يكن يكفي إلا واحداً منهم، فناوله لشخص منهم، فأبى أن يشرب، وقال له: ناوله لأخي لعله أكثر ظمأً مني، فانبرى إليه، وناوله الماء فلما أراد أن يشرب سمع أنين صاحبه، فامتنع من الشرب، وآثره على نفسه، وهكذا كان كل واحد منهم يؤثر أخاه في دين الله على نفسه وانعطف الرجل إلى الأخير منهم فوجده ميتاً، فأقبل ليسقي الآخر فوجده ميتاً، وهكذا قد ماتوا جميعاً[1]...لقد غذاهم الإسلام بهذه الروح العـظيمة، وطـبعهم عـلى هـذه الأخلاق الرفيعة، فكانوا أمثلة للتكامل الانساني في جميع مراحل التأريخ.

ومن أروع صور الإيثار في الإسلام، وأعطره ذكراً، وأبقاه أثراً هو إيثار أهل البيت عليهم السلام، فقد نزلت فيه سورة من القرآن الكريم وهي سورة (هل أتى) وكان سبب ذلك فيما أجمع عليه المـفسرون أن الحسـن والحسـين مـرضا فـعادهما جدهما الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مع بعض الصحابة فقالوا للإمام: لو نذرت لله ان عافى

(١) مجمع البيان: ٥ / ٩٦٠.

ولديك، فنذرعليه السلام صوم ثلاثة أيام إن برئا، وتابعته الصدّيقة، وجاريتها فضة في ذلك، ولما ابل الحسنان من المرض صاموا جميعاً، ولم يكن عند الإمام في ذلك الوقت شيء من الطعام فاستقرض ثلاثة أصواع من الشعير، فعمدت الصدّيقة في اليوم الأول إلى صاع فطحنته، وخبزته، فلما آن وقت الإفطار وإذا بمسكين يستميحهم من القوت شيئاً فتبرع الإمام في إفطاره، وتابعه الجميع في صنعه، وقضوا ليلتهم، ولم يذوقوا من الطعام شيئاً، وأصبحوا صائمين، وفي اليوم الثاني عمدت الصدّيقة إلى صاع آخر فطحنته، وصنعته طعاماً فلما حل وقت الإفطار، وإذا بيتيم على الباب يشكو ألم الجوع فتبرعوا جميعاً بقوتهم، وطووا ليلتهم ولم يذوقوا سوى الماء، وفي اليوم الثالث قامت سيدة نساء العالمين فطحنت ما فضل من الطعام، وصنعته خبزاً فلما حان وقت الإفطار وإذا بأسير يشكو الجوع فسحبوا أيديهم من الطعام وقدموه له، وزارهم رسول الله صلى الله عليه وآله في اليوم الرابع فرأى الصفرة بادية على وجوههم، وقد أخذ منهم الضعف مأخذاً عظيماً، فتأثر صلى الله عليه وآله وانطلق يقول:

«وا غوثاه أهل بيت محمد يموتون جياعاً».

ولم ينته الرسول صلى الله عليه وآله من كلامه حتى هبط عليه أمين الوحي وهو يرفع إليه سورة «هل أتى» وفيها أجمل الثناء وعاطر الذكر[1] لقد شكر الله سعيهم على هذا الإيثار الذي لا نظير له في عالم المبرات والإحسان، وقد عوضهم في الدار الآخرة الفردوس يتقلبون في نعيمه، كما جعل ذكرهم في دار الدنيا خالداً، وجعلهم أئمة للمسلمين، وقادة لهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) تفسير الفخر: ٨ / ٣٩٢، روح البيان: ٦ / ٥٤٦، أسباب النزول للواحدي: (ص ٣٣١) ينابيع المودة: ١ / ٩٣، الرياض النضرة: ٢ / ٢٢٧.

التعاون

ومن أبرز معالم التربية الإسلامية التعاون في ميادين الخير، ومجالات الإصلاح قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**﴾[1].

هذا هو المنهج الإسلامي الهادف لتكوين الفرد والمجتمع على أساس وثيق من الترابط والتعاون في جميع شؤون الحياة تعاون على صعيد البر والتقوى لا في مجالات الإثم والعدوان، ومن أبرز صور التعاون على الخير إنشاء المدارس، والمستشفيات، ومعاهد العلم والمعامل وأمثال هذه الأمور التي توجب تطور المجتمع، وتنميه، وازدهار حياته الفكرية والاقتصادية.

وقد أدت هذه النزعة الكريمة التي تبناها المسلمون ـ في عصورهم الأولى ـ إلى سيادتهم ورقيهم، وعلو شأنهم...ولما ضعفت هذه الروح الخيرة في نفوس المسلمين، وتنافروا فيما بينهم تشتت أمرهم، وتفرقت كلمتهم، وصاروا بأقصى مكان من الذل والهوان، حتى طمعت فيهم إسرائيل التي كانت من أذل الأمم، وأحطها شأناً، فأسست في أوطانهم دويلة للصهاينة، وهي جاهدة على إذلال العرب والمسلمين، وإرغامهم على ما يكرهون، ولو كان هناك تعاون صادق بين دول المسلمين لما استطاعت إسرائيل أن تحتل هذه البقعة الغالية من وطننا العزيز، وتجلي أهلها، وتبيدهم عنها، وتبالغ في إذلالهم وإرهاقهم...والمسلمون جميعاً يسمعون ما يجري على اخوانهم الفلسطينيين من القتل والتشريد، فلم تحركهم الحمية الدينية لأن يهبوا لإنقاذهم، وإعادة حقهم السليب إليهم.

---

(١) سورة المائدة، آية ٢.

الصدق

وأولى الإسلام اهتمامه البالغ بالصدق، وحث على التعود عليه، فهو من أوليات النزعات الكريمة، وأفضل الصفات الطيبة، وهو أحد الأركان الأربعة التي عليها مدار نظام المجتمع الإنساني، كما هو عنوان لرقي الأمة ان اتصفت به، ودليل على انحطاطها إن تخلت عنه...ونعرض فيما يلي لبعض شؤونه.

في ظلال القرآن:

وعرض القرآن الكريم في كثير من آياته إلى أهمية الصدق، وعظيم منزلته عند الله، فقد وصف تعالى به نفسه، قال تعالى: **﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وإنا لصادقون﴾**[2].

وأثنى به على نبيه اسماعيل عليه السلام بقوله: **﴿إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾**[3].

وجعله من أوصاف المؤمنين والمتحرجين في دينهم قال تعالى:

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾[4].

وجعله منطق الفصل في يوم حشر الإنسان وحسابه، قال تعالى: **﴿يوم ينفع**

---

(١) سورة النساء: آية ١٢٢.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٤٦.

(٣) سورة مريم: آية ٥٤.

(٤) سورة الحجرات: آية ١٥.

الصادقين صدقهم﴾[1].

وقال تعالى: **﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾**[2].

كما أمر باتباع الصادقين في هذه الحياة قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[3].

إلى غير ذلك من الآيات التي دعت الناس إلى التمسك بأهداب الصدق والتخلق به.

في ظلال السنة:

وأثرت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام كوكبة كبيرة من الأخبار وهي تحثّ المسلمين على الصدق، والتجنب عن الكذب ونعرض لبعضها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر وان البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي إلى الفجور وان الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[4].

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإن ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق

---

(١) سورة المائدة: آية ١١٩.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢٤.

(٣) سورة التوبة: آية ١١٩.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

حديثه وأداء أمانته»[1].

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «إن الله لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث واداء الأمانة إلى البر والفاجر»[2].

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام يوصي شيعته: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع»[3]، وهناك طائفة كبيرة من الأخبار، وهي تلزم المسلمين على الاتصاف بهذه النزعة الكريمة التي توجب انتشار الثقة، وشيوع الاستقرار بين الناس.

ضرورته

الصدق: من المقومات الذاتية للانسان، وشأن أصيل من شؤونه يتوقف عليه نظامه، وتوازنه في حياته الاقتصادية والثقافية، وغيرهما. فالاقتصاد في العالم إنما يديره الصدق في المعاملة، فرأس المال الوطني أو الفردي، والبنوك والتجارات، وسائر الحرف والصناعات إنما تسير على ضوء الصدق والواقعية التي هي من العناصر الذاتية في سير المعاملات وترتيب الآثار من النقل والانتقال عليها، فالصدق هو لولب الحركة الاقتصادية في جميع أنحاء العالم، ومن المستحيل أن تنمو أي حركة اقتصادية تعتمد على الاختلاس والتزوير، وغيرهما من ألوان الكذب.

والصدق عنصر أساسي في الحياة الثقافية فإنها إنما تقوم على منهج الواقعية والصدق، فلو كذب الطلبة في امتحاناتهم وفي سائر مناهجهم الدراسية، وكذب عليهم مدرسوهم فيما يلقونه عليهم من دروس لاستحالت الثقافة، وما اخضر لها

(١) (٥) أصول الكافي: ٢ / ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) أصول الكافي: ٢ / ١٠٤ ـ ١٠٥.

عود، وما أثمرت في إيجاد الوعي، وانتشار الحركة الثقافية وازدهارها.

وكذلك الحياة السياسية إنما تقوم وتستمر في فعاليتها، وسائر معطياتها على الصدق، فلو تخلت عنه لابد أن تفشل إن عاجلاً أو آجلاً، ولعل أروع صورة للصدق تمثلت في الحياة السياسية في الإسلام هو ما قام به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد الحق والعدالة في الأرض، حينما هبت قوى الخوارج بعدما تبين لها زيغ معاوية في دعواه للتحكيم، فأصرت عليه أن يعترف بالذنب، ويعلن التوبة على قبول التحكيم الذي فرضوه عليه فأصر عليه السلام على الامتناع لأنه لم يقترف ذنباً حتى يعلن التوبة عنه، وانما هم الذين اقترفوه، ولو جاراهم الإمام فيما يقولون لاستراح من التمرد الذي مني به جيشه، ولكنه سلام الله عليه لم يؤمن بالحياة السياسية التي بنيت على الكذب والخداع والتضليل، وإنما سار على الطريق الواضح الذي لا التواء فيه، وكذا لو ساير عبد الرحمن بن عوف حينما شرط عليه بعد مقتل عمر بن الخطاب أن يبايعه على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين لما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان عميد الأسرة الأموية الحاقدة على الإسلام، ولكنه عليه السلام أبى وأصر على التمسك بالصدق مهما جرّ له من المصاعب والمشاكل، وآثر رضا الله على كل شيء، فرفض أن يسير على سيرة الشيخين ومنهجهما، وأصر على أن تكون سياسة الأمة وإدارة شؤونها مستمدة من كتاب الله الكريم، وسنة نبيه العظيم صلى الله عليه وآله.

وعلى أي حال فإن الصدق ضرورة من ضروريات الحياة، وشأن أصيل من شؤونها.

أنواعــه

وأنواع الصدق من أرفع الصفات، وأشرفها وهي:

١ ـ الأمانة:

الأمانة: من أقوى الدعائم الوثيقة التي يقوم عليها المجتمع السليم، وهي عنوان لجميع الفضائل والمكارم، وتشمل رعاية حقوق الله التي اؤتمن عليها الإنسان من الفرائض والواجبات، وترك المحرمات، كما تشمل رعاية حقوق الناس فلا يطمع الإنسان في مال اؤتمن عليه، ولا يستعمل الغش ولا التطفيف في الوزن والكيل، ولا يتتبع عورات الناس، ويرشد إذا كان عالماً ويقول الحق إذا كان شاهداً، ويؤدي الرسالة على وجهها...وقد أمر الله بأداء الأمانة، قال تعالى:

﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[١].

وجعلها تعالى من صفات المؤمنين الأخيار قال تعالى:

﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[٢].

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» وقال صلى الله عليه وآله: «أدِّ الإمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»، وقال صلى الله عليه وآله: «الأمانة غنى».

قال صلى الله عليه وآله: «الأمانة تجلب الرزق، والخيانه تجلب الفقر».

ومن ضروب الأمانة الاستشارة، فالمستشير في استشارته قد استأمن المشير في أن ينصحه، ولا يغشه. وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «المستشار مؤتمن فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه»، وفي حديث آخر: «من أشار إلى أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه».

ومن أنواع الأمانة عدم إفشاء أحاديث الناس في مجالسهم فهم في اجتماعهم كأنهم تعاهدوا على أن يؤمن بعضهم بعضاً دون خوف، ولا حذر،

---

(١) سورة النساء: آية ٥٨.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٨.

ووجب على كل منهم أن لا يخون صاحبه في نقل حديثه، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله، فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يخاف».

وقد أكد النبي ﷺ في غير موقف أن سلامة أمته، وبقاء أصالتها وصلاحها، فيما إذا رعت الأمانة، وطبقتها على واقع حياتها ولم ترها مغنماً فقال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً»[1].

٢ ـ الوفاء بالعهد:

ومن أبرز معالم التربية الإسلامية الوفاء بالعهد، وقد دعا الإسلام إلى هذه الصفة، فقال تعالى يمدح نبيه اسماعيل: **﴿واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾**[2].

ان من يقطع على نفسه وعداً أو عهداً، فقد سجل عليه وثيقة بذلك ووجب عليه تنفيذها، وليس له أن يخيس بها، قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[3].

قال تعالى: **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾**[4].

---

(١) الخلق الكامل: ٤ / ١٥٨.

(٢) سورة مريم: آية ٥٤.

(٣) سورة الصف: آية ٢ و ٣.

(٤) سورة النحل: آية ٩١.

وقال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولاً﴾[1].

وأثر عن النبي ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث وان صام وصلى وزعم أنه مسلم، إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» وسأله بعض أصحابه عن صفات المنافق؟ فقال ﷺ: «إذا عاهد غدر».

إن الوفاء بالعهد والوعد ضرورة اجتماعية يتوقف عليها سير الحياة، ونظامها، وقد أكد الإسلام على ضرورته، وألزم المسلمين بالوفاء به حتى لو قطعوه مع أعدائهم، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

«وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذلتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره» هو هذا موقف الإسلام تجاه العهد والوعد، فقد ألزم بالوفاء بهما حتى مع أعداء الإسلام وخصومه.

---

(١) سورة الأسراء: آية ٣٤.

الكلم الطيّب

وتجهد التربية الإسلامية على تعويد الناس على الكلام الطيب والقول الحسن، واجتناب هجر الكلام ومرّه، قال تعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾**[1].

إن الكلام الطيب يصعد إلى الله، ويجازي عليه، ويبارك لصاحبه فيه، وقد أكد الإسلام على ذلك كثيراً، وقد أمر الله عباده أن يقولوا أحسن القول، قال تعالى:

﴿قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم﴾[2].

وقال تعالى: **﴿وقولوا للناس حسناً﴾**[3].

إن الكلام الطيب يجعل الإنسان محموداً في سيرته، ومرضياً في سلوكه كما يجنبه الكثير من المشاكل والمصاعب التي تترتب على الكلام السيء، فإنه في كثير من الأحيان يثير الاحقاد، ويلقي الناس في شر عظيم.

كما أن من آداب الكلام ـ في الإسلام ـ أن يغض الرجل صوته، ولا يجهر به، قال تعالى: **﴿واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**[4].

وقد روى الإمام موسى عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعجبه أن يكون الرجل خفيف الصوت، ويكره أن يكون جهير الصوت[5].

---

(١) سورة فاطر: آية ١٠.

(٢) سورة الأسراء: آية ٥٣.

(٣) سورة البقرة: آية ٨٣.

(٤) سورة لقمان: آية ١٩.

(٥) حياة الإمام موسى بن جعفر: ٢ / ٣٣١.

ان لهجة الخطاب إذا كانت بصوت عال فانها تنم عن سوء الأخلاق وانحطاط السلوك والآداب.

هذه بعض النزعات الكريمة التي تنهج التربية الإسلامية إلى غرسها في أعماق النفوس ودخائلها، وهي قبس من نور الله، ونفحة من نفحات رحمته، تدفع الإنسان إلى السلوك الطيب، وتوحي له فعل الخير، وتصده عن الشذوذ والانحراف.

النزعات الشريرة

ان النزعات الشريرة الكامنة في آفاق النفس تدفع إلى المنكر، والاثم وتصد عن الطريق القويم، فإذا تركت وشأنها طغت على الإنسان، وسلبت منه المثل الكريمة، وجردته من الصفات الرفيعة التي يمتاز بها عن الحيوان السائم، وقد وضع الإسلام الأسس السليمة لقلع جذورها، وإخماد نارها، وتجميد فعالياتها ليكون الإنسان بمأمن من شرورها وآثامها، وقد تصدى علماء الأخلاق من المسلمين إلى البحث عنها على ضوء ما أثر عن الإسلام فيها كتاباً وسنة، ونعرض - بايجاز - إلى بعضها.

الغضب

الغضب: من أخبث الأمراض النفسية التي تؤدي إلى انحراف الإنسان وشذوذه في سلوكه، ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عنه.

أ - تعريفه:

وعرفه الأخلاقيون فقالوا: «الغضب حركة نفسية يهتاج لها الدم في القلب، فيثور وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما ترتفع النار إذا شبت، والماء في القدر إذا غلى، ويحكي الدماغ إذ ذاك كهفاً اضطرمت فيه النار، فاظلمت نواحيه، وتكاثف دخانه، وفيه مصباح ضئيل يضيئه فانطفأ فيحمر الوجه

والعينان...»[1].

وقالوا: انه إذا اشتد يوجب حركة عنيفة، ويمتلئ الدماغ وسائر الأعصاب بالدخان المظلم فيستتر نور العقل، ويضعف فعله، ولا يؤثر في صاحبه الوعظ، والنصيحة، وإنما تزيده ـ في بعض الأحيان ـ غلظة وشدة. وقال فيه بعض علماء الأخلاق: «الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطّلع إلا على الأفئدة، وأنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد، وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين، أو حمية جاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق إلى الشيطان حيث قال: خلقتني من نار وخلقته من طين».

ان التحديد الذي ذكر لهذه النزعة الكريهة يكشف عن واقعه السيء الذي يسلب الإنسان اتزانه ومقوماته الفكرية.

ب ـ أسبابه:

أما الأسباب التي ينجم عنها الغضب فهي كما يلي:

١ ـ ضعف النفس، وارتخاؤها بسبب اغراقها بالنعم والترف حتى صارت تتأثر من أقل مؤثر.

٢ ـ تأثر النفس من شعورها بالإهانة، والأخذ بظواهر الأمور من دون تفكير أو تروٍ.

٣ ـ المرض، وإنهاك الجسم الذي يضعف قواه العقلية.

٤ ـ الانهماك في العمل، ومدوامة السهر، واشتغال الذهن بالمطامع التي تهيء في الجسم بذور هذا الداء الخبيث.

---

(١) الخلق الكامل: ٤ / ٣٨٦.

ج ـ آثاره السيئة:

وللغضب كثير من المضاعفات السيئة التي تلقي الناس في شر عظيم، فهو من أقوى عوامل الإجرام والانتقام، فكم من مصيبه حلت بالإنسان كانت ناجمة منه؟ وكم فتح أبواباً للسجون، ونصب أعواداً للمشانق وأضرم ناراً للحرب، وكم قطع أواصر القربى، وفصم عرى الأبوة والبنوة، ومن آثاره السيئة انطلاق اللسان بالشتم والسباب، وإظهار السوء والشماتة، وتوثب الأعضاء بالضرب، والجرح، وتألم النفس بالحقد والعداوة يقول بعض الأخلاقيين:

«لو نظرت إلى الغضبان، وهو في اختلاط عقله، واختباط جسمه وتقلص شفتيه، وبحة صوته، وازدحام أنفاسه، واحتدام وجهه، وانتفاخ أوداجه، وارتعاش يده، واضطراب أعصابه، وخفقان قلبه، وغليان دمه، وقذف فمه بالزبد، وعينه بالشر، لحكمت قطعاً بأن المجنون أسلم عقبى، وأقرب منه إلى الحسنى، ولو أبصر الغضبان وجهه في المرآة وهو على هذه الصورة المنكرة التي تقذى العيون بالنظر إليها لاستحيا من نفسه ولخجل ممن يراه».

وعلى أي حال فان الغضب من أسوء الرذائل، وأكثرها ضررا على الإنسان فانه يجلب له كثيراً من الرزايا والخطوب، ويوقعه بأعظم المحن والمشاكل.

د ـ التحذير منه:

وحذر الإسلام من هذه النزعة السيئة، وجعلها من المرديات والموبقات وقد تظافرت الأخبار في ذلك، فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»، وعد النبي صلى الله عليه وآله مجاهدة النفس، وامتلاكها عند الغضب من أمارات البطولات فقال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الحدة ضرب من الجنون»، وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول: أي شيء أشد من

الغضب؟ إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله، ويقذف المحصنة»، ومن كلماته القصار في ذلك:

«من لم يملك غضبه لم يملك عقله».

«الغضب ممحقة لقلب الحكيم»[1].

وجعل الإسلام من صفات المؤمنين العفو عند الغضب قال تعالى: **﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾**[2]...

إن الإسلام أهاب بالمسلمين أن لا ينقادوا لهذه الصفة التي توجب انحطاطهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة.

هـ ـ *الطرق الوقائية:*

وأدلى علماء الأخلاق بعدة وسائل تقي الإنسان من الاتصاف بهذه النزعة الشريرة وأهمها:

١ ـ ان يتذكر قبحه، وسوء عاقبته، وما يجر له من الويلات والخطوب.

٢ ـ أن يضع أمامه فوائد الحلم، وآثاره الجميلة من حسن السمعة وجميل الذكر، وان ألد أعدائه يجلب وده وصداقته بالحلم والعفو، قال تعالى:

﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

٣ ـ أن يضع نصب عينيه قدرة الله، وأنها أشد من قدرته على من يغضب عليه خصوصاً إذا كان المغضوب عليه ضعيفاً فان الانتقام منه من موجبات الهلكة والابتعاد عن رحمة الله.

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٥.

(٢) سورة فصلت: آية ٣٤.

٤ ـ أن يتصور أن الغضب دليل على نقصان العقل، ومرض النفس وانه يشابه المعتوهين والساقطين عن أعين الناس، فإن ذلك يدفعه من الاتصاف بهذا النقص، لأن حب الإنسان لنفسه، ومحافظته على كيانه وسمعته من الأمور الذاتية له.

٥ ـ أن يضع أمامه الأمراض التي تترتب على حدته وغضبه من انهيار أعصابه، واضطراب نفسه، وغير ذلك من الأمور التي توجب انحطاط قواه، وتعريضه للإصابة بالأمراض.

٦ ـ أن يتصور نفسه عند غضبه كيف يبدو بشكل قبيح، وما يخرج منه من الألفاظ البذيئة التي يمجها كل إنسان شريف.

٧ ـ أن لا يكون شديد التطلع، كثير السؤال، واذناً لكل ناقل وقائل.

٨ ـ أن يغضي عما يسمعه من قول السوء ولا يرتب عليه أي أثر قال تعالى: **﴿وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾**.

٩ ـ أن يحافظ على صحة جسمه، وان يدمن على النظافة، ورياضة الأعضاء، فان الغضب أكثر ما يصدر من المصابين بالأمراض.

هذه بعض الطرق الوقائية التي ذكرها علماء الأخلاق من المسلمين[1].

---

(١) الخلق الكامل: ٤ / ٣٩٧ ـ ٤٠١. جامع السعادات: ١ / ٢٩١ ـ ٢٩٦.

الخوف

وتسعى التربية الإسلامية بجميع أجهزتها إلى إزالة شبح الخوف عن دخائل النفس ليكون الإنسان بمنجاة منه حتى تطمئن بذلك حياته، ويعيش في دعة واستقرار، ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى البحث عنه.

أسبابه:

وللخوف أسبابه، وعوامله الطبيعية التي ينشأ منها، وقد ناهضها الإسلام ودعا إلى التحرر من ربقتها وهي:

١ ـ *الخوف من الموت*:

إن الخوف من الموت ظاهرة طبيعية في الإنسان، وهو في جميع مراحل حياته يتحاشى كل عمل يعرضه للخطر، ويسعى جاهداً إلى اتخاذ جميع الوسائل التي تضمن له حياته، وتبعده عن الفناء ... ان حب الحياة قد يؤدي بالإنسان إلى أن يعيش ذليلاً مهان الجانب، قانعاً بالضعة والهوان، وقد ناهض الإسلام ذلك، واعتبره ناشئاً من ضعف النفس وخورها فإن الخوف من الموت لا يؤخر أجلاً ولا يغيّر ما كتبه الله على الإنسان، فإنه يساق حتماً إلى حتفه في الوقت المقرر له قال تعالى: ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾[1].

إن الإنسان مهما حاول وسعى جاهداً أن يدفع عنه الحتف فإنه لن يجد إلى ذلك سبيلاً قال تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾[2].

---

(١) سورة المنافقون: آية ١١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٥.

وقال تعالى: **﴿أينما كنتم يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾**[1].

إن ما يرهق الإنسان من المخاوف في سبيل الحفاظ على حياته وعدم قيامه بما هو واجب عليه تجاه أمته ووطنه حذراً من بطش الحكام ونقمتهم كل ذلك لا يغير شيئاً من واقع الموت الذي فرض عليه.

ب ـ *الخوف على الرزق:*

وأناط تعالى رزق الإنسان بمشيئته وإرادته تعالى فهو الذي يهب الرزق لمن يشاء من عباده قال تعالى: **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له﴾**[4].

لقد أكد القرآن الحكيم هذه الحقيقة في كثير من الآيات حتى يتحرر الإنسان من الأوهام السقيمة التي تربط رزقه ومعاشه بغير الله من المخلوقين فيتخذهم أرباباً له يعبدهم من دون الله قال تعالى: **﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً﴾**[5].

وقد نفى الإسلام بهذه التربية الخلاقة جميع المخاوف التي تعترض الإنسان في حياته من ناحية رزقه التي هي أشكل ما يواجهه في هذه الحياة، فأناط

---

(١) سورة النساء: آية ٧٨.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٦٢.

(٣) سورة الذاريات: آية ٥٨.

(٤) سورة العنكبوت: آية ١٧.

(٥) سورة العنكبوت: آية ١٧.

الأرزاق بقدرته تعالى، ولا دخل لأي مخلوق فيها وبذلك فقد شق للناس طريق الكرامة والحرية والشرف، وأهاب بهم أن يسلكوا أي مسلك فيه العبودية والذل لهم.

ج ـ الخوف من الأحداث:

والخوف من الأحداث ظاهرة طبيعية للإنسان، وقد دعا الإسلام إلى التحرر من غائلتها، وربط ما يصيب الإنسان بالله قال تعالى: **﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ۚ هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾**(١).

وقال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾**(٢).

وإذا أمعن الإنسان بأن ما يصيبه، وما يجري عليه قد كتب عليه بطبيعة الحال يعيش عيشة هانئة مطمئنة بعيدة عن الهم والقلق والاضطراب وبعيدة عن الخنوع والذل.

إن الإسلام يحارب جميع عوامل الخوف، ويناهض جميع بواعثه لينطلق الإنسان في آفاق هذه الحياة بقوى متماسكة عزيزاً لا عهد له بالوجل والذعر.

بواعثه الحقيقية:

أما البواعث الحقيقية للخوف في الإسلام فهي كما يلي:

---

(١) سورة التوبة: آية ٥١.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٨٨.

١ ـ *الخوف من الله:*

وأكد الإسلام على أن الخوف إنما ينبغي أن يكون من الله قال تعالى: **﴿فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين﴾**[١].

وقال تعالى: **﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾**[٢].

إن الخوف من الله إذا استقر في أعماق النفس فإنه يصد الإنسان عن ارتكاب الموبقات والآثام، ويدفعه إلى عمل الخير والتسابق في ميادين الفضيلة.

٢ ـ *الخوف من المعصية:*

ان الخوف من ارتكاب المعصية واقتراف الإثم هو الخوف الواقعي لأنه يوجب البعد عن الوقوع في ارتكاب الحرام، والحذر من العقاب عليه في دار الآخرة، وقد حكى تعالى عن أوليائه المؤمنين الذين يخافونه، ويحذرون من معصيته قال تعالى: **﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾**[٣].

وورد في الحديث: «لا يخافن أحد إلا ذنبه».

ان اقتراف الذنوب هي التي توجب الحذر والخوف من عذاب الله وبطشه في دار الدنيا والآخرة.

٣ ـ *الخوف من يوم الآخرة:*

إن أهوال يوم القيامة، وشدة ما فيها من الخطوب هي التي يجب أن يخاف الإنسان منها فيبتعد في سلوكه عن جميع ما حرّمه الله، ويأتي بجميع ما فرضه

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٧٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٩٤.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٥.

عليه، وقد تحدث القرآن عن الأهوال المفزعة التي يشاهدها الإنسان في دار الحق قال تعالى: **﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**(1).

قال تعالى: **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾**(2).

وتحدث القرآن الكريم عما يلاقيه الطغاة والمجرمون من أليم العذاب في يوم حشر الناس، ونشرهم قال تعالى: **﴿خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون﴾**(3).

فيجب على من يملك فكره واختياره أن يبتعد عن جميع ألوان المآثم والمحرمات، وان يتقي الله ويحذر منه ... ومن الطبيعي أن الإنسان إذا تربى بهذه التربية الرفيعة أشرقت نفسه، وصفت ذاته، وصار قدوة في سيرته وسلوكه.

---

(1) سورة عبس: آية ٣٤ ـ ٣٧.

(2) سورة الحج: آية ١ ـ ٢.

(3) سورة الحاقة: آية ٣٠ ـ ٣٧.

الحسـد

الحسد داء خبيث مني به الناس في جميع مراحل تأريخهم، وقد أعقب لهم كثيراً من المحن والمشاق، وقد حذر منه الإسلام، ومقت صاحبه، ودعا إلى تنزيه النفوس منه، ونعرض فيما يلي ـ بإيجاز ـ للبحث عنه.

أ ـ *حقيقته:*

إن حقيقة الحسد المذموم أن يتمنى الحاسد زوال نعمة المحسود، وذهابها عنه، فهو في الحقيقة يتمنى تدميره، وهلاكه، وأما التمني والرغبة في أن يكون له من النعمة مثل ما للمغبوط فانه ليس من الحسد في شيء، بل هو من الغبطة التي لا دليل على ذمها بل ربما تكون ـ في كثير من الأحيان ـ من الأمور الحسنة الباعثة لفعل الخير، وفي الحديث «المؤمن يغبط والمنافق يحسد»، كما انه غير (المنافسة) لأنها محاكاة الغير في أعماله وطلب التشبه به، وهي من أقوى الأسباب في تقدم الصناعة والتجارة، وقد حث الإسلام على التنافس في طلب الخير وفعل البر، قال تعالى: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**.

ب ـ *التحذير منه:*

واهتم الإسلام اهتماماً بالغاً في حماية المسلمين من هذا الداء الوبيل المؤدي إلى تفكك المجتمع، ونشر العداء والأحقاد بين الناس، وقد عرض بالذم والتحقير والاستهانة للمبتلين به، ونشير إلى بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة في ذلك.

أما ما ورد في القرآن الكريم فعدة آيات، وهي في معرض الانكار والتشهير بالحاسدين، قال تعالى: **﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم**

كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾[1].

وقال تعالى: **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾**[2].

وتحدث القرآن عن طبيعة الحاسدين قال تعالى: **﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾**[3].

وهناك كوكبة أخرى من الآيات، وهي تنهى عن الحسد وتحذر منه.

وأما ما ورد في السنة من الأخبار فطائفة كبيرة نعرض لبعضها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[4]، قال صلى الله عليه وآله: «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر»[5]، قال صلى الله عليه وآله: «دبُّ إليكم داء الأُمم من قبلكم البغضاء والحسد هي الحالقة، حالقة الدين ولا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، الا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم» قال الإمام أبو جعفر الباقر: «ان الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر[6] وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب»[7].

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «آفة الدين الحسد والعجب والفخر»[8].

إلى غير ذلك من الأخبار وهي تحذر من هذا الداء الوبيل الذي ينخر في كيان الحاسد فيرديه صريع آلامه وهمومه.

---

(١) سورة البقرة: آية ١٠٩.

(٢) سورة النساء: آية ٥٤.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٢٠.

(٤) إحياء العلوم للغزالي: ٣ / ١٨٦.

(٥) أصول الكافي: ٢ / ٣٠٧.

(٦) البادرة: ما يبدو في حال الحدة والغضب من الأقوال السيئة والأفعال المنكرة.

(٧) أصول الكافي: ٢ / ٣٠٦.

(٨) أصول الكافي: ٢ / ٣٠٧.

ج ـ بواعثه:

ونص علماء الأخلاق على الأسباب التي يتولد منها الحسد، وأهمها ما يلي:

١ ـ انه ينشأ من خبث النفس، وابتلائها بالشح حتى تصل إلى قرار سحيق فيزعجها ان تشاهد نعم الله والطافه مبسوطة على عباده، كما انها تطير فرحاً وسروراً حينما تشاهد منكوباً أو مبتلى، وهذا من أقبح أنواع الحسد وأفحشها، قال ﷺ: «ان لنعم الله أعداءاً، فقيل: ومن هم؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله».

٢ ـ انه ينشأ من العداوة والبغضاء فيسره أن يرى عدوه مبتلى كما يشقيه أن تتوفر عليه النعم.

٣ ـ انه يتولد من حبه للتفوق على الغير فيسؤه أن يتفوق غيره عليه ويحسب أنه ينعم إذا تفوق على غيره.

٤ ـ انه ينبعث من الخوف على فوات مقاصده ومكاسبه، وهو كثيراً ما يكون بين أرباب المهنة الواحدة، ويشتد هذا الحسد كلما ضاقت البلد كما في القرى، وبعض المدن الصغيرة، ويضعف أثره في المدن الكبيرة، وذلك لقلة التعارف فيها وكثرة الأعمال الموجبة لانصراف كل واحد إلى عمله، وعدم التفكير في غيره.

٥ ـ انه ينبعث من الكبرياء فإذا نال غيره بعض النعم فإنه يخشى أن يتفوق عليه، ولا يحتمل كبرياءه.

٦ ـ انه ينشأ من احتقار الحاسد للمحسود، فإذا ظفر المحسود بنعمة وافرة يتمنى زوالها، ومن هذا القبيل حسد الكفار للأنبياء على ما وهبهم الله من النبوة والكرامة فقد قالوا لهم على ما حكاه القرآن الكريم: **﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾**[1].

---

(١) سورة يس: آية ١٥.

ويدفعهم الحسد إلى إلصاق الطعون والتهم الكاذبة بهم، ويكون ذلك سبباً لإذاعة فضلهم، وعلو مكانتهم وفي ذلك يقول أبو تمام:

وإذا أراد الله نشـــر فـــضيلة طويت أتـاح لهـا لسـان حسـود
لولا اشتعال النار فـيما جـاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للـعواقب لم يـزل للحاسد النعمى على المـحسود

هذه بعض الأسباب التي ينشأ منها الحسد، وقد تجتمع أكثرها في شخص واحد فيعظم بلاؤه.

د ـ بوائقه:

للحسد بوائق وآهات، ولعل من أهمها أن الحاسد لا يخلو لحظة من الحزن والأسى فهو يتألم من كل نعمة يفيضها الله على عباده، ونعم الله لا تـنقطع عـن خلقه، فهو دوماً في حسرة وألم، ومن الطـبيعي أن فـي ذلك أثـراً عـلى صـحته وجسمه، قال ابن المعتز: «الحسد داء الجسد» وقال بعض العـارفين: «مـا رأيـت ظالماً أشبه بمظلوم أنه يرى النعمة عليك نقمة عليه» ومضافاً لذلك أنـه يكـون ساخطاً على قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وقد يؤدي ذلك ـ في كثير من الأحيان ـ إلى الكفر والخروج عن حظيرة الإيمان، ولهذا قال النبي: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومن بوائقه انحطاط درجة الحاسد، وانصراف الناس عنه لإصابته بهذا الداء الوبيل، ومن آهاته أنه سبب لكل قطيعة وسبب لكثير مـن المـوبقات كـالكذب والغيبة والنميمة، والغدر والخيانة والسعاية والقتل والسـرقة إلى غـير ذلك مـن الشرور والآثام.

هـ ـ علاجه:

وذكر المعنيون بهذه البحوث بعض العلاجات الحاسمة لهذا الداء وأهمها هي:

١ ـ أن يأخذ بآداب الإسلام، ويراقب الله في كل ما يفعله فإن في ذلك زجراً للنفس وتمريناً لها على ترك هذه النزعة الشريرة.

٢ ـ أن يعلم الحاسد أن هذه الصفة الخبيثة من الأمراض المهلكة التي توجب سقوطه في الدنيا، وهلاكه في الآخرة، فإنه إذا أمعن في ذلك فإنه حتماً ينصرف عنه لأن حب الإنسان لذاته من الأمور الذاتية التي لا يمكن أن تنفك عنه، فلا يقدم على هلاك نفسه واتلاف ذاته لا سيما إذا فكر الحاسد أن المحسود لا يضره حسده، ولا يسلبه من نعمته، وإذا أطال التفكير في ذلك فإنه حتماً سيزول عنه هذا الداء.

٣ ـ ومما يقلع هذه النزعة السيئة من النفس النظر إلى من هو دونه شأناً ليدرك لطف الله وفضله عليه، وفي الحديث «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»[1].

٤ ـ أن يفكر في نتائج الحسد وما يجلبه له من الاتصاف بالأخلاق السيئة وما يجلبه لنفسه وأهله من الآفات والشرور، فإنه إذا أمعن في ذلك فإنه سوف ينجو من هذا الداء الخبيث.

---

(١) البخاري.

الحــرص

الحرص من الرذائل النفسية، وقد تصدت التربية الإسلامية إلى قلع جذوره، ومحو آثاره من أفق النفس، وهو ينشأ من الإفراط في حب الدنيا، والتهالك على اقتناء المال، حتى ينسى واقعه، ويغفل عن الموت الذي لا يبقي أحداً، وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله إلى ظاهرة الحرص بقوله: «لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب ...»[1] وقال صلى الله عليه وآله: «ليس الغنى من كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»[2] ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب، فقال صلى الله عليه وآله: «ألا أيها الناس اجملوا في الطلب فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له، ولن يذهب حبك من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له»[3] وقال الإمام الحسن عليه السلام: «الحرص عدو النفس وبه أُخرج آدم من الجنة»[4].

إن الحرص يدفع الإنسان بغير وعي إلى السعي المتواصل نحو تحصيل المادة، وهو غافل عن أن الأرزاق بيد الله يهبها لمن يشأ، ويمنعها عمن يشاء، وما مجاهدة الإنسان توصله إلى ذلك يقول ابن زريق في رائعته:

وما مجاهدة الإنسان توصله
رزقاً ولا دعة الإنسان تقطعه

والله قسم بين الخلق رزقهم
لم يخلق الله مخلوقاً يضيّعه

لكنهم ملئوا حرصاً فلست ترى
مسترزقاً وسوى الغايات يقنعه

---

(١) البخاري.

(٢) و(٣) إحياء العلوم: ٣ / ٢٣٨.

(٤) حياة الإمام الحسن: ١ / ٣١٥.

والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت

بـــغي ألا ان بـــغي المـــرء يـــصرعه

إن الحرص يجر للإنسان العناء والمتاعب، ويحمله على الجهد والكد ويحرمه الراحة، والاستقرار، ويبعث له الهم والآلام، واحسن طريق لاستئصال جذوره من النفس القناعة بما كتب الله له، وادامة التفكير في أن الأموال التي يحرص على جمعها لابد أن تنتقل إلى غيره فإذا كان اقتناؤه لها بغير وجه مشروع فيكون الوزر عليه، والهناء لغيره.

البخل

البخل من رذائل الصفات، ومساوئ الأخلاق، وهو من ثمرات حب الدنيا ـ كما يقول علماء الأخلاق ـ ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عنه.

أ ـ حقيقته:

إن حقيقة البخل ـ عند الأخلاقيين ـ هي الإمساك حيث ينبغي البذل وايثار الشح في كل الوجوه، وسئل الإمام الحسن عليه السلام عن معناه فقال عليه السلام: «هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً»[1]، وهذا أدق تحديد ذكر له.

ب ـ التحذير منه:

وعني الإسلام في مكافحة هذه الظاهرة والتحذير منها، وقد ورد ذلك في الكتاب والسنة، أما ما ورد في الكتاب فعدة آيات منها:

قال تعالى: **﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم**

---

(١) حياة الإمام الحسن: ١ / ٣١٩.

الله من فضله﴾[1].

وقال تعالى: **﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾**[2].

وأما ما ورد في السنة فطائفة كبيرة من الأخبار منها:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «البخيل بعيد عن الله، بعيد من الجنة»[3].

٢ ـ قال ﷺ: «البخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلا بخيل»[4].

٣ ـ قال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم»[5].

٤ ـ قال ﷺ: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم»[6].

٥ ـ قال الإمام الحسن عليه السلام: «البخل جامع للمساوئ والعيوب وقاطع للمودات من القلوب»[7].

وهناك كوكبة من الأخبار وهي تحذر المسلمين من الاتصاف بهذه النزعة الشريرة التي هي عنوان لكل رذيلة ومنقصة.

---

(١) سورة النساء: آية ٣٧.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٠.

(٣) جامع السعادات: ٢ / ١٠٩.

(٤) جامع السعادات: ٢ / ١٠٩.

(٥) الخلق الكامل: ٤ / ٤٧٠.

(٦) جامع السعادات: ٢ / ١٠٩.

(٧) حياة الإمام الحسن: ١ / ٣١٩.

ج ـ الوقاية منه:

وأحسن طريق للوقاية من هذا الداء ادامة النظر والتفكير فيما يصير اليه أمره من الرحيل عن هذه الدنيا، وان ما يتركه من الأموال، سوف يحاسب عليها، فإن كان قد ظفر بها بغير وجه مشروع فإنه سيعاقب عليها وان كان قد حصل عليها بوجه مشروع فإنه يعاقب على جمعها ويلام على حرصه عليها، ويضاف إلى ذلك التفكير في أن هذه الصفة موجبة لسقوطه اجتماعياً، وكراهة الناس له، قال الشيخ النراقي:

«ثم العمدة في علاجه ـ أي علاج البخل ـ أن يقطع سببه، وسببه حب المال، وسبب حب المال إما حب الشهوات التي يتوقف الوصول اليها على المال مع طول الأمل إذ لو لم يكن له طول الأمل، وعلم أنه يموت بعد أيام قلائل ربما لم يبخل بماله، أو ادخاره وابقاؤه لأولاده»[1].

الحقد

الحقد من النزعات الخبيثة فهو غضب مخبوء في أعماق النفس إذا انفجر خرب ودمر، ويعنى الإسلام بتطهير النفس من آثامه وشروره، فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «المؤمن ليس بحقود».

إن الحقد ينشأ من الحسد، ويؤدي إلى التقاطع والتنافر، ويلقي الناس في شر عظيم فمن آفاته هتك ستر الغير، واظهار عيوبه، والشماتة بما يصيبه، والاستهزاء والسخرية إلى غير من ذلك المحرمات التي تؤدي إلى هتك الحرمات، وفساد الدين، وهو يجلب إلى نفس الحاقد الاضطراب والقلق، فالحقود دائماً في حزن وألم وخصام مع الغير لا يهدأ ولا يستقر.

---

(١) جامع السعادات.

الوقاية منه:

أما الوقاية من هذا الداء الوبيل فهي:

١ ـ أن يتصور الحاقد أن عداءه الباطني لأخيه المسلم يبعده عن حظيرة الإيمان ويدرجه بزمرة المنحرفين عن الدين.

٢ ـ أن يمعن في أن الحقد يجلب له الألم والشقاء من غير فائدة يجنيها من ذلك.

٣ ـ أن ينظر في سيرة العظماء من المسلمين، وما أثر عنهم من حسن السلوك وكريم الأخلاق، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»، وسرقت دراهم الصحابي الكبير عبدالله بن مسعود فجعل الناس يدعون على من أخذها فقال لهم عبدالله: «اللهم إن كانت حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان قد حملته على سرقتها جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه»، وقال بعض الحكماء: إذا قالوا لك: إن فلاناً ثلبك وانتقصك، فقل لهم: انه لا يعرف جميع نقائصي وإلا ما اقتصر على ما قال.

العُجْب

العجب بالنفس واستعظامها يورث التكبر، وينشر الطغيان، وهو دليل على الجهل والغرور، وقد نهى الإسلام عنه، وحذر منه قال تعالى: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين**﴾[2].

---

(١) سورة النجم: آية ٣٢.

(٢) سورة النحل: آية ٢٩.

وأثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، واعجاب المرء بنفسه»[1]، وقال صلى الله عليه وآله: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[2]، وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»[3]. لقد حارب الإسلام هذه النزعة الشريرة التي تنشأ عن الجهل والغرور والطيش.

آفاته:

وللعجب آفات نفسية خطيرة، وأهمها ما يلي:

١ ـ إنه يدعو للكبرياء والعظمة والتفوق على الغير.

٢ ـ إنه موجب لنسيان الذنوب، والإعراض عن الله واليوم الآخر.

٣ ـ إنه مفسد للأعمال القربية، وقد سأل علي بن سويد أبا الحسن موسى عليه السلام عن العجب الذي يفسد العمل فقال عليه السلام: «العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه، ويحسب أنه يحسن صنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمَن على الله عزّوجلّ ولله عليه فيه المن»[4].

٤ ـ انه موجب للاغترار بالنفس فيظن المعجب بنفسه أنه بمأمن من مكر الله وعذابه، وأن له عليه حقاً بما يعمله من بعض العبادات.

٥ ـ التفاخر على الغير، والتطاول على الناس.

٦ ـ الاستبداد بالرأي، وعدم الخضوع للحق.

هذه بعض آفات العجب وهي تزج الإنسان إلى مستوى سحيق من الجهل ما له من قرار.

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٣١٣.

(٢) الخلق الكامل: ٤ / ٤٧٥.

(٣) أصول الكافي: ٢ / ٣١٣.

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٢٨١.

أنواعه:

والعجب على أنواع وهي:

١ ـ الإعجاب بما عنده من النعم والأموال قال تعالى: في إخباره عن صاحب الجنتين: ﴿انا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾[1].

ورأى النبي ﷺ رجلاً غنياً قد جلس فقير إلى جنبه، وجمع ثيابه، فقال ﷺ له: «خشيت أن يعدو إليك فقره».

٢ ـ الإعجاب بكثرة الأموال والأسرة. وقد حكى القرآن الكريم هذه الظاهرة عن الكفار بقوله: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾[2].

٣ ـ العجب بالقوة، وقد حكى القرآن الكريم عن قوم عاد حيث قالوا: «من أشد منا قوة»، وهذا العجب هو السبب في إثارة الحروب وبطش بعض الدول ببعض، فإن سبب ذلك إعجابها بما تملك من وسائل القوة، وأدوات الحروب والتدمير.

٤ ـ العجب بالأنساب والقوميات، فيقول لغيره: من أنت؟ من أبوك؟ من عنصرك؟ وقد حارب الإسلام هذه النزعة الشريرة، وحكم بأن من يدعو لها أن يعلو وجهه بالسيوف لأنها تفرق وحدة المسلمين وتوجب شيوع النزعات المختلفة فيهم، فهم جميعاً ـ في منطق الإسلام ـ جسد واحد لا تفاضل لبعض أجزائه على بعض.

٥ ـ العجب بالرأي الفاسد، قال تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾[3].

---

(١) سورة الكهف: آية ٣٤.

(٢) سورة سبأ: آية ٣٥.

(٣) سورة فاطر: آية ٨.

وقال تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾[1].

ويعبر عن هذا العجب بالجهل المركب.

٦ ـ العجب بالعلم ولازمه أن يستعظم طالب العلم نفسه، ويستحقر الناس، وهو من أعظم الآفات المدمرة له، والموجبة لبعده عن الله، وفي الحديث «آفة العلم الخيلاء».

٧ ـ العجب بالعمل والعبادة فإن ذلك مما يفسد العبادة، وإصابته بداء التكبر على الناس.

هذه بعض أنواع العجب التي تدفع الإنسان إلى مستوى سحيق من الجهل والانحطاط.

الوقاية منه:

وأحسن طريق للوقاية من هذا الداء أن يمعن الإنسان في نفسه فهو في حياته عرضة للإصابة بمختلف الكوارث والويلات لا يعلم ماذا سيجري عليه في غده المجهول من خطوب وآفات، وبعد وفاته سيكون شبحاً مبهماً، وكتلة من التراب المهين ... فبأي شيء يعجب من نفسه؟ انه إذا حاسب نفسه، وعرض واقع أمره على شاشة فكره زال عنه هذا الداء الخبيث، ورجع إلى حظيرة الحق.

الرياء

الرياء من أعظم الكبائر، وهو يدل على خبث السريرة، وأن صاحبه لا علاقة له بالله، وقد حذر الإسلام منه، وألزم المسلمين بتطهير نفوسهم من جراثيمه وقد عرض كتاب الله العظيم إلى ذمه والتحذير منه قال تعالى: ﴿يراؤن الناس ولا

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠٤.

يذكرون الله إلا قليلاً﴾[1].

وقال تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون﴾**[3].

وتواترت الأخبار في ذمه، ولزوم تهذيب النفس منه، ونعرض لبعضها:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فانبروا قائلين:

ـ ما الشرك الأصغر؟

ـ الرياء، يقول الله عزّوجلّ يوم القيامة للمرائين: «أنا أجازي العباد بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء؟»[4].

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله: «لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة من رياء»[5].

٣ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اخشوا الله خشية ليست بتعذير، واعملوا لله في غير سمعة، فإن من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله ...»[6].

٤ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق: «اجعلوا أمركم هذا لله، ولا تجعلوه

---

(١) سورة النساء: آية ١٤٢.

(٢) سورة الكهف: آية ١١٠.

(٣) سورة الماعون: آية ١ ـ ٤.

(٤) جامع السعادات: ٢ / ٣٧٠.

(٥) أصول الكافي: ٢ / ٢٨٩.

(٦) أصول الكافي: ٢ / ٢٩٠.

للناس، فإن ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله»[1].

٥ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام لمحمد بن عرفة: «ويحك يا بن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل»[2].

هذه بعض الأخبار وهي صريحة في تحريم الرياء، وأنه لون من ألوان الشرك وأن العمل المشفوع به لا يصعد إلى الله.

بواعث الرياء:

أما بواعث الرياء فأهمها ما يلي:

١ ـ أن يظهر التقوى والصلاح ليظفر بالتكريم والتبجيل من قبل الناس.

٢ ـ الحصول على بعض المناصب الدينية التي يشترط فيها توفر التقوى والحريجة في الدين كالقضاء وإمامة الجماعة وغيرهما.

٣ ـ الحصول على ثقة الناس حتى يكون مؤتمناً عندهم على أموالهم فيختلسها، ويأخذها بغير حق.

هذه بعض دوافع الرياء التي يسلكها من باع آخرته بدنياه، فيعمد إلى الإشراك بالله والتزين بلباس التقوى ليجعل ذلك وسيلة له إلى مآربه الضيقة التي يؤول أمرها إلى التراب.

إبطاله للعبادة:

وأجمع فقهاء المسلمين على أن الرياء مبطل للعبادة سواء أوقع في ابتدائها أم في أثنائها. وسواء أكان في تمام الأجزاء الواجبة أم في بعضها بل حتى لو وقع

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٢٩١.

(٢) أصول الكافي: ٢ / ٢٩٢.

في بعض القيود والحالات الخارجة عن حقيقة العبادة كما إذا رائى المصلي في صلاته جماعة أو في مسجد أو في الصف الأول، أو خلف الإمام الفلاني أو في أول الوقت، ونحو ذلك[1].

إن العبادة منوطة بالإخلاص لله، فإذا داخلها الرياء ذهب أثرها ووجب إعادتها خالصة لوجه الله.

علاجه:

وذكر علماء الأخلاق عدة أمور تقضي على هذا الداء الوبيل وهي:

١ ـ أن يزيل عن نفسه الأسباب الداعية للرياء من حب المدح، والطمع بما في أيدي الناس.

٢ ـ أن يتصور الآفات والأضرار التي تترتب على الرياء من فساد العمل ومقت الله له.

٣ ـ أن يلحظ أن مدح الناس، وثقتهم به لا يزيد في رزقه، فإنه لا رازق إلا الله، ومن طمع في غيره لم ينل منه شيئاً بل لا ينال إلا الذلة والمهانة.

٤ ـ أن يتصور ما هو فيه من الهم، وتشتت الفكر بسبب ملاحظته لعواطف الناس، وميولهم، وأن كل ما يرضي طائفة يسخط أخرى، ومن الطبيعي أن ذلك يجر له أعظم الجهد والعناء من دون أن تترتب غليه أي فائدة.

٥ ـ أن يلحظ أن الله تعالى لابد أن يفضح نواياه، ويكشف واقعه وحقيقته إلى الناس إما في الدنيا أو الآخرة، وبذلك لا تترتب الفائدة من دجله ونفاقه.

هذه بعض العلاجات التي ذكرها الأخلاقيون، ولو أمعن فيها المرائي لزالت غفلته، وذهب عنه غيّه.

---

(١) منهاج الصالحين لفقيه العصر الإمام الحكيم ١ / ١٠١.

الغرور

الغرور من الأمراض النفسية التي عني الإسلام في علاجه، وتطهير النفس من جراثيمه، ونعرض فيما يلي للبحث عنه.

أ ـ حقيقته:

وذكر علماء الأخلاق أن حقيقة الغرور هي: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة، وخدعة من الشيطان. فمن اعتقد أنه على خير إن في العاجل أو في الآجل فهو مغرور. وذكروا أن ذلك مؤلف من أمرين:

الأول: اعتقاد النفس بأن هذا خير له مع كونه خلاف الواقع.

الثاني: حب النفس لمقتضيات الشهوة أو الغضب[١].

ب ـ التحذير منه:

وحذر الإسلام من الغرور لأنه يؤدي إلى هلاك النفس، وشقائها، وارتكابها لما حرّم الله، وقد ورد النهي عنه في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿**فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾[٢].

قال تعالى: ﴿**ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور**﴾[٣].

---

(١) جامع السعادات: ٣ / ٣ ـ ٤.

(٢) سورة لقمان: آية ٣٣.

(٣) سورة الحديد: آية ١٤.

وتواترت الأخبار في التحذير منه فقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين»[1].

وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى، ولا تعجب من نفسك، فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك أن لعلك تبقى، وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بجمالك ومنيتك واصابتك مأمولك وهواك فظننت أنك صادق ومصيب، وربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك في العبادة، ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك، وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً والله يريد الإخلاص، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل من مضرات ما في غيب الله تعالى، وربما توهمت أنك تدعو الله، وأنت تدعو سواه، وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك، وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة»[2].

لقد أدلى الإمام عليه السلام بحديثه عن بواعث الغرور وأسبابه، وحذر من كل جانب منها، ودعا إلى صفاء النفس وطهارتها من زيغه وآثامه.

ج ـ الوقاية منه:

وأحسن طريق للوقاية من الغرور أن يزيل الإنسان من نفسه حب الشهوات ويبتعد عن بواعث الهوى، ويعرف أنه سوف ينتقل من هذه الدنيا إلى دار الحق، فإذا أمعن في ذلك زال عنه الطيش ورجع إلى الطريق المستقيم.

---

(١) جامع السعادات: ٣ / ٤.

(٢) جامع السعادات: ٣ / ٥.

الـــكذب

الكذب أساس كل رذيلة، ومنتهى كل نقص، وهو من أقذر الصفات وأخسها لا يتصف به إلا من فقد الشرف، وضيع المروءة ... وقد أعلن الإسلام مقاومته له، ودعا إلى الصد عنه والنفور منه، ونعرض - بإيجاز - للبحث عنه.

أ - ذمه:

وحذر الإسلام من هذه الصفة الشريرة، وورد ذمها في كتاب الله العزيز قال تعالى: **﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾**[2].

كما تواترت الأخبار في ذمه، وهذه بعضها:

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»[3].

٢ - قال صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين وقول الزور»[4].

٣ - قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يجد العبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده».

٤ - قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «اتقوا الكذب الصغير والكبير في كل

---

(١) سورة النحل: آية ١٠٥.

(٢) سورة التوبة: آية ٧.

(٣) و(٤) و(٥) جامع السعادات: ٢ / ٣١٧.

جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

٥ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إن الله عزّوجلّ جعل للشر أقفالا وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب».

٦ ـ قال الإمام العسكري: «جعلت الخبائث كلها في بيت، وجعل مفتاحها الكذب ...»[١].

وهناك طائفة أخرى من الأخبار، وهي تحرم هذه الصفة الخبيثة، وتعلن عذاب الله وعقابه لمن يقترفها.

ب ـ أسبابه:

وهناك أسباب ناشئة عن ضعف النفس، وعدم إيمانها بالله تدفع الإنسان إلى اقتراف الكذب وهي:

١ ـ الكذب لأجل نفع متوهم، أو دفع ضرر متوقع، حسب ما تمليه النفس الأمّارة بالسوء.

٢ ـ الكذب لاحتيال كسب الرزق أو التزلف لذوي الثراء ممّن يأمل منفعته، وهو ناشئ عن انحطاط النفس، ومهانتها، ومن هذا السنخ الممقوت الكذب لأجل أن يضحك أصحابه، فإنه يجر إلى نفسه الحرام من غير أن يجني بذلك أي فائدة ولو وهمية.

٣ ـ الكذب لأجل التشفي من عدوه والنكاية به فيصفه بكل قبيح، ويلصق به التهم والطعون، وهو يعلم ببراءته منها.

٤ ـ ومن أهم أسباب الكذب عدم التورع وعدم الحريجة في الدين، إذ لو كان عنده رصيد من خوف الله لما اقترف هذا الإثم.

هذه بعض الأسباب الداعية إلى الكذب، وهو إذا استحكم في النفس صار

عادة لها، ويصعب عليها مفارقتها، وقد قيل: «من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه» وإذا عرف الشخص بهذه الصفة، فإنه يسقط اجتماعياً وكل كذبة تحدث تنسب إليه، وقد قيل:

فـإذا سـمعت بكـذبة   من غيره نسـبت إليـه

ج ـ *أنواعه:*

أما أنواع الكذب فهي:

١ ـ الكذب على الله ورسوله بأن يحدّث عـن الله ورسـوله حـديثاً كـاذباً ومفتعلا، وقد تعمد ذلك بعض الصحابة من الذين تاجروا بدينهم، وباعوا آخرتهم على معاوية أمثال سمرة بن جندب، وأبي هريرة، وعمرو بن العاص فقد أغدق عليهم معاوية بذهبه، وسلطانه فزوّروا الأحاديث المنكرة في ذم العترة الطاهرة، والنيل منها، ومدح بعض الصحابة، وكان ذلك من أعظم ما مني به الإسلام مـن الكوارث والنكبات، فقد أفسدت تلك الأخبار المـفتعلة الحـياة العـقائدية عـند المـسلمين، كما شوهت معالم الدين وأحكامه.

وأثر هذا الكذب الوضعي أنه يوجب فساد الصوم في شهر رمـضان كـما أفتى بذلك فقهاء الشيعة.

٢ ـ الكذب في الشهادة، وهو المعبر عنه بقول الزور، وهو ما تعلق بضياع أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم، وهو من أفحش الجرائـم التـي تـقضي عـلى العدل والنظام، وقد قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكـبر الكـبائر الإشـراك بـالله وعـقوق الوالدين، ثم قعد ﷺ فقال: وقول الزور» ولا فرق بين أن يكون قول الزور فـي الأمور الصغيرة أو الكبيرة، وإذا تبين لقضاة العدل ذلك من الشاهد فـإنه يـجب عليهم تعزيره، وعدم قبول شهادته وسلب الثقة منه.

٣ ـ الكذب لأجل السخرية بخلق الله، وهذا من أفحش المحرمات لأن فيه

اعتداءً على الناس، وقد صان الإسلام كرامتهم، وحرّم مهانة الناس والسخرية منهم.

هذه بعض أنواع الكذب الموجبة لغضب الله ومقته، والموجبة للحكم بفسق من يقترفها، وسقوط عدالته ووثاقته.

د ـ مسوغاته:

وأباح الإسلام الكذب فيما إذا ترتبت عليه بعض المصالح الاجتماعية المهمة التي لا يمكن التوصل إليها بالصدق وهي:

١ ـ إنقاذ المسلم من الظالم الذي يريد سفك دمه أو نهب ماله، أو استباحة عرضه بغير حق، وانحصرت وسيلة إنقاذه بالكذب، فإنه ـ في هذه الصورة ـ يخرج من الإباحة ويكون واجباً، فإن مفسدته تتلاشى، وتكون مصلحة الإنقاذ بلا مزاحم فيكون واجباً ـ حسب ما يقول علماء الأصول.

٢ ـ إصلاح ذات البين فيما إذا توقف على الكذب فله أن يفتعل ما يستميل به القلوب، وينزع به روح التخاصم والعداء من النفوس، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين. فقال خيراً أو أنمى[1] خيراً»[2]، وروي عن أبي كاهل قال: وقع بين اثنين من أصحاب النبي ﷺ كلام حتى تصارما، فلقيت أحدهما فقلت: ما لك ولفلان، فقد سمعته يحسن عليك الثناء؟ ثم لقيت الآخر، فقلت له: مثل ذلك حتى اصطلحا، ثم قلت أهلكت نفسي، وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي ﷺ فقال: «يا أبا كاهل أصلح بين الناس ولو ـ أي بالكذب ـ».

إن الإسلام أهم ما يعنى به إصلاح ذات البين فإنه أفضل من عامة الصلاة

---

(١) أنمى: أذاع.

(٢) الخلق الكامل: ٤ / ٤٤٩.

والصوم ـ كما في الحديث ـ فإن بقاء التخاصم يفتح أبواب الشر، ويفرق الكلمة ويشيع روح العداء والتنافر بين المسلمين:

٣ ـ الغلبة على العدو في الحرب، فإن الحرب خديعة، فإذا توقف انتصار المسلمين وهزيمة عدوهم على الكذب فإنه يكون واجباً، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال: «كل الكذب مكتوب لا محالة، إلا أن يكذب الرجل في الحرب، فإن الحرب خدعة».

٤ ـ الإصلاح بين الضرّات من النساء فللزوج أن يظهر لكل واحدة منهن أنها أحب إليه من ضرتها ليطيب بذلك خاطرها، ويسلم من خصومتها ونزاعها.

هذه بعض مسوغات الكذب ـ حسب ما نص عليها الفقهاء ـ ولكن الناس قد فتحوا بابه على مصراعيه، ولم يتأثموا منه حتى صار عادة وخلقاً من أخلاقهم فالمصانعات التي هي لون من ألوان الكذب قد اعتادوا عليها، فترى بعض الناس إذا أراد أن يتخلص من عتاب صديق في ترك زيارته أو عدم تلبية دعوته اعتذر بداعي المرض مع أنه لم يكن مريضاً، أو قوله لولده عند زيارة أحد يكره مقابلته، قل له إنه ليس في الدار، أو يتجاهل عن أمر يعرفه، إلى غير ذلك من ضروب النفاق الاجتماعي التي سادت في هذا العصر واعتبرها بعض الشعراء ظاهرة من ظواهر التقدم فأوصى بها بعض أقاربه يقول:

يابن عمي يابن خالي كلم الناس بابن عم الكلام

إن هذه المصانعة إنما هي من الأمراض الاجتماعية الناشئة عن الجبن والاثرة وعدم التهذيب النفسي.

والشيء الغريب أن بعض المؤلفين ـ وخصوصاً المستشرقين ـ قد تعمدوا الكذب في كثير مما ألّفوه، فدائرة المعارف الإسلامية البريطانية ـ مثلا ـ إذا استعرضت بحوثها عن الإسلام وقادته تجدها مليئة بالدس والكذب والافتراء، وقد دللنا على ذلك في بعض مؤلفاتنا، وذكرنا نماذجاً من كذبهم وافترائهم الذي لم يكن القصد منه إلا الكيد للإسلام، والبغي على أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا إذا استعرضنا ماكتبه الدكتور أحمد أمين، والدكتور أحمد شبلي عن الشيعة، وتصوير بعض جوانب حياتها العقائدية فإنا نجد الكذب ماثلا في جميع ما كتبوه عنها غير متأثمين من ذلك، وعلى أي حال فقد استساغ كثير من الناس الكذب، وصار عادة لهم، ومما لا شك فيه أن هذا الداء الوبيل يهدم جميع الفضائل الخلقية، والأمة التي تعتاده مصيرها السقوط والانهيار.

هـ ـ الوقاية منه:

أما طرق الوقاية من الكذب فهي:

١ ـ أن يمعن الإنسان فيما توعده الله عليه من العذاب الدائم، والخلود في نار جهنم في حين أنه لم يجن بذلك أي فائدة له.

٢ ـ أن يفكر فيما يجر له من الويلات والمصاعب، وأهمها سقوطه من أعين الناس، وفقدان الثقة به.

٣ ـ أن يبتعد عن مجالسة الأشرار الذين لا يتأثمون من الكذب، ويجالس الأخيار والمتحرجين في دينهم فإنه يتأثر بأخلاقهم وعاداتهم، ويقلع عن نفسه هذه الصفة الشريرة.

هذه بعض الطرق الوقائية من الكذب، والواجب على رجال التربية أن يقوموا بدورهم في مكافحة هذا الداء الخبيث، وأن ينقذوا الجيل الجديد من شره، وأن يضعوا أمام الناشئة في المعاهد أضراره البالغة التي توجب انحطاط الأمة وهلاكها.

الغيبة

الغيبة من أخبث الأمراض، وأفحش السيئات، وهي تكشف عن الحسد والبغي ونقصان الإيمان، وقد مني بها أكثر الناس فصارت عادة لهم، وخلقاً من

أخلاقهم، وفاكهة يتسلون بها في أوقات فراغهم فيضع بعضهم بعضاً على طاولة التشريح فيكشف عيوب صاحبه، ونقائصه، ويهتك ستره وسريرته من دون أن يتحرج أو يتأثم في ذلك. ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعض شؤونها.

أ ـ حقيقتها:

إن حقيقة الغيبة أن يذكر الإنسان أخاه المسلم في غيبته بما يكرهه سواء أكان الذكر صراحة أم كناية، أم إشارة، أم رمزاً، أم كتابة، وسواء أكان ذلك في دينه بأن يقول: إنه سارق أو خائن أو متهاون في صلاته أو ليس باراً بوالديه، وغير ذلك، أم في دنياه بأن يقول: إنه قليل الأدب متهاون بالناس، كثير الكلام، أو أنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وغير ذلك.

ب ـ حرمتها:

وحرّم الإسلام الغيبة لأنها توجب إثارة الحقد والبغضاء بين الناس، وقد حرّمها القرآن قال تعالى: **﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾**[١].

وقد جعل تعالى المؤمن المغتاب أخاً وعرضه كلحمه، والتفكه به أكلا، وعدم شعوره بذلك بمنزلة موته[٢] وقال تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة﴾**[٣].

وقد تواترت الأخبار في تحريم هذه الصفة الخبيثة وهذه بعضها:

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٢.

(٢) مكاسب الشيخ الأنصاري.

(٣) سورة النور: آية ١٩.

١ ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن الغيبة أشد من الزنا، وان الرجل ليزني فيتوب ويتوب الله عليه، وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه».

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله: «من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كان أول خطوة خطاها وضعها في جهنم، فكشف الله عورته على رؤوس الخلائق».

٣ ـ قال صلى الله عليه وآله: «ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين فنزهوا أسماعكم من استماع الغيبة فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم».

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّوجلّ: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾**».

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى وهي تدل على أنها من كبائر الذنوب التي يعاقب عليها، ويسأل عنها الإنسان يوم حشره ونشره.

ج ـ بواعثها:

أما بواعث الغيبة حسب ما ذكرها علماء الأخلاق ـ فهي:

١ ـ السخرية والاستهزاء بالمغتاب.

٢ ـ الهزل، والعبث.

٣ ـ الافتخار والمباهاة بنقص الغير، وتزكية نفسه.

٤ ـ موافقة الأصحاب والأخلاء الذين اعتادوا على اظهار عيوب الناس، فيشترك معهم في هذه الرذيلة مجاملة منه في الصحبة لئلا ينفروا منه.

٥ ـ استشعار بأن المغتاب يريد أن يذكر مساوءه فيبادره بإظهار عيوبه.

هذه بعض بواعث الغيبة، وهي تنم عن نفس لا صلة لها بالفضيلة والأخلاق.

د ـ *كفارتها:*

وكفارة الغيبة رضاء المغتاب، وإبرائه لذمة المستغيب له، وقد دلت على ذلك الأخبار المستفيضة فقد جاء فيها: «أن الغيبة لا تغفر حتى يغفر صاحبها» وأثر عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلها من قبل أن يأتي يوم ليس هناك درهم ولا دينار، فيؤخذ من حسناته. فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه»، وقد ذهب فقهاء المسلمين إلى أن التوبة التي توجب مغفرة الله وعفوه عما ارتكبه الإنسان من المآثم لا توجب سقوط العقاب عن الغيبة لأنها من حقوق الناس، وليست من حقوق الله حتى يعفو عنها.

هـ ـ *الوقاية منها:*

أما طرق الوقاية من هذا الداء الخبيث فهي:

١ ـ أن يمعن الإنسان فيما يترتب عليها من العقاب والويلات في دار الآخرة وأنه سيحاسب أمام الله على هتكه لكرامة أخيه المؤمن، وانتهاكه لحرمته وظلمه له.

٢ ـ أن يفكر فيما تجر له من المفاسد في دار الدنيا، فإنها قد تصل إلى من اغتابه فيوجد لذلك عدواً له، أو يزيد في عداوته، ويدفعه إلى العمل على إيذائه وإهانته، أو الاعتداء عليه.

٣ ـ أن يزيل عن دخائل نفسه الأسباب التي تؤدي إلى الغيبة، ويعالجها ليحسم بذلك هذا الداء الوبيل.

هذه بعض الطرق الوقائية التي ذكرت لصيانة النفس، ومناعتها من الإصابة بهذا الداء[1].

---

(١) مصادر البحث: جامع السعادات: ٢ / ٢٨٨ ـ ٣٠٥، بحار الأنوار: ١٥ / ١٨٤، إحياء العلوم: ٣ / ١٢٢.

النميمة

النميمة إحدى عناصر الشر، وباب من أبـواب الفـتن بـين النـاس، وهـي تكشف عن خسة الطبع، ولؤم الذات ... ونتحدث ـ بإيجاز ـ عن بعض شؤونها.

أ ـ حقيقتها:

وهي أن ينم قول الغير إلى المقول فيه، كأن يقول له: فلان قال فيك كـذا وكذا، وهي نوع خاص من إفشاء السر وهتك الستر، وشاملة لما كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً على المنقول عنه أو لم يكن ... فكل ما يرى من أحوال الناس، ولم يرضوا بإفشائه فإذاعته نميمة.

ب ـ ذمها:

وأعلن القرآن الكريم الذم لهذه الصفة الخبيثة قال تعالى: ﴿**هـمّاز مشّـاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾[2].

ووردت طائفة كبيرة من الأخبار في ذمها منها:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً، الموطئون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بـين

مستدرك الوسائل: ٢ / ١٠٦، أصول الكافي باب الغيبة.

(١) سورة القلم: آية ١١ ـ ١٣.

(٢) سورة الهمزة: آية ١.

الأحبة الملتمسون للبراء العثرات»[1].

٢ ـ قال ﷺ: «من أشار على مسلم كلمة ليشنه بها في الدنيا بغير حق شأنه الله في النار يوم القيامة»[2].

٣ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الجنة محرمة على المغتابين المشائين بالنميمة»[3].

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان ولا يقبله الشيطان»[4].

وهناك كوكبة أخرى من الأخبار، وهي تحرّم هذه الصفة، وتحذر المسلمين من الاتصاف بها.

ج ـ بواعثها:

أما بواعث هذه الرذيلة فهي:

١ ـ إرادة الوقيعة والسوء بالمنقول عنه، وإثارة الحقد عليه.

٢ ـ التقرب وإظهار المودة إلى الذي قيلت فيه ليحرز بذلك عطفه وثقته.

٣ ـ فصم عرى الاتصال، وإلقاء الفتنة ما بين المنقول عنه، والذي قيلت فيه.

هذه بعض بواعث النميمة، وهي تنم عن نفس لا عهد لها بالشرف ولا صلة لها بالأخلاق.

---

(١) مستدرك الوسائل: كتاب الحج ص ١١١.

(٢) جامع السعادات: ٢ / ٢٧١.

(٣) أصول الكافي.

(٤) جامع السعادات: ٢ / ٢٧١.

د ـ *الوقاية منها*:

أما طرق الوقاية من هذا الداء الخبيث فهي:

١ ـ أن يمعن النمام بما يجلبه من الفتنة والشر بين الناس فيكون أداة تخريب وفساد، ولا يصدر ذلك ممن يملك أي رصيد من الإيمان بالله.

٢ ـ أن يفكر بأنه يستحق بعمله العقاب والعذاب في الدار الآخرة وهو لا يجني بذلك أي فائدة له.

٣ ـ إن هذه الصفة توجب سقوطه، وفقدان الثقة به، وعدم تصديق قوله.

السخرية والاستهزاء

ومما يهدف إليه الإسلام في مجالاته التربوية احترام الغير، وعدم الاستهانة بأي إنسان، فلا يجوز لأي مسلم أن يستهزأ بغيره أو يحتقره بأي لون من ألوان الاحتقار قولاً كان أو فعلاً أو إشارة فإن ذلك من أسباب الفرقة والعداوة بين الناس، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾**[1].

ان السخرية واللمز والتنابز بالألقاب مما تورث البغضاء في القلوب وتقطع روابط الالفة والمودة بين الناس، وتوجب سخط الله، والخروج عن طاعته، وان من يقترفها فقد ظلم نفسه، وعرّضها لعذاب الله وانتقامه.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١١.

الشماتة

وهي أن يظهر الإنسان الفرح والسرور بما يصيب أخاه من كوارث الدنيا وخطوبها، وهي تنم عن لؤم الطبع وخبث الذات، وقد دلت التجارب على أن كل من يشمت بمسلم نزلت به مصيبة لا يخرج من الدنيا حتى يصاب بمثلها، قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «لا تبدي الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويحلها بك»، وقال عليه السلام: «من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن»[1].

وهي مما توجب إثارة الأحقاد، وشيوع التقاطع والتنافر بين الناس.

اللغو

ودعا الإسلام إلى عدم الاتصاف والتخلق بالثرثرة والكلام الفاحش وكل ما لا يعتد به من كلام وغيره، لأن في ذلك تضييعاً للوقت وافناءً للعمر من غير أن يجني بذلك أي ثمرة أو فائدة تعود عليه، وعلى المجتمع، وقد تكرر في القرآن الكريم النهي عن اللغو، قال تعالى في وصف عباده المقربين: **﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾**[3].

ويشمل اللغو جميع صنوف الكلام الفاحش الذي يثير الشهوات ويفسد الأخلاق ... وبهذا ينتهي بنا المطاف عن بعض النزعات والصفات الشريرة التي ناهضها الإسلام، وسعى في مجالاته التربوية على تهذيب النفوس وتطهيرها من الجراثيم والبوائق، ليكون الإنسان بمنجئ من الأمراض النفسية والخلقية التي

---

(١) جامع السعادات: ٢ / ٢٨٣.

(٢) سورة القصص: آية ٥٥.

(٣) سورة الفرقان: آية ٧٢.

توجب الشذوذ والانحراف وتصده عن الطريق القويم.

إن التربية النفسية التي وضع مناهجها الإسلام تنقذ الإنسان من العوامل النفسية المتناقضة المثيرة لأخطر أنواع الصراع النفسي، كما تؤثر بشكل إيجابي على السلوك العام مما يجعل الإنسان في مستوى عال من الثقافة الإنسانية والوعي السليم الذي يدفعه بإيمان إلى كل عمل منتج تتطور به الحياة الاجتماعية، فإنه لم تكن تلك المثل الإسلامية التي عنيت بتهذيب النفس وإصلاحها مقتصرة على هذا الإطار الخاص، وإنما تستهدف الإصلاح الاجتماعي، والتوجيه الشامل لجميع مناحي الحياة، ومن الطبيعي أن هذه التربية الفذة إنما تحقق أثرها الفعال في الإصلاح والتهذيب، ونمو الأمة وتكوينها فيما إذا نفذت إلى أعماق النفس، ومارسها الإنسان ممارسة فعلية في جميع ميادين سلوكه.

التربية الصحية والرياضية في الإسلام

والشيء المحقق أن الإسلام قد تبنى ـ بصورة إيجابية ـ أُسس الصحة العامة وركزها في مجالاته التشريعية، فما من فرض أو واجب شرعه للناس إلا ويعود عليهم بثمرات طيبة تحفظ صحتهم، وتقيهم من الإصابة بكثير من الأمراض، وقد آمن بذلك بعض أطباء الغرب الذين اختصوا بالبحث عن شؤون الطب العربي والإسلامي، يقول الدكتور (جورجيو دار بلانو): «إن الفروض والواجبات وغيرها من السنن والمستحبات الإسلامية تتصل بالصحة، وهي ترمي إلى إصابة هدفين، وتحقيق غايتين في آن واحد غاية دينية، وغاية صحية»[1].

وأكد ذلك الدكتور (رونان) وقال الدكتور (روندساندج): «إن تعاليم الإسلام الدينية تتمثل بالصحة، فهي تدعو إلى القناعة وعدم الإسراف في الأكل والشرب، والنظافة، والاغتسال بالماء الطاهر خمس مرات في اليوم، قبل كل صلاة، وان الصلاة مجموعة من حركات رياضية وان الإسلام يأمر بتجريد المرضى المصابين بأمراض معدية، وان العلوم الإسلامية خصصت جزءً كبيراً من أبحاثها بحفظ الصحة»[2].

لقد بهر أطباء الغرب بالتعاليم الصحية الرائعة التي وضع برامجها الإسلام فذهبوا إلى أن الرسول الأعظم ﷺ من أعظم أطباء العالم وأنبلهم، وممن ذهب إلى ذلك الدكتور (سان جورجيو دار بلانو) والدكتور (رونان)، يقول (سان جورجيو): «إن الأمر الذي لا شك فيه، هو ان المعالجة والصحة كانا من الموضوعات الرئيسية التي عالجها الرسول، وانه هو نفسه كان واسع

---

(١) الوجيز: ١ / ٢.

(٢) الوجيز: ١ / ٣.

الاطلاع في الطب»[1].

وعلى أي حال فإن الرسول الأعظمﷺ قد اهتم بالصحة اهتماماً بالغاً إيماناً منه بأن الإنسان لا يمكن أن تتوفر فيه عناصر الحياة السليمة، والطاقات الحيوية إلا إذا سادت معالم التربية الصحية، وطبقت مناهجها على واقع الحياة. وقد بلغ من اهتمامه البالغ بالصحة، أنه كان يقول لأصحابه: «سلوا الله العافية والمعافاة، فما أوتي أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة» كما أشادﷺ بعلم الطب، ودعا إلى التخصص به، ففي الحديث المشهور: «العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان» وأمر بالتداوي، وألمع إلى أن لكل داء دواءً، قالﷺ: «تداووا فما أنزل الله داءً إلا أنزل معه الدواء إلا السام[2] فإنه لا دواء له»[3]، ووضعﷺ برنامجاً عاماً للطب عرف (بالطب النبوي) تحدث فيه عن بعض الأمراض، ووصف أدويتها، كما احتوى على بيان شامل لبعض الأغذية من الفواكه، والأطعمة واللحوم، والخضروات، وذكر خواصها وفوائدها الطبية.

وعرض الإمام أمير المؤمنينعليه السلام إلى بعض المناهج الصحية في كثير من وصاياه ونصائحه، ومن بينها هذه الوصية الرائعة التي زود بها ولده الإمام الحسنعليه السلام فقد قال له:

- يا بني ألا أعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب؟

- بلى.

- لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلا وأنت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذه استغنيت عن الطب[4].

---

(١) الوجيز: ٢ / ٢ ـ ٣.

(٢) السام: الموت.

(٣) دعائم الإسلام.

(٤) خصال الصدوق.

وحفلت هذه الوصية بأروع النصائح الصحية التي أقرها الطب الحديث فإن النهمة في الطعام، وعدم مضغه مما تسبب إصابة الجهاز الهضمي بكثير من الأمراض... وتصدى الإمام الصادق عليه السلام إلى البحث عن علم الصحة والطب، فألقى محاضراته القيمة التي تناولت الكشف عن دقائق هذا الفن كما عرض فيها إلى وظائف الأعضاء، ودوران الدورة الدموية والجراثيم المسببة للأمراض، وذكر كثيراً من خواص الأغذية كالفواكه والخضراوات واللحوم وغيرها، وقد دونت بحوثه الصحية في كتاب سمي بـ«طب الإمام الصادق» وقد ناظر كبار علماء الطب ـ في عصره ـ وخاض معهم أدق البحوث الطبية وأعمقها، وقد اعترفوا بعجزهم عن مجاراته، وعدم درايتهم بما عرضه عليهم من خفايا مسائل هذا الفن، ودونت تلك المناظرات في كثير من الكتب التي عرضت لسيرته عليه السلام... ولعل من أروع ما أثر عنه في هذا الفن وغيره كتابه المسمى بـ«أمالي الإمام الصادق» فقد عرض في بعض فصوله إلى وظائف الأعضاء، واكتشف خواصها ودقائقها بما لم يصل إلى معرفة بعضها الطب الحديث بما يملك من المختبرات، وأجهزة التحليل، ومن الطبيعي أن لهذه البحوث أثراً كبيراً في تطور علوم الصحة وازدهارها ولعل من أروع البحوث الصحية التي أثرت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ فيما نحسب ـ طب الإمام الرضا عليه السلام المسمى بالرسالة الذهبية، فقد ألفها الإمام الرضا عليه السلام بطلب من المأمون الخليفة العباسي، وقد عني بها عناية خاصة فأمر بأن تكتب بالذهب ـ فيما يقول المؤرخون ـ واتخذها منهجاً لشؤون حياته الصحية، وقرضها تقريضاً عاطراً دل على مدى إكباره لها، وقد جاء فيه:

«وسميتها (المذهبة) وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتيان الدولة، لأن بتدبير الأغذية تصلح الأبدان، وبصحة الأبدان تدفع الأمراض، وبدفع الأمراض تكون الحياة، وبالحياة تنال الحكمة، وبالحكمة تنال الجنة».

وكانت أهلا للصيانة والادخار، وموضعاً للتأهيل والاعتبار، وحكيماً يعوّل عليه، ومشيراً يرجع إليه، ومن معادن العلم آمراً وناهياً ينقاد له، ولأنها خرجت من

بيوت الذين يوردون حكم الرسول المصطفى وبلاغات الأنبياء، ودلائل الأوصياء، وآداب العلماء، وشفاء للصدور والمرضى.

وأضاف يقول: فعرضتها على خاصتي وصفوتي من أهل الحكمة والطب وأصحاب التأليف والكتب المعدودين في أهل الدراية، والمذكورين بالحكمة، وكل مدحها وأعلاها، ورفع قدرها، وأطراها، إنصافاً لمصنفها، وإذعاناً لمؤلفها، وتصديقاً له فيما حكاه فيها [1].

وناظرﷺ جماعة من كبار أطباء عصره من الذين جلبهم المأمون لمناظرته ريثما يعجز الإمام ـ فيما يحسب ـ فيتخذ من ذلك وسيلة للتشهير به والحط من شأنه، إلا أنهم عجزوا عن مجاراته، فاعترفوا له بالفضل، والتضلع في هذا العلم.

وعلى أي حال فإن الإسلام قد وضع أسساً عامة للمناهج الصحية تقي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض، ونعرض ـ بإيجاز ـ لبعضها.

النظافة

النظافة إحدى العناصر المهمة في تكوين الحياة الصحية وازدهارها، وجعلها بمأمن من التلوث بالأمراض السارية والأوبئة الفتاكة، وقد تبناها الإسلام ـ بصورة إيجابية ـ ورتب عليها بعض أحكامه وواجباته، ومنح الله تعالى وسام حبه لمن يتصف بها، قال تعالى: **﴿ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾**.

وقال تعالى: **﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين﴾**[2].

وأثرت عن الرسولﷺ وأهل بيتهعليهم السلام طائفة من الأخبار، وهي تحث المسلمين عليها كقاعدة أساسية في حياتهم الفردية والاجتماعية منها:

---

(١) طب الإمام الرضا.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٨.

١ ـ «النظافة من الإيمان».

٢ ـ «بني الدين على النظافة».

٣ ـ «إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة».

٤ ـ «الطهور نصف الايمان».

وتشمل النظافة التي دعا إليها الإسلام ما يلي :

١ ـ نظافة الجسم ، وإزالة ما عليه من الأوساخ ، وتقليم الأظافر ، وقص الشعر ودلك الأسنان.

٢ ـ نظافة اللباس ، وإزالة ما عليه من الحشرات الناقلة الأمراض.

٣ ـ نظافة المسكن مع مرافقه الصحية .

٤ ـ نظافة المأكل ومياه الشرب.

أما إذا أهمل ذلك ، وأصيب ببعض الأمراض فإنه يقترف بذلك محرماً وإثماً لقوله تعالى ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ وقد كره الإسلام القذارة وحذّر منها ففي الحديث «بئس العبد القاذورة»[1] ومن ألوان القذارة وساخة الجسم والثياب، والمسكن، والجلوس في الأماكن القذرة والبصق في المحلات العامة، والجوامع.

ويتضح مدى اهتمام الإسلام البالغ بالنظافة بتشريعه لما يلي:

أ ـ الغسل:

وألزم الإسلام بغسل جميع البدن، واستيعاب بشرته بالماء عقيب الاتصال الجنسي أو الاحتلام سواء في ذلك الرجل أو المرأة: قال تعالى: ﴿**وان كنتم جنباً**

---

(١) دعائم الإسلام.

فاطّهروا﴾[1].

وقد ثبت في الطب الحديث أن الجسم الإنساني يفقد شيئاً من حيويته ونشاطه بعد الانتهاء من الاتصال الجنسي، ولا يعيدهما إلا غسل الجسم كله، ودلكه بالماء كما أنه يجب على المرأة بعد أن تطهر من دم الحيض أن تغسل بدنها، وتزيل ما عليه من قاذورات الدم، وهو يرد لها حيويتها ونشاطها، وذكر فقهاء المسلمين أنواعاً أخرى من الأغسال الواجبة والمندوبة، وهي مما تجعل المسلم ـ في أكثر أحواله ـ نظيفاً وبعيداً عن القذارة والأوساخ.

ب ـ *الوضوء*:

ويجب مقدمة للصلاة اليومية البالغة خمس صلوات، وغيرها من الصلوات الواجبة، عدا صلاة الجنائز، فإنه لا يعتبر فيها. ويجب فيه غسل الوجه، واليدين، ومسح الرأس والرجلين ـ عند الشيعة ـ وسننه غسل الكفين عند ابتداء الوضوء، والمضمضة بالماء، والاستنشاق بالماء، وغيرها مما نص عليه فقهاء المسلمين، وذكر الأطباء الاختصاصيون له فوائد مهمة منها:

١ ـ أن الماء الذي يراق على الوجه واليدين مما يقبض العروق الشعرية السطحية الجلدية، وعودها منبسطة إلى حالتها الاولى، وبذلك تزداد حركة القلب وتنشط المبادلات في الجسم، وتقوى الحركات التنفسية، ويزيد في استنشاق الأوكسيجين ودفع الكاربون، وبذلك يحصل تنبه الأعصاب المدركة المحركة، ثم يسري هذا التنبيه إلى جميع الأعصاب القلبية والرئوية، والمعدية ومنها إلى جميع الأعضاء والغدد.

٢ ـ وقاية العين من الإصابة بالرمد لأنها تغسل بالماء النظيف عدة مرات في اليوم.

---

(١) سورة المائدة: آية ٦.

٣ ـ تطهير مجاري الأنف من الجراثيم التي تتجمع فيه، وذلك فيما إذا أتى المصلي بالاستنشاق.

٤ ـ وقاية الجلد من الإصابة بالأمراض الجلدية، فإن الوجه واليدين من الأجزاء المكشوفة، وهي عرضة للإصابة بالميكروبات الوافدة عليها فإذا غسلت في اليوم عدة مرات توفرت فيها المناعة من الإصابة.

٥ ـ وقاية الجوف من الجراثيم التي تدخل من طريق الفم، فإنها لا تدخل إلا من طريق تلوث الأيدي، فإذا كانت مغسولة نظيفة على الدوام فإنها لا تحمل أي جرثومة تصل إلى الجوف، أما الأمراض التي تلج الجسم من طريق الأيدي الملوثة فهي:

١ ـ الطفيليات الهضمية.

٢ ـ التيفوئيد.

٣ ـ الشلل.

إن الوضوء من أهم العمليات الوقائية لجسم الإنسان من الإصابة بهذه الأمراض الخطيرة.

٦ ـ تخفيف حدة توتر الأعصاب، والغضب، حسب ما يقول الأطباء وقد اثر عن النبي ﷺ أنه قال: «الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[1].

هذه بعض الثمرات المهمة التي تترتب على الوضوء[2].

---

(١) الحديث: رواه أبو داود.

(٢) مصادر البحث: روح الدين الإسلامي ص ٤٠٠، روح الصلاة في الإسلام ص ٨٢ ـ ٨٣.

ج ـ السواك:

وندب الإسلام إلى السواك وحث عليه، فقد قالﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك».

والسواك: عود من شجر الأراك فيه ألياف دقيقة يستعمل لتنظيف الأسنان.

وقد أدلى الدكتور حامد البدري ببعض فوائده الصحية، قال:

«هذا النبات ـ أي الأراك ـ يتكون كيميائياً من ألياف السيليوز، وبعض الزيوت الطيارة، وبه راتنج عطري، وأملاح معدنية، أهمها كلوريد الصوديوم، وهو ملح الطعام، وكلوريد البوتاسيوم، واكسالات الجير.

فالسواك فرشاة طبيعية زودت بأملاح معدنية، ومواد عطرية تساعد على تنظيف الأسنان فنرى النبيﷺ وأصحابه، قد استعملوا فرشاة الأسنان الطبيعية منذ قرون، في حين استعمل الفرشاة لتنظيف أسنانهم لأول مرة حوالي سنة ١٨٠٠م.

هذا، وإن الإنسان إذا أهمل أسنانه سرى فيها الفساد والتسوس وأفرزت السموم التي يمتصها الجسم، وتسبب أمراضاً كثيرة ...»[1].

هذه بعض الثمرات المهمة في تشريع الإسلام للسواك بهذا النبت الخاص.

د ـ الاستنجاء:

ومما شرعه الإسلام للنظافة الاستنجاء بتطهير مخرج البول بالماء مرتين والأفضل ثلاث مرات، وأما مخرج الغائط فيتخير المكلف بين غسله بالماء وهو الأفضل، وبين مسحه بما يقلع النجاسة ـ حسب ما نص عليه الفقهاء ـ وهذا التشريع العظيم مما يستلزم نظافة الجسم، ووقاية مما يحمله البول والغائط من الميكروبات والقذارة.

---

(١) روح الدين الإسلامي: ص ٤٠١.

هـ ـ نظافة الثياب:

وأجمع الفقهاء على لزوم طهارة الثياب حال الصلاة، وإن المصلي إذا صلى بالثوب النجس اختياراً مع علمه بالنجاسة، بطلت صلاته، ووجب عليه إعادتها بثوب طاهر، ومن الطبيعي أن طهارة الثياب لها الأثر التام في تكوين الصحة الفردية، والاجتماعية ووقاية الانسان من الإصابة ببعض الأمراض.

و ـ الحلق وتقليم الأظافر:

وندب الإسلام إلى نظافة أجزاء البدن فقد حث على الحلاقة، وتقليم الأظافر فقد جاء في الحديث «خمس من الفطرة، الاستحداد[1] والختان وقص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظافر»[2]. وتطبيق هذه المناهج الصحية مما يوجب توفر الصحة، وسلامة الجسم ووقايته من الأمراض الانتقالية.

وعلى أي حال فإن النظافة في الإسلام مما توجب ازدهار الصحة العامة وتطويرها كما تساهم في جعل الطب وقائياً، وهو مما تجهد الدول المتحضرة ومنظمات الصحة العالمية على اشاعته بين جميع الشعوب، وبالإضافة إلى ذلك فإنها تعمل على صيانة الإنسان من الشذوذ والانحراف، يقول بنتام الإنجليزي:

«إن من واظب على الطهارة الشرعية في الدين الإسلامي خلا ظاهره من الذنوب، وبرئت نفسه من العيوب، ولقد استقريت المجرمين الذين جمعتهم السجون، فلم أر فيهم إلا قذر الجسم، وسخ الثياب ...».

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض برامج النظافة التي شرعها الإسلام وهي مما تدل على مدى اهتمام الإسلام البالغ في شؤون الصحة العامة.

---

(١) الاستحداد: حلق الشعر من الأعضاء التناسلية.

(٢) صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

منهج التغذية

ووضع الإسلام منهجاً خاصاً للتغذية، وأمر المسلمين بتطبيقه على واقع حياتهم، ونلمع فيما يلي إلى بعضه.

١ ـ الاعتدال في الطعام:

وأكد الإسلام على ضرورة الاعتدال في الطعام، وعدم الإسراف فيه قال تعالى: ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾[١].

وجمعت هذه الآية الكريمة أسس الصحة العامة، وأعطت قاعدة مطردة لسلامة الجسم وهو عدم الإفراط في الأكل، فإن النهمة تفتك بالأجسام، وتسبب إصابتها بكثير من الأمراض يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم»[٢].

ويقول الإمام الرضا عليه السلام في رسالته الذهبية التي ألّفها بطلب من المأمون: «فانظر يا أمير المؤمنين ما يوافقك، ويوافق معدتك، ويقوي عليه بدنك ويستمرء به من الطعام فقدره لنفسك، واجعله غذاءك».

وقال عليه السلام: «من أخذ من الطعام زيادة لم يغذه، ومن أخذ بقدر لا زيادة عليه ولا نقص نفعه، وكذلك ما سبيلك أن تأخذ من الطعام كفايتك في إبانة وارفع يديك منه، وعندك إليه ميل فإنه أصلح لمعدتك، ولبدنك، وأذكى لعقلك، وأخف على جسمك»[٣].

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٢) الفصول المهمة.

(٣) طب الإمام الرضا.

لقد أكد الإسلام على ضرورة الاعتدال في الأكل، وإنه مما يوجب صحة الإنسان، وإبعاده عن الأمراض، يقول النبي صلى الله عليه وآله: «كل وأنت تشتهي، وأمسك وأنت تشتهي».

قال صلى الله عليه وآله: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفَسه».

قال صلى الله عليه وآله: «المعدة بيت كل داء، والحمية رأس كل دواء، واعط كل نفس ما عودتها ...».

إن الإسراف في الطعام له مضاعفاته السيئة، التي تجر للإنسان كثيراً من الأخطار والمصاعب، وهذه بعضها.

١ ـ التعرض للبدنة والسمنة، وهي من أخطر الأعراض التي يمنى بها الإنسان، فإنها تعرضه للإصابة بأمراض القلب، وارتفاع الضغط، وأمراض الكلى، ومرض السكر.

٢ ـ تعرض الجهاز الهضمي للإصابة بالأمراض من تمدد المعدة واتساعها، وحدوث القرحة وغيرها.

٣ ـ يؤدي الإفراط في الطعام إلى قلة النسل، فقد ثبت في الطب الحديث أن الإسراف في تناول الأطعمة الدسمة المغذية يؤثر على نشاط الغدد وعلى قدرة الإنسان على الفيض التناسلي، كما يؤدي ـ في بعض الأحيان ـ إلى العقم[1].

٤ ـ ومن ويلات الإسراف في الطعام تبلد الفكر، وسد آفاقه، وإصابة الإنسان بالغباوة وعدم الذكاء.

هذه بعض الأضرار الفظيعة الناجمة من الشراهة، والإفراط في تناول الطعام.

---

(١) طبيبك معك ـ ص ٣١.

٢ ـ مضغ الطعام:

وحث الإسلام على مضغ الطعام، وندب إليه، وجعله من جملة مناهجه الصحية التي يستغنى بها عن الأطباء، وقد أيدت البحوث الطبية الحديثة ذلك، وأكدت على أن عدم مضغ الطعام مما يعرض الجهاز الهضمي للإصابة بكثير من الأمراض.

٣ ـ برودة الطعام:

ومنع الإسلام من تناول الطعام الحار، وأكد على ضروره تبريده، فقد أُثر عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «برد الطعام فإن الحار لا بركة فيه» وقد أجمع الأطباء على أن تناول الطعام الحار مما يسبب امراض الأسنان وغيرها.

٤ ـ الأغذية المحرّمة:

وحرّم الإسلام تناول بعض الأغذية التي توجب انهيار الصحة، وفساد الأبدان، والزم بتناول الأغذية التي تحتوي على العناصر الأساسية للطعام، قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع﴾**[2].

---

(١) سورة البقرة: آية ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) سورة المائدة: آية ٣.

ونلمع إلى بعض الأسرار الفظيعة التي تترتب على هذه المحرمات.

أ ـ الميتة:

الميتة من الحيوان هي التي تفارقها الحياة من دون ذبح، فإن كانت عن مرض فقد ذكر الأطباء في أضرارها ما نصه: «الحيوان الميت ميتة طبيعية لا يموت إلا لسبب، فإن كان لمرض فمما لا شك فيه أنه لا تزال في الجسم نتيجة التسمم مواد غير طبيعية وضارة للإنسان حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار، فالجسم الميت في هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة يظل مضراً بالإنسان وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة»[1].

وقال بعض الأطباء: «إن الميتة تنعدم فيها جميع خواصها الطبيعية للبدن، وتزول كل موادها الحيوية، فإذا أكلها الإنسان عقب موت الحيوان مباشرة أحدثت له مغصاً في المعدة، ونزلات معوية حادة، أما إذا مضت على موته مدة حتى تعفن فقد صار سماً زعافاً وأضر في البدن ضرراً كاد أن لا يتدارك مثل الفالج والسكتة وموت الفجأة، وأحياناً بالمداومة قد يحدث العقم في النسل»[2].

أما إذا كانت الميتة تستند إلى الشيخوخة فإن ضررها كضرر الميتة بالمرض فإن الشيخوخة توجب انحلال الأنسجة بأسرها، وهو مما يحدث تغييراً في لحوم الحيوان يقلل من قيمتها الغذائية، وقابليتها للهضم، وهو مما يؤدي إلى الأمراض المعدية.

ب ـ الدم:

وحرم الإسلام تناول الدم لأنه مرتع للجراثيم فمنه تتولد، ومنه تنتشر وهو

---

(١) الإسلام والطب الحديث: ص ١٧.

(٢) القرآن والطب الحديث: ص ١١٧.

يحمل إفرازات وسمومات، فإذا تناوله الشخص فإنه يحدث فيه تهيجاً في الأغشية المعدية، ويسبب الأمراض الخطيرة، أما إذا أخذ الدم من الحيوان المريض فإنه يحدث ارتفاعاً عالياً في درجة الحرارة، وضغط الدم.

ج ـ لحم الخنزير:

أما لحم الخنزير فإنه يحدث الداء المسمى (تريشينوز) وهو داء خطير يصحبه إسهال شديد وأحياناً يحدث إسهالاً دموياً مع مغص وحمى قوية، وانحطاط في القوى وأوجاع مؤلمة في المفاصل، وجفاف في الحنجرة، وأعضاء التنفس، وانتفاخ ظاهر في الوجه، وخاصة حول العينين، كما يوجب الضعف العام في الجسم، وتشتد فيه العوارض، وربما يؤدي إلى الموت.

وقد اكتشف الطبيب الإنجليزي (باجت) في (١٨٣٥ م) هذا الداء الخطير عند تشريحه جثة إنسان كان يكثر من أكل لحم الخنزير، وبعد التجارب المتعاقبة ظهر لديه أن هذا الداء ينشأ من دودة تسمى (تريشينلا) تعيش في أمعاء بعض الحيوانات ذوات الثدي كالفيران والجرذان والكلاب والخنازير غير أنها فيها أربى وأكثر تولداً، خصوصاً وهي تأكل الجيف من كل حيوان يموت وفيه الطفيلية فإذا أكل الإنسان لحم الخنزير المصاب بها فلابد وأن يدخل في جوفه قسم كبير من أكياسها الحية المخزونة في لحم الخنزير المصاب، وبعد مدة وجيزة تذوب تلك الأغشية في أمعاء الإنسان، فتخرج منها الديدان، وتنتشر في جميع أنحاء البدن فتسبب الأمراض السالفة الذكر»[١].

وهذه الإصابة توجد بكثرة في بلاد الغرب التي استباحت أكله، يقول (وبيني وديكسون): «إن الإصابة بها تكاد تكون عامة في جهات خارجة من فرنسا وألمانيا وبريطانيا وايطاليا، ولكنها تكاد تكون نادرة الوجود في البلاد الشرقية

---

(١) القرآن والطب الحديث: ص ٧٦.

لتحريم دين أهلها أكل لحم الخنزير...».

وأدلى بعض الأطباء بالأمور التالية:

١ ـ أنه ليس من الممكن أن يقرر أن خنزيراً ما غير مصاب بهذه الديدان إلا إذا فحص كل جزء من عضلاته تحت المجهر، وهذا غير ممكن لأنه إذا فعل ذلك نفذ لحم الحيوان.

٢ ـ الأنثى الواحدة من هذه الديدان تضع نحو (١٥٠٠) جنين في الغشاء المخاطي المبطن لأمعاء المصاب فتوزع الملايين المولودة من الإناث جميعاً بطريق الدورة الدموية إلى جميع أنحاء الجسم فتتجمع الأجنة في العضلات الإرادية حيث تسبب آلاماً شديدة والتهابات عضلية تدعو إلى انتفاخ النسيج العضلي وصلابته، وتكون نتيجة الأورام التي تمتد بطول العضلات.

٣ ـ إنه لا يوجد علاج لهذا المرض، ولأسباب فنية لا يجدي معه دواء، وبجانب ينقل لحم الخنزير للإنسان بعض الجراثيم العفنة والبارايتفود التي تسبب للإنسان تسمماً حاداً مصحوباً بالتهابات شديدة في الجهاز الهضمي قد تسبب الوفاة في بضع ساعات»[١].

إن هذه الأضرار الفظيعة التي تترتب على أكل لحم الخنزير تكشف عن مدى عمق التشريع الإسلامي، وأصالته في تحريمه.

د ـ *المنخنقة*:

وحرم الإسلام لحم الحيوان الذي يموت بالاختناق، وذكر الأطباء أن الاختناق يجعل لحم الحيوان سريع التعفن، كما يتغير شكله، ويميل إلى الكآبة والسواد ويكون ذا رائحة كريهة.

---

(١) روح الدين الإسلامي: ص ٤٠٥.

هـ ـ *الموقوذة*:

الموقوذة: هي المضروبة حتى تشرف على الموت من أثر الضرب، وتشارك المنخنقة في تعفن لحمها، وعدم صلاحيته للأكل.

و ـ *المتردية*:

هي التي تسقط من مكان مرتفع فتموت، ولا تصلح للأكل لتعفن لحمها واسوداده.

ز ـ *النطيحة*:

هي التي تموت من أثر عراكها مع مثيلاتها من الحيوانات، ولا تصلح للأكل نظراً لتعفن لحمها واسوداده، وقد قرر (علم فحص اللحوم) ترتب ذلك على جميع الأصناف السابقة.

ح ـ *ما أكل السبع*:

وحرم الإسلام أكل لحم الحيوان الذي يفترسه السبع، والحكمة في ذلك أن الحيوانات المفترسة تأكل الجيف عادة وهي تحمل الجراثيم القاتلة وهي تنتقل منها إلى فريستها فيتلوث بذلك جميع لحمها، وهو مما يؤدي إلى الإضرار بالصحة.

هذه بعض أنواع اللحوم التي حرمها القرآن الكريم، وذكر فقهاء المسلمين مواد أخرى عرضتها بالتفصيل كتبهم الفقهية وهي ـ من دون شك ـ لم تحرم إلا لاشتمالها على أضرار جسيمة تؤدي إلى انهيار الصحة، وإصابة الإنسان بأمراض خطيرة.

الخمـــر

الخمر أساس كل جريمة ومصدر كل موبقة، وهو مما يمسخ الإنسان ويسلبه جميع مقوماته، ويلقيه في شر عظيم، ونعرض ـ بايجاز ـ للبحث عنه.

أ ـ حرمته:

وحرم الإسلام الخمر تحريماً باتاً، وجعلها من الكبائر والموبقات، وأمر القرآن الكريم بلزوم اجتنابه قال تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾**[١].

و تظافرت الأخبار بتحريمه، وهذه بعضها:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه»[٢].

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة. مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم»[٣].

٣ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «مدمن الخمر كعابد وثن، وإن الخمر رأس كل إثم، وشاربها مكذب بكتاب الله، لو صدّق كتاب الله حرّم حرامه»[٤].

٤ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من شرب الخمر حتى يفنى عمره كان كمن عبد الاوثان، ومن ترك مسكراً مخافة الله أدخله الجنة وسقاه من الرحيق

---

(١) سورة المائدة: آية ٩٠.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) و(٤) وسائل الشيعة كتاب الأطعمة والأشربة.

المختوم»[١].

وعرضت كتب الحديث لكوكبة أُخرى من الأخبار، وهي تعلن ارتداد شارب الخمر ومروقه من الدين.

ب ـ أضراره الفظيعة:

الإدمان على شرب الخمر مما يوجب انهيار الصحة، وتدمير الحياة، وقد حفلت كتب الطب الحديثة بذكر أضراره الفظيعة، وفيما يلي بعضها:

١ ـ ضرره على النسل:

إن تأثير المسكر ينتقل بالوراثة إلى النسل، فمن يولد من أبوين مدمنين فإنه يحمل آثار الضعف البنيوي، ويكون عرضة للإصابة باضطرابات خطيرة تنتهي بالعته أو الشلل العام أو العقم، وقد يؤدي إلى موت الطفل بعد ولادته، وزيادة على ذلك فإن ذرية المدمنين قد تصاب بتشوهات مؤلمة كعدم تساوي الجمجمة أو قصر القامة، أو الاستسقاء في الدماغ، أو بتأخير في نمو القوى العقلية كضعف الذاكرة، أو البله، وغيرها، وقد نص على ذلك الدكتور (بوجونوس)[٢] والدكتور (شاوان) و(ستوكار) و(فبرة دينكو) وغيرهم[٣].

٢ ـ ضرره على الدم والقلب:

ذهب المحللون للخمرة إلى أن العنصر الفعال في الخمرة هي الكحول أو السبيرتو، وهي تتسرب إلى الدم بكل سهولة من غير أن تنحل، وقد ينحل ما دخل

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الأطعمة والأشربة.

(٢) العمل وحقوق العامل في الإسلام: ص ١٩ ط الثانية.

(٣) أسس الصحة والحياة: ص ٢٨٧.

معها في المعدة إلى (الدهيد) ويتوزع بواسطته إلى جميع الأنسجة والأعضاء، وقليل منه يكون حامضاً كربونياً، وحامضاً خلياً واستدلوا على ذلك أنك لو أخذت قدراً من دم سكران وادنيته إلى النار لالتهب كما يلتهب الخمر والسبيرتو.

وأما تأثيره على القلب فإن نبضه يشتد ويسرع، وإن ذلك مسبب عن نشاط العضلات القلبية، وبعدما تنقص تلك الحركة الحماسية في القلب يصيبه الذبول والانحطاط، كما أنه يسبب ضغط الدم على جدران الأوعية الدموية، وينتج ذلك نضح الجلد عرقاً، وذكر بعض الأطباء أن الإدمان على الخمر هو إحدى العوامل الثلاثة المسببة لتصلب الشرايين، وهو مرض خطير يسبب عطباً في القلب، كما يسبب الانفجار في شرايين الدماغ، ويحدث بذلك فالجاً أو شللاً لا برأ له.

٣ـ خطره على الكبد والكليتين:

إن الجسم بعد أن يمتص من الكحول ما يمر في الكبد من طريق التيار الدموي وبذلك يخرب الخليات الكبدية، ويحدث التهاباً فيها، وإذا أدمن عليها فيزمن هذا الالتهاب، ويحدث تضخماً في الكبد، كما يسبب تشمعاً فيه وقد نص على ذلك كل من الدكتور (هيل هوات)، و(دوث هوات).

وأما تأثيره على الكليتين فإنه يسبب قلة في إدرار البول وذلك بسبب تمدد الأوعية الدموية الكلوية، ويخرج جانب كبير من الكحول عن طريق الكليتين فيفضي ذلك إلى التهاب خطير فيهما.

٤ـ تأثيره على المعدة:

وذكر أعلام الأطباء أن الخمر متى امتزج بمحتويات المعدة ينحل بعضه إلى الدهيد والحامض الخلي، ويرسب البيسين ومخلفات البرثون والبرتاييد، ومن أهم العناصر الموجبة لهضم الطعام هو البيسين، فمتى ترسّب تعذر الهضم كما أنه

يهيج غشاء المعدة المخاطي حتى يوجب تمدداً في الأوعية الدموية، ويسبب تدفق غدد العصارة المعدية، والإدمان عليه يتلف فاعلية العصارة المعدية، كما يسبب الابتلاء بسوء الهضم، فالعاكفون على شرب الخمر يشكون آلاماً موجعة من المعدة.

هذه بعض الأضرار الفظيعة التي ذكرتها أهم مصادر الكتب الطبية الحديثة وقد ذهب معظم الأطباء إلى أن الإدمان عليها يسبب ما يلي:

١ ـ تضخم في الكبد يؤدي بالآخرة إلى الاستسقاء.

٢ ـ التهاب الكليتين، وهو يحدث تسمماً عاماً في الجسم.

٣ ـ الفالج.

٤ ـ الهستريا.

٥ ـ اضطراب عصبي عام.

٦ ـ ضعف الرئتين يعرضها لداء السل الوبيل.

٧ ـ عدم استطاعة المدمن لمقاومة الأمراض الفتاكة كالتيفو، وذات السحايا فإن المدمن إذا انتابته إحدى هذه الأمراض قضت عليه لا محالة، ولا تنفع معه الإسعافات والأدوية الحديثة كالبنسلين وأمثاله من المضادات الحياتية.

هذه بعض الأخبار الصحية الناجمة من الإدمان على شرب الخمر ويضاف إليها الأضرار الاقتصادية، فإن السكير مهما كان بخيلا لابد أن ينجر إلى الإسراف والتبذير، كما لابد أن ينجرف في ميادين الرذائل والموبقات كالقمار والدعارة والمجون، وغيرها من المخلات بالشرف.

ج ـ وسائل لمكافحته:

أما الوسائل المكافحة لهذا الداء الوبيل الذي هو من أقوى عوامل التدمير

والإبادة للصحة والحياة، فهي:

١ ـ تحريم السلطة له تحريماً باتاً، وإبادة معامله، وأجهزة تقطيره وإنـزال العقوبات الصارمة بمن يتّجر به، ويرتزق منه.

٢ ـ استخدام أجهزة الإعلام من الإذاعة والتلفزيون بعرض أضراره الفظيعة.

٣ ـ قيام رجال الدين والتربية، ومنظمات الصحة بمكافحته، وبيان أضراره إلى المواطنين.

٤ ـ فتح النوادي الرياضية، ومزاولة الشباب لأنواع الرياضة والنشاطات المفيدة.

٥ ـ منع الإعلانات والدعاية التي تحبب استعماله والترغيب فيه[١].

هذه بعض الطرق التي يجب أن تستخدم لمكافحة هذه الآفة الفتاكة القاضية على العقل والأخلاق.

الشذوذ الجنسي

وحرم الإسلام جميع الانحرافات الجنسية لأنها تسبب انهيار الصحة العامة، وإصابة الناس بأمراض خطيرة ـ وبايجاز ـ نعرض لبعضها.

١ ـ *الزنا*:

وحرم الإسلام الزنا وجعله من أفحش المحرمات قال تعالى: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾**[٢].

---

(١) أسس الصحة والحياة: ص ٢٨٩.

(٢) سورة الإسراء: آية ٣٢.

جعله تعالى في مصاف الشرك وقتل النفس التي صانها الله، وقال تعالى: **﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾**[1].

ولابد لنا من وقفة قصيرة للبحث عنه:

أضراره:

إن أعظم ما يمنى به الإنسان من الأضرار والأخطار في اقترافه لهذه الجريمة هو انهيار الصحة، وتدمير أسس الحياة، ولعل من أفظع الأضرار ما يلي:

١ ـ الأمراض الزهرية:

إن من آثار جريمة الزنا الإصابة بالأمراض الزهرية، ويصيب هذا الداء جميع أجهزة الجسم كالجهاز العصبي والتنفسي واللمفاوي والهضمي، والتناسلي، ويصيب العظام، والمفاصل، وجميع غدد الجسم القنوية واللاقنوية والجلد والعين والأذن بإصابات خطيرة لا يستريح المصاب إلا بعد الموت، ويعاني من ويلاته ومن أوجاعه ما لا سبيل لتصويره وقد عنت كتب الطب بإسهاب في تفصيل ذلك[2].

٢ ـ السيلان:

وهو من الأمراض الفتاكة التي تصيب المجاري البولية، وهو من نتائج الزنا،

---

(١) سورة الفرقان: آية ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) روح الدين الإسلامي.

ويؤدي إلى إصابة أبناء من يقترف هذه الجريمة بالعمى أثناء الولادة، وله كثير من المضاعفات السيئة حفلت كتب الطب بذكرها.

٣ـ السفلس:

وهو من أخبث الأمراض وأفتكها، ويسمى بقرد الأمراض، وهو يصيب أي عضو في البدن، أو أي نسيج فيه، وفي الدور الأول منه تتكون في الجسم قرحة صلبة تسمى با (الشنكر) والدور الثاني إصابة جميع أجزاء الجسم ببقع حمراء، والدور الثالث إصابة إحدى الأجهزة الرئيسية في الإنسان، فقد يصيب الدماغ فتحدث أمراض عقلية كالجنون، وقد يصيب النخاع الشوكي فيؤثر الشلل، وقد يصيب القلب والأوعية الدموية فيؤدي إلى أمراض القلب[(١)].

ومن آثاره السيئة أن المرأة الحامل إذا كانت مصابة به فإنه يؤثر على حملها تأثيراً مباشراً فإنه يصاب بتشوهات خلقية، وفي بعض الأحوال تلده ميتاً[(٢)].

٤ـ القرحة الرخوة:

وتتكون من قرحة لينة حمراء غير قابلة للشفاء، وتؤثر على الجسم تأثيراً سيئاً، وقد عنت كتب الطب بالبحث عنها تفصيلاً.

هذه بعض الأمراض الفتاكة التي يمنى بها من يرتكب هذه الجريمة، ومضافاً لذلك تضييع النسل، والإخلال بالشرف، وهدم كيان الأسرة، وغيرها من الأضرار الاجتماعية.

---

(١) أسس الصحة والحياة.

(٢) أسس الصحة والحياة: ص ٢١٨ ـ ٢٢٠.

العقاب الصارم:

وحكم الإسلام بأقسى العقوبات على من يقترف هذه الجريمة، فإن كان محصناً فيرجم بالحجارة، واستقرب بعض الفقهاء الجمع بين الجلد والرمي، ويسري هذا الحكم على المسلم والمسلمة، والكافر والكافرة، أما غير المحصن فيجلد بمائة جلدة لقوله تعالى: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**[1].

ونص بعض الفقهاء على وجوب إحضار طائفة من الناس وقت الرجم ليعتبروا بذلك، وينزجروا عن ارتكاب هذه الجريمة.

إن هذا الإجراء الحاسم مما يقضى به على الفساد، فإنه يضع السدود والحواجز أمام مَن تسول له نفسه بارتكابه، ولعل من أهزل ما شرع في هذا المجال ما قننه المشرع الفرنسي فإنه اعتبر الزنا جريمة من المحصن ولكن الزوجين لا يتساويان في الجزاء الجنائي، أما الزوج فلا يعاقب إلا إذا ارتكب الجريمة في منزل زوجته، ولا تزيد عقوبته على الغرامة، وأما الزوجة فتعاقب بالحبس[2] ومن الطبيعي أن هذا الاجراء لا تحسم به هذه الجريمة، التي تفتك بالأرواح.

---

(١) سورة النور: آية ٢.

(٢) القانون الجنائي الفرنسي المواد: ٣٣٧ ـ ٣٣٩.

اللواط

وهو من أفحش الجرائم الخلقية، وأفظع ألوان الشذوذ والانحراف وإن من يمنى به يصاب بالأمراض الزهرية المدمرة للصحة والحياة، وبالإضافة للأخطار الاجتماعية التي من أهمها تضاؤل نسبة الزواج، والانصراف عنه إلى هذه الرذيلة التي توجب قلة النسل أو انعدامه ... وقد حكم الإسلام بالعقاب الصارم على من يقترف هذه الجريمة فجزاؤه أحد الأمور التالية:

١ ـ القتل بالسيف.

٢ ـ الإحراق بالنار.

٣ ـ إلقاء جدار عليه.

٤ ـ إلقاؤه من شاهق.

ويقتل المفعول به إن كان بالغاً عاقلاً مختاراً، وإن كان صبياً فإنه يعزر فاعلاً كان أو مفعولاً[1] وهذا الحكم الصارم جاء لاستئصال هذه الجريمة وزجر الناس عنها، وقد كان هذا الشذوذ الجنسي ممنوعاً في بريطانيا، ويعاقب عليه القانون إلا أن المشرع البريطاني قد أجازه بإلحاح من مجلس الأمة، وبذلك فقد ألقت الحكومة شعبها في شر عظيم، ومكنته من اقتراف هذه الجريمة المدمرة للأسرة، وللحياة الاجتماعية.

---

(١) الروضة: كتاب الحدود.

العادة السرية

وحرم الإسلام العادة السرية التي تسمى بالاستمناء، وهي من أفحش الوسائل لإشباع الغريزة الجنسية، فإن من يقترفها يصاب بأمراض نفسية وهزال وكآبة ملازمة له.

الطرق الوقائية:

أما الطرق الوقائية من هذه العادة الخبيثة فهي كما يلي:

١ ـ الزواج المبكر فإنه يقضي على جميع ألوان الشذوذ الجنسي، فإنها ـ على الأكثر ـ مسببة عن العزوبة التي هي مصدر هذه الرذائل، وفي الحديث: «من تزوج حفظ ثلثي دينه، فليتق الله في الثلث الآخر»، وفي حديث آخر: «رذال موتاكم العزاب» وفي حديث ثالث «أكثر أهل النار العزاب»[١].

إن الزواج يعصم الإنسان من الوقوع في هذه الآثام، ويقيه من السقوط في حمأة الرذائل.

٢ ـ التثقيف الجنسي، واظهار مساوئ هذه العادة المستهجنة.

٣ ـ الابتعاد عن أفلام الجنس، ووسائل الإغراء الأخرى كالمجلات والكتب الخلاعية، وكل ما يثير الغرائز الجنسية.

٤ ـ ممارسة الرياضة، والأعمال الفنية، والإقبال على مطالعة الكتب المفيدة والمهذبة للأخلاق.

٥ ـ إتباع الوسائل كالنظافة العامة، وترك الفراش حالا عند النهوض من

---

(١) وسيلة النجاة: ٢ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

النوم، والاشتغال بالأمور المفيدة[1].

هذه بعض الوسائل التي ذكرت للوقاية من هذه العادة المضرة والتخلص منها.

حرمة وطء الحائض:

ومما حرمه الإسلام للوقاية من المرض وطء الحائض، فقد حرم في الكتاب العظيم: **﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾**[2].

وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة أن مقاربة المرأة أيام حيضها مما يضر بصحة الزوج والزوجة، لأن دم الحيض يحوي ميكروبات عديدة، وجراثيم متنوعة لا تلبث أن تصيب الرجل فتحدث له التهابات، كما أنه في زمن الحيض تحتقن أغشية المرأة الداخلية، وفي المقاربة قد يحدث لها التمزيق فتنتشر العدوى من الميكروبات الموجودة، وتنتقل من مكان الرحم إلى أمكنة أبعد مما يؤثر في صحة المرأة، كما أن الاختلاط في كثير من الأحيان يسبب الاضطرابات العصبية[3].

إن تحريم الإسلام من مقاربة الحائض يعود بأروع الثمرات الصحية على الرجل وزوجته ويقيهما من الإصابة بكثير من الأمراض.

---

(١) أسس الصحة والحياة: ص ٣١٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٢٢.

(٣) روح الدين الإسلامي: ٤١٢.

الراحة

ومن برامج التربية الصحية في الإسلام راحة الإنسان لبدنه عند إجهاده وعنائه، فليس له أن يرهق نفسه وجسمه لأن في ذلك إلقاءً لنفسه في التهلكة وهو مما حرمه الإسلام، وعليه أن يخلد إلى الراحة، والاستقرار ففي الحديث: «إن لنفسك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً»[1]، وفي حديث آخر: «نفسك مطية فارفق بها» يعني أن لا تحملها فوق طاقتها، ولا تجهدها فإذا أصابها ضعف أو مرض فعالجها، وليس لك إهمالها، وجاء في الحديث: «روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة».

إن الراحة تقي الإنسان من الإصابة بكثير من الأمراض فإنها ـ على الأكثر ـ ناشئة عن الجهد والإرهاق، وعدم التوازن في السلوك، وهي من موجبات المرض وأسبابه.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التربية الصحية في الإسلام، وقد أوجزنا القول فيها لأن تفصيل الكلام يستدعي وضع مجلد خاص لها.

---

(١) صحيح البخاري.

التربية الرياضية

ووجّه الإسلام عنايته بالتربية الرياضية لأنها عنصر مهم في تكوين حيوية الجسم ونشاطه، وقد شرع لذلك كثيراً من المناهج، وفيما يلي بعضها:

السبق:

وهو عقد شرع لفائدة التمرن على مباشرة النضال، والاستعداد لممارسة القتال، وقد أثر عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر»[1]، وهو مما يوجب تقوية الجسم ونشاط العضلات، وقد عني فقهاء المسلمين به وأفردوا له كتاباً خاصاً وذكروا فيه أحكامه وآثاره.

الرماية:

ويقصد بها التمرين على عمليات الحروب، وحمل السلاح، ومن الطبيعي أن هذا التمرين يبعث على توفير القوى الجسمية، وزيادة نشاط العضلات، ونمو الحركة الحيوية في الجسم، كما يقوي الإرادة والاعتماد على النفس.

الصيد:

وهو مما يوجب تنبه الأعضاء، وتحريك العضلات، ووفور النشاط وتقوية الجسم لأنه يستلزم الحركة والسير، وغيرهما من موجبات الرياضة البدنية، وقد ولع به ملوك المسلمين في عصورهم الأولى، وأثرت عنهم بوادر كثيرة في ذلك، ولم يكن مبعثه إلا اللهو واللعب، وقد عرضت كتب الفقه الإسلامي بصورة مفصلة إلى بيان محلل الصيد ومحرمه، وما يشترط فيه من الأمور التي تبيحه.

---

(١) الروضة: ٤ / ٤٢١ من منشورات جامعة النجف الدينية.

الفوائد الرياضية في العبادات

وتهدف العبادات التي شرعها الإسلام إلى سمو الأخلاق، وتهذيب النفوس واتصالها بالله خالق الكون، وواهب الحياة، وكذلك تهدف إلى صحة الإنسان ورياضة جسمه، وتنشيط عضلاته، وتقوية إرادته ... ونلمع فيما يلي إلى بعضها.

أ ـ *الصلاة*:

الصلاة معراج المؤمن، وقربان كل تقي ـ كما في الحديث ـ والمفزع الوحيد للنفس حينما تتطاردها الأفكار، وتتنازعها الهموم، وتصارعها الآلام فتلجأ إلى الله، وتتصل بخالقها اتصالاً مباشراً، معرضة عن جميع الروابط المادية والمصالح الشخصية، وهي بذلك تكون بمنجاة من القلق المدمر، والاضطراب المبيد.

إن جوهر الصلاة يعنى بتوجه القلب، وإقبال النفس على الله، فإذا خلت عن ذلك فهي فاقدة لروحها وواقعها... وقد توعد تعالى الذين يأتون بصورة الصلاة، وهم غافلون عن حقيقتها ومغزاها، قال تعالى: ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**﴾[1].

ان النفس إذا أقبلت في الصلاة على الله، وخضعت إليه، واطمأنت بقدرته فانها تكون بمنجى عن آلام الحياة التي تزج الأبدان بالأمراض والآفات، وقد ورد في بعض الأخبار أن الصلاة مصحة للابدان وبالإضافة لما تحتوي عليه من المصالح الدنيوية والأخروية التي لا تحصى فانها تحتوي على طاقات كبيرة من الفوائد الرياضية. يقول الإمام المغفور له محمد الحسين آل كاشف الغطاء في حديثه عن فوائدها الطبية والرياضية: «فالمطلوب في حركاتها ـ أي حركات الصلاة ـ وسكناتها أجمع، القرار والسكينة، فإذا قام أو جلس يكون بحيث يستقر

---

(١) سورة الماعون: آية ٤ ـ ٥.

كل عضو في موضعه مع الاتيان بحركاتها التي لا تترك مفصلاً من مفاصل الجسم أو عضواً من الأعضاء إلا أعطته حركة جديدة، قيام وقعود، وانحناء وسجود، بهيئات متنوعة من رفع اليدين، وضم الجناحين، يتخللها أذكار وقراءة، وتسبيح في أوقات معينة لها خصوصية كونية كطلوع الفجر أو زوال الشمس أو غروبها مما هو محل للعبرة وآية على عظيم الصنعة، وعظمة الصانع، وفيها مجال للتفكير، ولكل واحدة من تلك الحركات منافع جسمية فالركوع مثلاً بتقليصه عضلات البطن يقوي هذا الجدار، ويمنعه من الاسترخاء، وينبه الاحشاء والأمعاء للنبضات المستقيمة فيخلص الجسم من ربقة القبض الشديدة إلى كثير من الفوائد مما لا مجال لاستيفائه. ومثله السجود يقلص عضلات وعظام الصدر تقليصاً أعم وأشد، ويحرك الحجاب الحاجز، وينبه المعدة فيدفع ما بها، ويخلصها من الوقوع في اعراض التمدد المزعج بل كل تلك الأعمال المنسقة المرتبة بذلك الترتيب الخاص والأوضاع المعينة حركات رياضية لها أعظم الأثر في نشاط الأعضاء وتقلص العضلات وقوتها وتماسكها، وتنبيه العصب الحساسة وتحريك الدورة الدموية وإيقاد الحرارة الغريزية التي تهيء بيئة داخلية ثابتة، وتنشط القوى لإعمال الفكر الصحيح، ومعلوم أن وظيفة العضلات لا تقف عند حركة انتقال الجسم من مكان إلى آخر بل لها وظائف أهم وأعم وهو تأثيرها النافع في جميع مقدمات البدن ومكائن التحليل والتبديل وتنبيه الجهاز الهضمي والعمود الفقري، فتلك الحركات تمارين صحية ورياضة طبيعية، لها في كل عضو أثر خاص عميق، منظمة أبدع تنظيم في أوقات معينة كل يوم، بل هي مع ذلك وصفة طبية، وطراز بديع في تحصيل المناعة للمفاصل والعظام والأعصاب والقلب والرئة، والمعدة بل والرئيس الأعلى وهو الدماغ». وقال بعد ذلك:

«إن الصلاة رياضة بدنية، ورياضة روحية. رياضة معتدلة، رياضة هادئة، وانها تمنح الإنسان بالمواظبة على ادائها في أوقاتها الخاصة قوة الإرادة، وضبط الوقت، وحفظ النظام، ورسوخ ملكة الوفاء بالعهد، وصدق الوعد إلى كثير من أمثال هذه السجايا والمزايا، فأين هذه الرياضة من الألعاب الصبيانية، والوثبة

والنزوات مما هو بالأطفال أليق، وهي بهم ألصق، وهل الصلاة إلا نظافة وتطهير، وعبرة وتفكير، وحركات رياضية وجهود عقلية، ومكاشفات روحية، وأيسر أثر من آثارها أنها إذا أقيمت بشرائطها، وأديت بوظائفها المعتبرة فيها وسننها المرعية بها ضمنت لفاعلها النهي عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله فيها أكبر ...»[١].

وسأل الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة الدكتور مصطفى الحفار الاختصاصي في أمراض الجهاز الهضمي عن فوائد الركوع والسجود في الصلاة فأدلى بما يلي:

«إن الركوع يفيد في تقوية عضلات جدار البطن، ثم انه يساعد المعدة على تقلصها، ومن ثم على قيامها بوظيفتها الهضمية، كذلك الأمعاء يسهل لها أن تدفع بالفضلات الهضمية بصورة طبيعية».

وأما السجود فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم فيريحها من وطأة التمدد، وما ينتج عنه من مضايقات هضمية وانعكاسات قلبية، وتحدث الدكتور فارس عازوري الاختصاصي في الأمراض العصبية والمفاصل عن الفوائد الطبية المترتبة على الصلاة فقال:

«إن الصلاة عند المسلمين، وما تحتويه من الركوع والسجود تقوي عضلات الظهر، وتلين تحركات فقرات السلسلة الظهرية، وخصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سن مبكرة، ويترتب على ذلك مناعة ضد الأمراض التي تنتج عن ضعف في العضلات التي تجاوز العمود الفقري والتي ينشأ من ضعفها أنواع من الأمراض العصبية تسبب الآلام الشديدة والتشنج في العضلات»[٢].

---

(١) التعليقة على سفينة النجاة: ١ / ٢٤٧ ـ ٢٥٠.

(٢) روح الصلاة في الإسلام ـ ص ١٣٧.

ب ـ الصيام:

الصوم جنة من النار ـ كما في الحديث ـ ووقاية من العذاب، وهو من أقوى الوسائل في رياضة النفس، وتقوية الإرادة، وتعويد النفس على الصبر، كما أنه من أعظم الوسائل الصحية في إصلاح الجهاز الهضمي، وأدلى الدكتور عبد العزيز اسماعيل بأن الصوم العلاج الوحيد للوقاية من الإصابة بأمراض كثيرة، وأنه أحسن وصفة للامراض التالية:

١ ـ اضطرابات الأمعاء المزمنة، والمصحوبة بتخمر في المواد الزلالية والنشوية. وهنا ينجح الصيام. وخصوصاً عدم شرب الماء بين الأكلتين وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما في صيام رمضان، وممكن أخذ الغذاء المناسب حسب حالة التخمر. وهذه الطريقة أنجح طريقة لتطهير الأمعاء.

٢ ـ زيادة الوزن الناشئ من كثرة الغذاء، وقلة الحركة، فالصيام هنا أنجح من كل علاج، مع الاعتدال وقت الإفطار في الطعام، والاكتفاء بالماء في السحور.

٣ ـ زيادة الضغط الذاتي، وهو آخذ في الانتشار بازدياد الترف والانفعالات النفسية، ففي هذه الحالة يكون شهر رمضان نعمة وبركة، خصوصاً إذا كان وزن الشخص أكثر من الوزن الطبيعي لمثله.

٤ ـ البول السكري وهو منتشر انتشار الضغط، ويكون في مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوباً غالباً بزيادة في الوزن، فهنا يكون الصيام علاجاً نافعاً إذ ان السكر يهبط مع قلة السمنة. ويهبط السكر في الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي في حالات البول السكري الخفيف، وبعد عشر ساعات إلى أقل من الحد الطبيعي بكثير ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهم علاج في هذا المرض حتى بعد ظهور (الانسولين)، خصوصاً إذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعي، ولم يكن هناك علاج لهذا المرض قبل (الانسولين) غير الصيام.

٥ ـ التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم.

٦ ـ أمراض القلب المصحوبة بتورم.

٧ ـ التهاب المفاصل المزمنة خصوصاً إذا كانت مصحوبة بسمن كما يحصل عند السيدات بعد سن الأربعين. وقد شوهدت حالات تتمشى في شهر رمضان بالصيام فقط أكثر مما تتمشى مع علاج سنوات بالكهرباء والحقن والأدوية، وكل الطب الحديث.

ورب سائل يقول: ولكن الصيام في كل هذه الحالات يحتاج إلى إرشاد طبيب في كل مرض على حدته، والصيام الذي كتب على المسلمين إنما كتب على الأصحاء، وهذا صحيح ولكن فائدة الصيام هي الوقاية من هذه الأمراض[1].

هذه بعض الفوائد الصحية التي تترتب على الصوم، وفي الحديث: «صوموا تصحوا» فالصوم وقاية للابدان من الإصابة بكثير من الأمراض كما أنه تهذيب للنفوس، وتعويد لها على مكارم الأخلاق.

ج ـ *الحج*:

والحج بطوافه وسعيه، وسائر أعماله ومقدماته من أعظم الرياضات البدنية الموجبة لتقوية العضلات، وتنشيط حركات الجسم، وتنبيه الأعضاء كما أنه أعظم مؤتمر إسلامي لو استغله المسلمون لاستفادوا منه خيراً عميماً، ولو عرضوا فيه ما ألم بهم من شؤون سياسية واقتصادية، لنجحوا في كثير من أمورهم ولكنهم لم يعنوا بذلك فاقتصروا على مجرد أداء طقوس الحج وواجباته من دون أن يعرضوا فيه إلى أي شأن من شؤونهم.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التربية الصحية والرياضية في الإسلام.

---

(١) الإسلام والطب الحديث: ص ٣٣ ـ ٣٦.

التربية

الوطنية والعسكرية والمهنية

وتميزت التربية الإسلامية باصالتها، وعمق منهجها واتساع موضوعها، فهي لم تكن خاصة بشأن من شؤون الحياة، وإنما هي شاملة لجميع شؤونها ومناهجها، وهي تستهدف تكوين مجتمع سليم يستقبل مواكب الحياة والنور بكل ثقة ووعي... وقد عرضنا ـ فيما تقدم من تلك البحوث ـ بعض صورها الحية، ونتحدث في هذه الجولة الأخيرة عن جوانب أخرى منها، من دون أن نزعم أنا قد ألممنا بجميع جهاتها فذاك أمر لا تسعه أمثال هذه البحوث الموجزة، وفيما يلي ذلك.

التربية الوطنية والاجتماعية

ليست التربية الوطنية في الإسلام عبارة عن الهتافات العالية، والأناشيد الحماسية، وغير ذلك من ألوان المظاهر الفارغة التي لا تعود على المجتمع بأي نفع، إنما التربية الوطنية الحقة ـ في الإسلام ـ هو أن ينطلق الفرد بكل وعي وإيمان إلى الخدمة الخالصة لأمته، وأن يضحي بنفسه وأمواله في سبيل استقلال وطنه، والذود عنه، والقيام بما يتطور به ثقافياً واقتصادياً... ونلمع ـ بإيجاز ـ إلى بعض مظاهر التربية الوطنية والاجتماعية.

الوحدة الاجتماعية:

ان مهمة التربية الوطنية في الإسلام العمل على إشعار الفرد، وإيمانه بأنه والمجتمع شيء واحد، وأنه لابد أن يندفع بوعي وإخلاص إلى العمل على إسعاد غيره كما يعمل لإسعاد نفسه، وأن يجنب غيره المكاره كما يجنبها عن نفسه، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف: «احبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره لغيرك ما تكره لنفسك».

إن المجتمع الذي يعمل فيه الفرد لحساب نفسه، ولا يتفاعل مع غيره للنهوض بأمته إنما هو مجتمع خائر القوى محطم الكيان، لا يستحق الكرامة والحياة، وقد جهد الإسلام على تربية المجتمع بالتربية المشرقة فالغى الفوارق، وحطم الامتيازات، وجعل المسلمين بمنزلة جسد واحد إذا حلت بجزء منه مصيبة أو كارثة تداعى لها سائر الجسد بالسهر والعناء، ومن المؤكد أنه ليس شيء أدعى لسعادة الأمة، ولا أضمن لكرامتها ومصالحها من العمل على وحدة صفوفها، واتفاق كلمتها.

لقد أقام الإسلام الوحدة الإسلامية على الاخوة فيما بين المسلمين، وهي تشتمل على طاقات هائلة من القوة تمد المجتمع الإسلامي بالتفاهم والإيثار والتعاون، وتخلق له انموذجاً فريداً من التكافل الاجتماعي، كما تسد الطريق أمام أعدائه وخصومه من أفاعي الجشع والاستعمار.

إن الأخوة الإسلامية ليست مجرد عاطفة ظاهرة، وإنما هي علاقة وثيقة تنفذ إلى أعماق القلوب، ودخائل النفوس فتحتم على المسلمين أن يشتركوا في البأساء والضراء وقد أعلن ذلك الرسول الأعظم ﷺ في غير موقف من مواقفه، فقد أُثر عنه أنه بعث رجلاً في حاجة فأبطأ عليه فلما مثل عنده قال له:

ـ ما أبطأك؟

ـ العرى.

ـ أما كان لك جار له ثوبان يعيرك أحدهما؟

ـ بلى يا رسول الله.

فتألم صلى الله عليه وآله واندفع يقول: ما هذا لك بأخ.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يخدعه، ولا يكذبه، ولا يغتابه»، ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ان المؤمن أخو المؤمن لا يشتمه ولا يحزنه، ولا يسيء الظن به».

لقد بنى الإسلام الأخوة الدينية على أسس عميقة، فجعلها كالأخوة النسبية في قوتها ومكانتها، وقد شرع أروع المناهج المؤدية إلى تلاحم تلك القوى كما نهى عن عوامل التفرقة والتفكك، ونشير فيما يلي إلى ذلك.

وسائل الوحدة الاجتماعية

ووضع الإسلام المناهج القويمة المؤدية إلى حتمية الترابط الاجتماعي، وشيوع المحبة والإخاء بين المسلمين، ونلمع ـ باختصار ـ إلى بعضها:

أ ـ التراحم والتعاطف:

وحث الإسلام على التراحم والتعاطف، وأكد على ضرورتهما لأنهما من أهم الوسائل في وحدة المسلمين واتفاقهم، وفيما يلي بعض ما أثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك:

١ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الله، وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا واحيوه...»[١].

٢ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف والمؤاساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض،

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ٤٥٧.

حتى تكونوا كما أمر الله عزّ وجلّ رحماء بينهم، متراحمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا» ان هذه التعاليم الحية لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لكانوا يداً واحدة على من سواهم، وانسد الطريق أمام أعدائهم وخصومهم، وما وجد في مجتمعهم مجال للفقر والحرمان، فان التعاون والتواصل من أوثق الأسباب المكونة للتكافل الاجتماعي الذي يقي المسلمين من البؤس والحاجة.

ب ـ التزاور:

وندب الإسلام إلى تزاور المسلمين بعضهم لبعض لأنه قاعدة اساسية للتعاون والتآلف، والاتصال فيما بينهم .. وهذه بعض الأخبار التي ندبت إلى ذلك:

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لقاء الإخوان مغنم جسيم، وإن قلوا».

٢ ـ عهد الإمام محمد الباقر عليه السلام إلى خيثمة أن يبلغ شيعته بما يلي من النصائح الرفيعة وأكد في آخرها على ضرورة التزاور، قال عليه السلام: «ابلغ من ترى من موالينا، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم على فقيرهم وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا .. رحم الله من أحيا أمرنا».

٣ ـ قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «تزاوروا فإن في زيارتكم احياءً لقلوبكم، وذكراً لاحاديثنا، واحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وان تركتموها ضللتم وهلكتم فخذوا بها، وأنا بنجاتكم زعيم ..».

وحفلت مصادر الحديث الإسلامي بجمهرة كبيرة من الأخبار، وهي تحت

---

(١) أصول الكافي.

المسلمين على هذه الظاهرة التي هي من العناصر الأساسية في التربية الوطنية والاجتماعية.

ج ـ السعي في حوائج الناس:

ومن العوامل المهمة في ربط الهيئة الاجتماعية، واتصال بعضها ببعض السعي في قضاء الحوائج، وقد أكد الإسلام على ضرورته، وندب اليه في جميع المجالات وأثرت عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام طائفة كبيرة من الأخبار، وهي تحث المسلمين على هذه الظاهرة الفذة، وهذه بعضها:

١ ـ قال النبي صلى الله عليه وآله: «من مشى في قضاء حاجة أخيه ساعة في ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً من اعتكاف شهر..».

٢ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «تنافسوا في المعروف لاخوانكم وكونوا من أهله، فان للجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، فان العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عزّوجلّ به ملكين، واحد عن يمينه، وآخر عن شماله يستغفران له ربه، ويدعوان له بقضاء حاجته».

٣ ـ وحدث صفوان الجمال وهو من ألمع أصحاب أئمة الهدى عليهم السلام: قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام اذ دخل عليه رجل من أهل مكة يقال له ميمون فشكا تعذر الكراء عليه، فقال لي أبو عبدالله: قم فأعن أخاك، فبادرت إلى قضاء حاجته فلما انتهيت منها قال لي أبو عبدالله: ما صنعت في حاجة أخيك؟

ـ قضاها الله.

فسر الإمام بذلك، واندفع يقول: «أما انك إن تعين أخاك المسلم أحب إلي من طواف اسبوع مبتديا»، وأخذ الإمام يدلي عليه بفضل ذلك، قال: «إن رجلا أتى الحسن بن علي عليهما السلام فقال له: بأبي أنت وأمي أعني على قضاء حاجة فانتعل، وقام

معه، فمر على الحسين، وهو قائم يصلي فقال له: أين كنت عن أبي عبدالله؟ تستعينه على حاجتك، قال: قد فعلت فذكر[1] أنه معتكف، فقال له: أما إنه لو أعانك كان خيراً من اعتكافه شهراً»[2].

ان قضاء حوائج الناس من أوثق الأسباب المؤدية إلى اتصال الناس بعضهم ببعض، وشيوع المودة والحب فيما بينهم.

د ـ الإغاثة والمواساة:

ومما يبعث على الوحدة الاجتماعية بين المسلمين اغاثة بعضهم لبعض والمواساة فيما بينهم فانهما من أهم الأسباب الوثيقة في جمع كلمتهم، واتحاد أمرهم، ونلمع إلى ما أثر عن النبي ﷺ وائمة الهدى في ذلك.

١ ـ قال النبي ﷺ: «من نفّس عن مسلم كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ...»[3].

٢ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من نفّس عن المؤمن كربة نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم».

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إيما مؤمن نفّس عن مؤمن كربة وهو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة، والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير ..».

٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا يرى أحدكم إذا دخل على مؤمن سروراً أنه

---

(١) فذكر: مبني للمجهول.

(٢) أصول الكافي.

(٣) الجامع الكبير: للترمذي.

عليه أدخله فقط بل والله علينا بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله ..».

٥ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: «ان أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمنين».

٦ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «من فرّج عن مؤمن فرّج الله قلبه يوم القيامة...»[١].

هذه بعض الأخبار التي أثرت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي تحث المسلمين على الإحسان والمواساة فيما بينهم من أجل أن تسود الأخوة الإسلامية، ويتضامن المسلمون بعضهم مع بعض حتى لا تحدث أي ثغرة فيما بينهم يلج منها خصومهم وأعداؤهم.

هـ ـ حقوق الاخوة الإسلامية:

ووضع الإسلام منهجاً فذاً للأخوة الإسلامية الزم المسلمين بمراعاته وهو مما يوجب تماسكهم، واتحادهم، وقد تظافرت الأخبار في بيانه، ونلمع ببعضها:

١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لا براء له إلا بادائها أو العفو، يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضه، ويشهد ميته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويستنجح مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر أنعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه، ولا يعاديه وينصره ظالماً أو مظلوماً فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه... ثم قال أمير

(١) أصول الكافي.

المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه بها يوم القيامة»[1].

ولو رعى المسلمون فيما بينهم هذه الحقوق، وطبقوها على واقع حياتهم لكانوا من أرقى أمم العالم تكاملاً وتهذيباً واتحاداً.

٢ ـ قال معلى بن خنيس للإمام الصادق عليه السلام: ما حق المسلم على المسلم؟ فقال عليه السلام:

سبع حقوق واجبات، ما منهن إلا وهو عليه واجب إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه من نصيب.

ـ جعلت فداك، وما هي؟

ـ يا معلى، إني عليك شفيق أخاف أن تضيع، ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل فأكد له المعلى على رعايتها وحفظها، فقال عليه السلام له:

«أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، (الحق الثاني) أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره، (الحق الثالث) أن تعينه بنفسك، ومالك ولسانك ويدك ورجلك، (الحق الرابع) أن تكون عينه ودليله ومرآته، (الحق الخامس) أن لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى، (الحق السادس) أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعثه فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهد فراشه، (الحق السابع) أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مرضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[2].

وحفلت هذه الحقوق بأروع المناهج التي توجب تضامن الأمة واتحادها

---

(١) المكاسب للشيخ الأنصاري.

(٢) أصول الكافي: ٢ / ١٦٩.

وسلامتها من التفرقة والاختلاف.

٣ ـ قال الإمام الصادقعليه السلام: «حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم ... حب لأخيك ما تحب لنفسك، وإذا احتجت فسله، وإن سألك فاعطه، لا تمله خيراً ولا يمله لك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره، وأجله، واكرمه فإنه منك وأنت منه، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته، وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فاعضده، وإن تمحل فأعنه، وإذا قال الرجل أف انقطع ما بينهما من الولاية»[١].

وأعطت هذه الوثيقة منهجاً حياً للرابطة الإسلامية التي تجمع ما بين المشاعر والعواطف وتوجب اشتراك المسلمين في السراء والضراء.

٤ ـ سأل أبو المأمون الحارثي الإمام الصادقعليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن؟ فقالعليه السلام:

«إن من حق المؤمن المودة له في صدره، والمواساة في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة[٢] في المسلمين، وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة إلى قبره، وأن لا يظلمه، وأن لا يغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذبه، وأن لا يقول له أف ...»[٣].

٥ ـ ووفد رجل من الشيعة على الإمام الصادقعليه السلام فسأله الإمام عن إخوانه فأحسن الرجل الثناء عليهم، وبالغ في تزكيتهم فقال له الإمام:

ـ كيف عيادة أغنيائهم لفقرائهم؟

ـ قليلة.

---

(١) أصول الكافي: ٢ / ١٧٠.

(٢) النافلة: الغنيمة.

(٣) أصول الكافي: ٢ / ١٧١.

ـ كيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟

ـ قليلة.

ـ كيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟

ـ إنك لتذكر أخلاقاً قلّ ما هي عندنا!!!

ـ كيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة[1]؟

إن هذه التعاليم الرائعة تمد الأمة بجميع مقومات النهوض والارتقاء، وتوجب صيانتها من الاختلاف والتفكك، وهي من أروع المبادئ للتربية الوطنية والاجتماعية، فإنها تضع الحدود والحواجز أمام القوى المعادية للأمة، وتصون الوطن بسياج لا يجد الأعداء فيه ثغرة يلجون منها.

عوامل التفرقة والتخريب

ونهى الإسلام عن جميع الأسباب التي تؤدي إلى تباعد المسلمين واختلاف كلمتهم، وتشتت شملهم، وفيما يلي بعضها:

أ ـ التقاطع:

وحذر الإسلام من التباعد والتقاطع، وكره ذلك لأنه موجب إلى انتشار العداوة والكراهية فيما بين المسلمين، وتظافرت الأخبار في النهي عن ذلك، وهذه بعضها:

١ ـ قال الرسول ﷺ: «أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق الكلام لأخيه كان السابق

(١) أصول الكافي.

إلى الجنة يوم الحساب»[1].

٢ ـ قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[2].

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما. فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم؟ فقال عليه السلام: لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته ولا يتعاسى له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان فسبّ أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فإن الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم»[3].

وهنا كوكبة أُخرى من الأخبار وهي تشجب التقاطع وتحرّم التباعد وتدعو إلى الإلفة والمودة وسيادة المحبة والأُخوة بين المسلمين.

ب ـ عدم التعاون:

ونهى الإسلام بشدة عن عدم التعاون، وكره ذلك لأنه يوجب التباعد والتقاطع فيما بين المسلمين، وقد تظافرت الأخبار في ذلك، وهذه بعضها:

١ ـ قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام في حاجته إلا ابتلي بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر...».

٢ ـ قال الإمام أبو الحسن موسى عليه السلام: «من قصد إليه رجل من اخوانه مستجيراً في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزّ وجلّ».

---

(١) الجامع الكبير للترمذي.

(٢) أصول الكافي.

(٣) أصول الكافي.

٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «لأصحابه:

ـ ما لكم تستخفّون بنا؟

فانبرى إليه رجل خراساني من شيعته فقال له:

ـ معاذ الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك!!

ـ إنك أحد من استخف بنا.

ـ معاذ الله أن استخف بك!!

ـ ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله أعييت، والله ما رفعت له رأساً، لقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فبنا استخف وضيّع حرمة الله عزّ وجلّ ...»[١].

وتواترت الأخبار في هذه الجهة، وهي تحذر المسلمين وتنهاهم عن عدم التعاون لأنه موجب لانقطاع المودة والإلفة فيما بينهم.

ج ـ الإيذاء والتحقير:

وحرّم الإسلام إيذاء المسلم وتحقيره، لأنه موجب لتصديع شمل المسلمين وتفريق كلمتهم، وهما من أنواع الظلم والاعتداء اللذين حرمهما الإسلام، وقد أعلن القرآن الكريم حرمة الإيذاء قال تعالى:

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ...﴾[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عزّ وجلّ: قد نابذني من أذل عبدي المؤمن»،

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الحج.

(٢) سورة الاحزاب: آية ٥٨.

وقال ﷺ: «لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه».

وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من حقّر مؤمناً مسكيناً وغير مسكين لم يزل الله عزّوجلّ حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه ...»[1].

إن احتقار الناس وإيذاءهم لا يصدر إلا من النفوس الأثيمة التي لا إيمان لها بالقيم الإنسانية ولا بالمثل العليا، والإسلام بدوره يناهض هذه الصفة التي تقضي على أواصر المحبة والإخاء بين المسلمين.

د ـ الإرهاب والتخويف:

وحرّم الإسلام على المسلمين أن يخيف بعضهم بعضاً لما في ذلك من الظلم وقطع عرى الاتصال بين المسلمين. وتواترت الأخبار في تحريم ذلك يقول النبي ﷺ: «من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من روّع مؤمناً بسلطان ليصبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار...».

وتظافرت الأخبار بهذا المضمون لأجل الحفاظ على تضامن المسلمين وشيوع المحبة والوئام فيما بينهم.

هـ ـ السباب:

ومن عوامل التفريق بين المسلمين سباب بعضهم لبعض، وقد نهى الإسلام عن ذلك حتى مع أعدائهم في الدين قال تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين كفروا فيسبوا**

---

(١) أصول الكافي وجامع الأخبار.

الله عدواً بغير علم﴾.

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إن رجلاً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أوصني، فكان مما أوصاه أن قال له: لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة بينهم»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه...»، وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات بشر ميتة، وكان قمنا أن لا يرجع إلى خير»[1].

إن السباب والشتم والقذف من الصفات الممقوتة التي توجب نشر العداوة وذيوع الكراهية والبغضاء بين المسلمين.

و ـ تتبع العثرات والعيوب:

وأحاط الإسلام الوحدة الاجتماعية بسياج واق فحرّم جميع ما يوجب تصديعها، فنهى عن تتبع عثرات الناس، ونشر عيوبهم لأنه مما يسبب التفرقة ويثير الكراهية في صفوف المسلمين، وقد حرّم القرآن الكريم ذلك، قال تعالى: **﴿إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾**[2].

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه لا تتبعوا عثرات المسلمين فإنه من يتتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثراته ومن تتبع الله عثراته يفضحه»، وقال صلى الله عليه وآله: «ان أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء أن يبصر من الناس ما يعمى عنه، وأن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه».

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «من أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن

---

(١) أصول الكافي.

(٢) سورة النور: آية ١٩.

يؤاخي الرجل على الدين فيحصي عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما...»[١].

لقد أهاب الإسلام بالمسلمين من الاتصاف بهذه الصفة الشريرة التي تؤدي إلى انهيار المجتمع وتقلل وحدته.

ز ـ الانتقاص:

ومن عوامل التفرقة والانحطاط أن يذم المسلم أخاه أو ينقصه ويحقره فقد أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أذاع فاحشة كان كمبتدئها، ومن عير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»، قال الإمام الصادق عليه السلام: «من لقي أخاه بما يؤنبه أنبه الله في الدنيا والآخرة»[٢]. لقد حرم الإسلام ذلك حفظاً على وحدة المسلمين وتضامنهم.

ح ـ التفاخر:

ونهى الإسلام عن التفاخر بالأنساب وغيرها لأنه موجب لتصديع الأخوة الإسلامية... ان الناس في شريعة الإسلام سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق»، وقد وفد عقبة بن بشير الأسدي وهو من شخصيات العرب على الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام فأخذ يعرّفه بنفسه قائلاً:

«أنا عقبة بن بشير الأسدي، وأنا في الحسب الضخم من قومي. فانبرى إليه الإمام فرد عليه هذا المنطق الرخيص قائلاً:

ما تمن علينا بحسبك، ان الله رفع بالإيمان من كان في الناس يسمونه

(١) وسائل الشيعة، البحار، أصول الكافي.

(٢) أصول الكافي.

وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً إذا كان كافراً فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى ...»[1].

إن الإسلام ـ بكل اعتزاز وفخر ـ قد ناهض جميع الوسائل التي توجب تصديع الوحدة الاجتماعية، وتشتيت شمل المسلمين، وحرم كل ما يوجب فرقتهم كالغيبة والنميمة، والسخرية والسعاية، وقد عرضنا إلى ذلك بالتفصيل في بحثنا عن التربية النفسية.

بلورة الوعي السياسي

وتعنى التربية الوطنية في الإسلام ببلورة الوعي السياسي، وتفتح الذهنية العامة أمام الأحداث الاجتماعية، فقد فرض الإسلام على المسلمين التدخل الإيجابي في جميع الشؤون الوطنية، والزمهم بالسهر على مصالحهم، ورعاية شؤونهم فليس لأي أحد أن يقف موقفاً سلبياً أمام مصلحة البلاد العامة، أو يهمل شأناً من شؤونها أو يقف موقف المتفرج أمام ما تمنى به الأمة من أحداث وخطوب، فقد أثر عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وقال ﷺ: «من أصبح وهو لا يهتم بأمور المسلمين فليس من الإسلام في شيء» وفي هذا الحديث أروع الدلالة على ضرورة نشر الوعي السياسي بين المسلمين، وربط نهضتهم الفكرية والاجتماعية بهذا الواقع المشرق.

ومن أهم برامج الوعي الوطني والاجتماعي في الإسلام قيام المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يصون كرامتهم ، ويحميهم من عنف الباغين ، ويعيشون في ظلال إطاره وادعين آمنين لا يضام منهم أحد ولا تهدر كرامتهم ، ويكونون في أعلى مستويات النهوض الاجتماعي ... وقد عرضنا بصورة مفصلة إلى ذلك في كتابنا «النظام السياسي في الإسلام» ودللنا على ارتباط

---

(١) النظام السياسي في الإسلام: ص ٢٥٨.

السياسة بالإسلام ، وأنها جزء من واقعه ، وجوهره ، وبدونها يفقد فعالياته ، وذاتياته.

الواجبات الوطنية

وللوطن واجبات وحقوق يجب مراعاتها والقيام بها، ونلمع ـ بايجاز ـ لبعضها:

١ ـ الدفاع عن الوطن وحمايته من الغزو الخارجي وهو واجب مقدس قد فرض على جميع المسلمين فيجب عليهم أن يهبوا للجهاد، ويقوموا بدور إيجابي لمكافحة الغزو، وحماية وطنهم من الاحتلال، ويتأكد وجوب الدفاع على الأقرب فالأقرب للبلد التي تتعرض للاحتلال ولو كانت هذه الروح المشرقة سائدة عند المسلمين لما تمكنت العصابة اليهودية على احتلال فلسطين وإقامة دويلة لهم في قلب الوطن الإسلامي، وهي تعمل على إبادة جميع معالم الحياة الإسلامية في المناطق المحتلة، كما تسوم أهلها سوء العذاب قتلاً وتشريداً وسجناً، وأمريكا تمدها بأحدث الأسلحة، وتقدم لها جميع المعونات الاقتصادية، والعسكرية، وتعزز جميع اجراءاتها التي تنتهك فيها حقوق الإنسان ... فمتى يستيقظ العرب والمسلمون إلى التضامن فيما بينهم لازالة هذا الخطر الذي يهدد حياتهم بالفناء والدمار.

٢ ـ أن يقف حياته على خدمة الوطن، وأن يتفهم بعمق الأحداث التي يمنى بها، والمسؤولية في هذه الجهة تقع بالدرجة الأولى على السلك الدبلوماسي والسياسيين، فإنهم مسؤولون عن ذلك، وعما تتطور به البلاد اقتصادياً واجتماعياً.

٣ ـ تأدية الواجب الذي عليه تجاه أمته ووطنه على أكمل وجه.

٤ ـ تشجيع المصنوعات الوطنية، وتفضيلها على غيرها من المصنوعات الأجنبية.

٥ ـ مقاطعة جميع السلع والمنتوجات التي ترد من الدول المعادية فإنه خير وسيلة لكبح جماح المعتدين والطامعين.

٦ ـ العمل بجد في القضايا المصيرية للوطن، والإيمان بها من عدم ربطه بالتحالف الاستعماري، أو التلاعب في مقدراته الاقتصادية، وكل ما يمس استقلال الوطن وأمنه وحريته.

هذه بعض الحقوق والواجبات التي ينبغي للمسلمين القيام بها تجاه وطنهم.

معالم التربية الاجتماعية

والشيء الذي يعنينا ـ ونحن في نهاية المطاف ـ أن نعطي صورة موجزة عن معالم التربية الاجتماعية في الإسلام، وإن ألمعنا إلى بعض مظاهرها في البحوث السابقة إلا أنها لم تكن ملمة بها، وفيما يلي ذلك:

١ ـ نبذ الخلافات الفكرية، وإزالة التعصب البغيض بين صفوف المسلمين فإن ذلك من أهم الواجبات المقدسة خصوصاً في هذا العصر الذي يجتاز فيه العالم الإسلامي أهم مرحلة حاسمة في تأريخه، فيجب العمل على وحدة الصف أمام هذه الزوابع المذهلة، والفتن الجارفة.

إن الإسلام ـ بكل اعتزاز وفخر ـ يناهض التعصب، ويدعو إلى التسامح والتساهل مع أهل الأديان السماوية قال تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾**[(١)].

وقال تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾**[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٦٤.

(٢) سورة الممتحنة: آية ٨.

وقد وضع الرسول الأعظمﷺ أصول هذا التسامح وقواعده فقالﷺ: «من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة»، وأمرﷺ أن لا يجبر أحد من النصارى واليهود على ترك دينه، وقد كتب إلى عامله على اليمن بذلك ... وقد اعترف كبار علماء النصارى بهذه الروح الأصيلة والخلق العظيم الذي قابلهم به الإسلام، يقول البطريرك (عسو يمشو ميابة) ـ: «إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا بعدالة كما تعرفون، إنهم ليسوا أعداءً للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قدسيتنا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديارنا ...»[1].

ويقول السير توماس آرنولد: «لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع بحق أن نحكم أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح ...»[2].

إنه ليس شيء أبعد عن منطق الإسلام وهديه من التعصب والتنافر بين أهل الأديان يقول الإمام أمير المؤمنينعليه السلام قائد الإسلام ورائد نهضته في عهده لمالك الأشتر: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو شبيه لك في الخلق»، ومن قال بأن الإسلام يدعو إلى الكراهية والبغض لأهل الأديان فقد ظلم الإسلام وجافى الواقع، وابتعد عن القصد، يقول المصلح الكبير الإمام المغفور له الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء:

يقولون إن الدين فرّق بيننا ... فيالك من حيف ويالك من ظلم
إليكم بني الأديان دعوة مخلص ... دعوتكم فيها إلى الشرف الجم

(١) أهل الذمة في الإسلام.
(٢) الدعوة إلى الإسلام.

إلى السلم فيكم والتسـامح بـينكم   فيا حبذا شرع التسامح والسـلم[1]

إن خير وسيلة لنهضة المسلمين وارتقاؤهم دعوتهم إلى التآلف، ورجوعهم إلى هدي القرآن الكريم الذي عقد أواصر المحبة والأخاء قال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾.

وقد جعل الإسلام هذه الرابطة أقوى وأعز من رابطة النسب والدم، والزم برعايتها والحفاظ عليها صيانة لمجد المسلمين وكرامتهم.

٢ ـ أن يتغذى المسلم بأخلاق دينه العظيم، ويعوّد عليها لتشرق بها نفسه، ويسمو ذاته، وهي في رحابها تشمل الصلاح والتقوى والصدق والأمانة، والعفة، والوفاء، والسلوك الطيب، والكلام الحسن، والنشاط في العمل، وقوة الإرادة، والاعتماد على النفس، واحترام الناس، والاعتراف بحقوقهم، وتقدير جهود العاملين والمخلصين، والعمل على إصلاح الفاسد من أحوال الناس، ومقابلة السيئة بالحسنة، ومشاركة الناس في أحزانهم وأفراحهم، والعطف على الضعيف والفقير، إلى غير ذلك من معالي الأخلاق التي جاء بها الإسلام، والتي لو سار عليها المسلمون وطبقوها على واقع حياتهم لكانوا قادة الأمم وهداة الشعوب.

٣ ـ أن يعرف المسلم ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات ليسعى في الحصول على حقوقه والقيام باداء ما عليه من الواجبات الاجتماعية، وبهذا يقضي على السلوك المنحرف، ويجعل الفرد مندمجاً في مجتمعه، ومؤمناً بأهداف أمته وقيمها.

إن الأصل في التربية الاجتماعية الحقة أن تعد الفرد للحياة في مجتمعه بما له، وما فيه من قواعد ونظم وتقاليد، وأن تمكنه من أن يتكيف مع مجتمعه في إطار هذه القواعد حتى يعمل معهم ويكون عضواً منتجاً في الهيئة الاجتماعية، وهذا ما ينشده الإسلام في تربيته الاجتماعية، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التربية الوطنية والاجتماعية.

---

(١) الدين والإسلام.

التربية العسكرية

وعالج الإسلام بدقة وعمق موضوع التربية العسكرية فوضع أرقى المناهج، وأكثرها أصالة ووعياً في تربية الجيش، وتنمية قدراته، ومهارة تدريبه، وقد أولاه أعظم العناية ومزيد الاهتمام، لأنه حصن الأمة، ودرعها الواقي، وسياجها المنيع الذي تحتمي به عند الكوارث والخطوب، وقد وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأروع وصف وأبلغه يقول عليه السلام: «فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم...».

وقد أناط الإمام عليه السلام حياة الأمة، وجميع مقوماتها بقوتها الدفاعية فعليها يبنى مجد الأمة وعزتها، ويشاد استقلالها، يقول الأستاذ الفكيكي معلّقاً على هذه الجمل الرائعة من كلمات الإمام: «انظر رعاك الله إلى هذه الجمل الأربع كم حوت من أسرار بليغة، ومقاصد عجيبة، ولا يدهشك قولي: إذا قلت لك: إنها جمعت فأوعت جميع فصول كتاب (المشير فولوندروف) الألماني وهو (الأمة في الحرب) بل جميع فصول مدونات الموسوعة الحربية الأوروبية من ألمانية وإيطالية وإنكليزية وفرنسية، ويابانية في هذا العصر، والوضع الدولي الحالي في الغرب والشرق، ونضال الحكومات في يومنا أكبر دليل وشاهد على ما نقول ...»[1].

وعلى أي حال فإن الإسلام أهم ما يعنى به تربية الجيش بتربية فذة تجعله فريداً في سلوكه ووعيه، واندفاعه بإيمان وإخلاص في الذب عن وطنه، وقد استطاع الجيش الإسلامي ـ في العصور الإسلامية الأولى ـ بحكم تربيته أن يحقق أروع الانتصارات، ويفلل قواعد الشرك والإلحاد، ويحقق المعجزة مع قلة عدده وندرة جهازه الحربي، فقد كان سلاح الجيش الإسلامي في واقعة بدر جريد النخل في حين أن جيوش الشرك كانت تملك أحدث الأسلحة الحربية في ذلك

---

(١) الراعي والرعية ـ: ص ٩٣.

الوقت، وقد انهزمت تلك القوى الغادرة وولت الأدبار، لقد كان صمود المسلمين، وتسلحهم بقوة الإيمان هو السبب في انتصارهم في تلك الواقعة الخالدة في دنيا الإسلام.

أما الصور الحية من برامج التربية الإسلامية للجيش فهي:

١ ـ *الصمود في الحرب*

إن أهم ما يعنى به الإسلام أن يتمتع الجيش بروح عالية من الصمود وقوة الإيمان، ووحدة الصف، واتحاد الكلمة، وعدم الاختلاف الذي هو السبب في الفشل والاندحار. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**﴾[٢].

وأوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده محمد بن الحنفية يوم الجمل بالصمود والثبات، وقد جاء في وصيته: «تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذيك[٣]، تد[٤] في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم[٥] وغض بصرك[٦]

---

(١) سورة الأنفال: آية ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) سورة الصف: آية ٤.

(٣) الناجذ: أقصى الأضراس.

(٤) تد: أمر من وتد قدمه في الأرض، أي، ثبتها.

(٥) أمره بأن يحدق ببصره أقصى القوم فعل الشجاع المقدام غير المكترث والمبالي لأن الجبان تضعف نفسه، ويخفق قلبه، فيقصر بصره، ولا يرتفع طرفه، ويكون ناكس الرأس غضيض الطرف.

(٦) أمره أن يغض بصره عن بريق السيوف ولمعان الدروع لئلا يدهش من ذلك.

واعلم أن النصر من عند الله...»[1].

وحفلت هذه الكلمات الذهبية بأروع ما يوصف بـه الثبات فـي ميادين الحروب، وساحات النضال، وأكد الإمام ذلك في كثير من وصاياه لقادة جنوده، وأمراء عساكره.

٢ ـ الايمان ونكران الذات

والتربية العسكرية في الإسلام تغرس الإيمان ونكـران الذات فـي نـفس الجيش قادة وجنوداً، وقد كانت هـذه الظـاهرة العـظيمة هـي السـمت للـجيش الإسلامي في عصوره الأولى، فكان الجندي إذا استشهد يرى وهو جذلان مسرور، وهو يقول: «هذا يوم الفرح والسرور» ويرجع من لم يستشهد وهو كئيب مثقل بالهموم والآلام، وبلغ من عظيم إيمانهم أنهم كانوا يتهافتون على الموت في سبيل الله، فقد روى المؤرخون أن أنس بن النضر مر يوم أحد على جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كفوا أيديهم عن القتال لأنهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتل، فقال لهم متعجباً: «فما تصنعون بالحياة بعده، فقوموا فموتوا على ما مات عليه» ثم اندفع ببسالة إلى ساحة الحرب يقاتل حتى قتل، ووجدوا فيه سبعين ضربة وطعنة، وما عرفته أخته إلا بحسن بنانه[2].

وروى المؤرخون أن جندياً من المسلمين في عهد القائد مسلمة بن عبد الملك بات يحرس نقباً أحدثه المسلمون في سور العدو فما أصبح الناس إلا وقد أتم ذلك الجندي ذلك النقب فتمكن الجيش الإسلامي من النفوذ منه، ولما تـم النصر للمسلمين نادى القائد على صاحب هذا العمل العظيم ليجازيه ويجزل له الصلة، فلم يخرج إليه أحد، وجاء ذات ليلة ذلك الجندي فقال له: «أنـا أعـرف

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ٢٤١.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٢ / ٦٤.

صاحب النقب، وهو يشترط عليكم ألا تذكروا اسمه في صحيفة إلى الخليفة ولا إلى أحد سواه. وأن لا تسألوا عن اسم أبيه أو اسم قبيلته وأن لا تأمروا له بمكافأة» فأجابه القائد إلى ذلك فقال له: «أنا صاحب النقب» ثم ودعه وانصرف عنه.

بهذه الروح العالية، وبهذا الإيمان العظيم استطاع الجيش الإسلامي أن يحقق أروع الانتصارات، فأقام في العالم إمبراطورية إسلامية عظمى لم يشاهد التأريخ في جميع مراحله مثلها في عزتها وقوتها ومنعتها. وقد سرى الإسلام إلى تلك الأمم بسرعة الضوء فبادرت إلى اعتناقه عن إيمان ووعي لأنها وجدت في ظلاله العزة والكرامة والحماية من الاستغلال والأثرة.

٣ـ عدم الرغبة في الدنيا

ومن برامج التربية العسكرية في الإسلام تغذية الجيش بالزهد في الدنيا، والتماس الأجر والثواب من الله. فقد روى المؤرخون أنه لما أقبل الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص إلى فتح مصر أرسل (المقوقس) حاكم مصر رسلا إلى المعسكر الإسلامي ليصفوا له حالته، فمكثوا فيه يومين ثم عادوا إليه فقال لهم:

ـ كيف رأيتموهم؟

فانبروا يحدثونه بإعجاب وإكبار عن هدي ذلك الجيش وإيمانه قائلين:

«رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم ...».

فذهل المقوقس، ومشت الرعدة بأوصاله، وانطلق يقول: «لو أن هؤلاء

استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد».

وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص يطلب منه أن يوفد له جماعة يفاوضهم في أمر الصلح فأوفد إليهم كوكبة من أصحابه على رأسهم عبادة بن الصامت وكان فاحم اللون، فلما مثلوا عنده قال لهم:

ـ نحوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني!!

فانبروا جميعاً بلسان واحد. وهم يشيدون بفضل عبادة ويفخرون به قائلين: «إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا، وخيرنا والمقدم علينا، وإنما نرجع إلى قوله ورأيه ...».

واستولت الحيرة عليه، فانطلق يقول لهم: «كيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي ان يكون دونكم؟!!» فأجابوه جميعاً، وهم مصرون قائلين: «إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقاً وعقلاً، ورأياً، وليس ينكر السواد فينا».

ولم يجد المقوقس بدأ من أن يفتح حديثه مع عبادة فقال له: «تقدم يا أسود، وكلمني برفق».

فانبرى إليه عبادة قائلاً: «قد سمعت مقالتك، وإن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي وأشد سواداً مني، وأفظع منظراً، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي، لو استقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا عدواً ممن حارب الله لرغبة في الدنيا، ولا حاجة للاستكثار منها، إلا أن الله عزّ وجلّ قد أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره، وشملة يلتحفها، وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة

الله تعالى، واقتصر على هذه[1] بيده ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة، بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا في الدنيا إلا ما يمسك جوعته، ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه ...».

وحفل هذا الكلام بأروع ألوان التربية العسكرية التي يتنكر فيها الجندي والقائد لجميع المصالح المادية الضيقة، فلم يقصدوا بجهادهم وتضحيتهم إلا وجه الله والتماس الأجر في الدار الآخرة، وما عدا ذلك فهو فضول لم يعنوا به، كما أعرب عن اتحاد الجيش بجميع فصائله وكتائبه، وأنهم على فكرة واحدة قد تبلورت بهدي الإسلام وروحه ... ولما سمع المقوقس هذه الكلمات النيرة التي تحمل طابع الحق انبرى إليه قائلاً: «أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمري ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت، ما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا، ورغبتهم فيها ... وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقي، ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم ورجالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم، وقلة ما بأيديكم، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار، ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها، وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به ...».

وانطلق القائد الملهم كالمارد الجبار غير حافل بتهديد المقوقس ولا بقوى الروم التي توعده بها، وهو يؤكد العزم والتصميم على مناجزته إذا لم يدخل في حظيرة الإسلام أو يؤدي الجزية هو وقومه عن يد وهم صاغرون وقد جرت له

---

(١) في المقريزي: «واقتصر على هذا الذي بيده».

أحاديث رائعة مع خصمه حافلة بالبطولات والإقدام والتضحية في سبيل الله[1].

وعلى أي حال فإن هذه البادرة تكشف عن مدى عمق التربية العسكرية في الإسلام، وأنها فريدة في معطياتها، وبما تمد به القائد والجندي من الصلابة في الحق ونكران الذات.

٤ ـ الحذر من الأعداء

وتجهد التربية الإسلامية على تغذية الجيش باليقظة والحذر من تحركات العدو، وأن يكونوا دوماً على أهبة الاستعداد، وتحت الإنذار، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً**﴾[2].

وقد حذرت الآية من الخمول والإهمال لأن في ذلك تمكيناً للعدو على الهجوم والاحتلال، ولو كانت الجيوش العربية على يقظة واستعداد لما حدثت نكسة ٥ حزيران التي أذلت العرب والمسلمين.

إن أمامنا في هذه المرحلة الحاسمة من تأريخنا عدو ماكر خبيث يتحين الفرص للانقضاض على العالم العربي، وإبادة جميع قواه، وخلفه دولة البغي أمريكا تعززه وتدفعه إلى المزيد من الاحتلال لإضعاف الأمة العربية والسيطرة على منابع ثرواتها واقتصادها، فيجب على الجيوش العربية أن تكون يقظة وحذرة من المكيدة والغدر، وأن تجاهد بإخلاص وإيمان لتمحوا عن شعوبها عار الهزيمة والذل ... وبهذا العرض السريع ينتهي بنا الحديث عن التربية العسكرية، وبقي علينا أن نلمح إلى تربية الشرطة فإنها تتصل اتصالاً وثيقاً بهذا الجهاز.

---

(١) النجوم الزاهرة: ١ / ١١ ـ ١٥.

(٢) سورة النساء: آية ٧١.

تربية الشرطة

الشرطة هي العصب الحساس في البلاد، والأداة الخلاقة لحفظ الأمن وصيانة الحقوق وعليها تقع المسؤولية في اتخاذ التدابير الوقائية لمنع وقوع الجرائم والأحداث، كما أنيط بها القبض على المجرمين، وملاحقتهم، وتتسابق الأمم في الاهتمام بالشرطة، والعمل على توفير التعليم الفني، والتدريب والمقدرة لها، وتحصينها بالضمانات والرخاء حتى تستطيع القيام بالتبعات الجسيمة الملقاة على عواتقها ... وقد ذكر المعنيون بشؤون الشرطة التربوية بعض المناهج بما تتفق مع الأسس الإسلامية، وهي:

١ ـ حسن الأخلاق:

إن حسن الأخلاق هي الدعامة لمجد الإنسان وعلى قدر ما يتمتع بالأخلاق الحسنة تكون قيمته الذاتية، ومركزه الاجتماعي، فيجب على هذا السلك أن يتصف بالأخلاق الرفيعة لينال بذلك ثقة الناس وتقديرهم.

٢ ـ الشجاعة والإقدام:

ومن أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها هذا السلك الشجاعة والإقدام فإنهما زينة له، وعليه أن يكون غير هياب ولا وجل عند القيام بواجبه مهما كان فيه من خطر ليحصل بذلك على رضاء ضميره، وتقدير المجتمع له.

٣ ـ بذل المساعدة للناس:

ومن أهم الأمور التي يجب أن تعنى بها الشرطة مساعدة الناس، وتلبية

دعوتهم والقيام فوراً عند حدوث احدى حالات الطوارئ المفاجئة من اسعاف المصاب بنقله إلى المستشفى حالا، وإنقاذ الغرقى، وإطفاء الحريق وغيرها، كما أن عليهم إرشاد الضال، ومساعدة الضعيف والهرم وغير ذلك من الواجبات الاجتماعية.

٤ ـ حسن التصرف:

ينبغي أن يتصف هذا السلك بحسن التصرف في جميع الأحوال من الحزم في غير عنف، واللين من غير ضعف، فلا يشتد في المواقف التي يجب فيها اللين، ولا يلين في موطن الشدة، بل يتصرف في كل حال بما يناسبه ليؤدي بذلك عمله على الوجه المطلوب.

٥ ـ التأدب في الإجابة:

وإن من أهم الأمور التي توجب احترام هذا السلك وتقديرهم عند الناس أن يذعنوا للإجابة عن أسئلة المراجعين في كثير من الحزم والحلم واليقظة والتأدب معهم.

٦ ـ التزام العدل والانصاف:

ومن واجبات هذا السلك التزام العدل، ومقاومة الظلم، ورد الحق المسلوب إلى صاحبه، والضرب على أيدي الظالمين والعابثين، وأن يكون دوماً في جانب المظلومين، لأنه حارس القانون، وحامي البلاد، وينبغي أن يربّى على أنه ليس هناك حجاب بين دعوة المظلوم وبين الله، وأنه ليس شيء أحب إلى الله من انصاف المظلوم، والأخذ بحقه، وأن العدل هو أساس الملك، قال تعالى: **﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن**

تحكموا بالعدل﴾.

٧ـ اكتساب ثقة الناس:

وعلى هذا السلك أن يعمل على كسب ثقة الناس، وأن يكون في خدمتهم لا سيداً عليهم، مع الاحتفاظ بكرامة منصبه، والاقتصار على ما خوله القانون له من المسؤوليات والواجبات، وأن يؤدي ما عليه بكياسة، وحسن تصرف ليوطد الثقة والتعاون بينه وبين الجمهور حتى يكون صديقاً له، وبذلك يعود على الأمن والبلاد بأحسن الثمرات والفوائد.

٨ ـ النزاهة:

وينبغي أن تكون النزاهة واسطة عقد الفضائل في جيد هذا السلك فهي صفة يجب أن يتحلى بها، ويجب أن يتنزه عن كل ما يخل بوظيفته وأن لا يجعل للشيطان عليه سبيلا.

٩ ـ الصدق:

ومن أهم ما يجب أن تتصف به الشرطة الصدق، والاجتناب عن الكذب فإنهما من أعظم الصفات أثراً في إرضاء الضمير، وخدمة الناس، كما أن الواجب عليها أداء الشهادة بصدق أمام المحاكم وغيرها، فإن كتمان الشهادة من أعظم المحرمات في الإسلام، قال تعالى: **﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**[1].

وليس المطلوب منه عند اداء الشهادة ادانة المتهم بالحق والباطل فإن ذلك مما تقرره المحاكم، وإنما المطلوب منه، تقرير الوقائع على حالها.

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٣.

١٠ ـ الإلمام بمسؤولياتهم:

إن إلمام رجال الشرطة بما عليهم من المسؤوليات والواجبات مما يسهل عليهم حسن القيام بأعمالهم، ويباعد بينهم وبين الوقوع في الخطأ، ويمهد لهم طريق النجاح في كل أعمالهم، ويجعلهم محل الثقة والتقدير عند الجميع.

١١ ـ التمسك بالدين:

ويجب عليهم أن يتمسكوا بالدين، وأن يتحلوا بآداب الإسلام وأخلاقه، التي لو اتبعها الناس لصلحت أحوالهم، وما وقعت أي جريمة أو موبقة منهم.

١٢ ـ تنفيذ الواجب:

ويجب عليهم باعتبارهم الأداة التنفيذية للقضاء أن يؤدوا مهمتهم على الوجه المطلوب دون منّ، وأن يستعملوا الحكمة في تصرفهم بالأمور، وأن لا يستخدموا سلطتهم فيما لا يتصل بعملهم، وأن يتركوا الأثر الجميل في سلوكهم وأدائهم للواجب.

١٣ ـ مراقبة الله:

ويجب على هذا السلك أن يراقب الله، فإنه تعالى هو المطلع على الأعمال وهو الذي إليه مرجع أمر العباد، وان الإخلال بمصالح الناس مما يوجب سخط الله تعالى وعقابه.

١٤ ـ مكافأة العاملين:

وعلى الحكومة أن تمنح الجوائز والمكافأة المالية لكل من يؤدي واجبه من

هذا السلك على النحو الأكمل، فإن لذلك الأثر التام في القيام بعملهم واداء مهماتهم على الوجه المطلوب.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن تربية الشرطة وواجباتها حسب ما ذكره المعنيون بهذه البحوث[1].

التربية المهنية

وتهدف التربية المهنية في الإسلام إلى إشاعة التقوى، والاحتياط في المكاسب بين ذوي المهن، وتعويدهم على الفضائل والأخلاق الإسلامية، كما تهدف إلى دفعهم إلى زيادة الإنتاج، وتنميته، والمهارة في العمل وتطويره بما يتفق مع ارتقاء الأمة، وتطورها في مجالاتها الاقتصادية، وتحريرها من البؤس والفقر.

لقد قنّن الإسلام أروع المناهج التربوية لذوي المهن والعمال، ونعرض ـ بإيجاز ـ بعضها:

١ ـ النصح والإخلاص:

والزم الإسلام بالنصح والإخلاص في العمل والمهنة، ففي الحديث «خير الكسب كسب العامل إذا نصح» وقال النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، أما إذا لم ينصح في عمله فإنه لم يظفر بالمال الحلال ـ الذي هو أثمن شيء ـ ويكون آكلاً للمال بالباطل، وينظر إلى مقدار عمله الصحيح فيمنح عليه الأجر، وبقية العمل الآخر لا أجر له فيه، وإذا أوجب ضرراً على رب العمل فهو ضامن له، ومسؤول عنه.

---

(١) رعاية الشباب: ص ١٣٥ ـ ١٤٥ نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص ١٣٧٦ إدارة الشرطة في الدول الحديثة: ١ / ٥.

٢ ـ الاجتناب عن الغش:

وحرم الإسلام الغش، ومنعه منعاً باتاً، وذلك لما يسببه من الأضرار الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، وقد تواترت الأخبار في تحريمه، وهذه بعضها.

١ ـ قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «ليس منا من غش مسلماً أو ضره أو ماكره».

٢ ـ قال صلى الله عليه وآله: «من غش مسلماً في بيع أو شراء فليس منا، ويحشر مع اليهود يوم القيامة، لأن من غش الناس فليس بمسلم ... إلى أن قال: ومن غشنا فليس منا (قالها ثلاثاً) ومن غش أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه وأفسد عليه معيشته، ووكله إلى نفسه ...».

٣ ـ قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام لرجل يبيع الدقيق: «إياك والغش، فمن غش غش ماله، فإن لم يكن له مال غش في أهله ...».

٤ ـ قال الإمام أبو الحسن موسى عليه السلام: لموسى بن بكير في دينار مغشوش: «القه في البالوعة حتى لا يباع بشيء فيه غش».

إلى غير ذلك من الأخبار التي حرمت الغش ونهت المسلمين عنه، وقد حكم فقهاء المسلمين بثبوت الخيار في الفسخ والإمضاء لمن غش في معاملته أما لو كان الغش بإظهار الشيء على خلاف جنسه ونوعه كبيع المموّه على أنه ذهب أو فضة ونحو ذلك فقد حكموا بفساد المعاملة، وعدم صحتها.

٣ ـ تأدية العمل:

ويجب على العمال تأدية العمل في الوقت المقرر له، كما يجب عليهم القيام بتأديته بأنفسهم، وليس لهم استنابة الغير في تأديته، فإن العقد كان معهم، وقد لا تكون عند من استنابوه عنهم المؤهلات الحرفية والمهنية فيوجب الإضرار بالعمل إلا أن يكون بينهم وبين رب العمل اتفاق على استنابة الغير في العمل أو

مشاركته معهم فيجوز ذلك، لقوله ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم».

٤ ـ المحافظة على أدوات الإنتاج:

وعلى ذوي المهن والعمال المحافظة على آلات العمل وأدوات الإنتاج وعدم تعريضها للتلف لأنها وديعة عندهم، ويجب عليهم الحفاظ عليها، بالإضافة إلى أن تعريضها لذلك مما يضر بالاقتصاد العام، وبرب العمل.

٥ ـ تنمية مصادر الثروة:

وعلى العمال وذوي المهن أن يعملوا بوعي وإخلاص على تنمية مصادر الثروة والحفاظ عليها، لتوقف الحياة الاقتصادية عليها، ومن المستحيل أن تتطور أية أمة في مجالاتها الاقتصادية وغيرها ما لم يكن هناك وعي عام عند العمال بضرورة الحفاظ على مصادر ثروات الأمة وتنميتها.

٦ ـ التخصص المهني:

إن التخصص المهني مما يدفع إلى تطور البلاد وزيادة الإنتاج، وازدهار الاقتصاد، والدولة مسؤولة عن تشجيعه، وبعث الراغبين في ذلك إلى المعاهد للتخصص في المهن، سواء أكان ذلك في داخل بلادها أم في خارجها، وان تقوم بالإنفاق على من يرغب في ذلك، فإنه من أهم مسؤولياتها الاجتماعية.

٧ ـ النشاط والحزم:

وتعنى التربية المهنية في الإسلام ببث روح النشاط والحزم في نفوس العمال وذوي المهن وتحذيرهم من الكسل والخمول فإن ذلك موجب لشل الحركة الاقتصادية، وتجميد طاقات الإنسان، وقد ورد في الأدعية المأثورة عن

أئمة أهل البيت عليهم السلام التعوذ منه، فقد جاء في بعض أدعيتهم: «أللهم اني أعوذ بك من الكسل والسأم والفترة والملل». وقال الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه: «إياك والكسل والضجر فإنهما مفتاح كل سوء، إنه من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق ...»[1]، وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لبعض ولده: «إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة»[2].

إن الإسلام يكره الكسل، ويحرّم البطالة، ويمقت صاحبها لأنها تؤدي إلى الفقر والبؤس وشيوع الحاجة بين الناس، وكان المسلمون في عصورهم الأولى لا يألفون الراحة ولا يخلدون إلى السكون، وقد أقبلوا على العمل، وقد عرض الإمام الصادق عليه السلام سيرتهم المشرقة على أصحابه قائلاً لهم: «لا تكسلوا في طلب معائشكم فإن آباءنا كانوا يركضون فيها، ويطلبونها ...»[3].

إن الإسلام ـ بكل اعتزاز وفخر ـ يدعو إلى الجد والنشاط والانطلاق في ميادين العمل من أجل حياة تسودها الرفاهية، ويعمها الرخاء ... وقد تحدثنا عن هذه الظاهرة بالتفصيل في كتابنا (العمل وحقوق العامل في الإسلام) كما بحثنا فيه بدقة وشمول عن منهج العمل، ولزومه، والحقوق الرائعة التي فرضها الإسلام للعمال والفلاحين.

٨ ـ الابتعاد عن الحرام:

ومن أبرز برامج التربية المهنية في الإسلام غرس روح التقوى والصلاح في نفوس العمال وذوي المهن، وإبعادهم عما حرمه الله من المآثم والمفاسد فإن ما يظفرون به من الرواتب والأجور إنما هو بعد العناء والجهد، فيجب عليهم أن ينفقوه على نفوسهم وعوائلهم فإذا انزلقوا في ميادين اللهو والدعارة فإنه من المحتم أنهم ينفقون ما عندهم من نقود في الطرق المحرمة، وبذلك يتركون شبح

---

(١) من لا يحضره الفقيه.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر.

(٣) من لا يحضره الفقيه.

الفقر جاثماً على بيوتهم، ويعرضون عوائلهم وأطفالهم إلى البؤس والحرمان.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن التربية المهنية في الإسلام، وبها تكون نهاية المطاف من هذا الكتاب ... وقبل أن أطوي الحديث أود أن أنبه على شيء من الخير أن لا يضيع، وهو أن هذا الكتاب إنما هو صورة موجزة عن النظام التربوي في الإسلام، ولا أزعم أني قد ألممت بجميع مناهجه، أو أحطت بجميع شؤونه، فذاك أمر لا تسعه هذه البحوث التي تعمدت فيها الإيجاز ... إن النظام التربوي الإسلامي مبني على أحدث الوسائل التي تنتهي إليها سير الحضارة الإنسانية، وهو باستطاعته أن يغير السلوك العام، ويوجد في النفوس مناعة ضد الأوبئة الأخلاقية، وغيرها من مركبات النقص، وقد حقق على مسرح الحياة في العصور الإسلامية الأولى أفضل المعطيات، فخلق رجالاً من أفضل من عرفتهم الإنسانية في جميع مراحلها اندفاعاً نحو الحق، وصلابة في العدل، وثقة بالله، وتفانياً في سبيل الله حتى استطاعوا أن ينقذوا شعوب الأرض من ظلمات الجهل إلى واحات المعرفة، ومن الجمود والخمول إلى ميادين النشاط والإنتاج.

وإني في ختام هذا الحديث أرى من الواجب علي أن أشيد بما أبداه سماحة العلامة الكبير أخي الشيخ هادي القرشي حفظه الله من الملاحظات في هذا الكتاب، وما أولاني به سماحته من العطف واللطف بما اعتز به فله الفضل علي في جميع ما كتبته وألفته فلولا رعايته لم استطع أن استمر في هذا العمل الشاق المجهد فجزاه الله عني خير ما يجزي أخاً عن أخيه، وأثابه على ذلك إنه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه. وإني أرجو بكل إخلاص من الذين يجدون فيه من الهفوات والنقد أن يتفضلوا علي بذلك عسى أن نصل جميعاً إلى خدمة الحق، إنه تعالى ولي القصد والتوفيق.

مصادر البحث

أهم مصادر البحث

حرف الألف

اسم الكتاب	اسم المؤلف
أصول الكافي	للكليني
الإنسان ذلك المجهول الكسيس كارل	
الأسس الاجتماعية للتربية محمد بيت	
الأسرة والمجتمع	على عبد الواحد وافي
أسس الصحة والحياة	للدكتور عبد الرزاق الشهرستاني
آراء أفلاطون وارسطو	
الامام شرف الدين حزمة ضوء على	
طريق الفكر الامامي	عباس علي
العادة السرية	
أيها الولد	للغزالي
آداب المريدين	لابن عربي
الأمراض النفسية والعقلية	
أثر الأسرة والمجتمع في الأحداث	مؤسسة اليونسكو
الأسس التربوية الاجتماعية	
الإدارة التربوية	

أسس الصحة النفسية	عبد العزيز القوصي
أعلام النساء	عمر رضا كحالة
إدارة الشرطة في الدول الحديثة	محمود السباعي
أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين	للقابسي
الإسلام والطب الحديث	عبد العزيز اسماعيل
الإسلام والحضارة العربية	لكرد علي
أرض السحر	شفيق جبري
اتجاهات في التربية والتعليم	محمد جمال صقر
أساليب في التربية الحديثة	جورج أ. فريلند
أحاديث عن التعليم في امريكا	هنري تشو
آراء وأحاديث	ساطع الحصري
أصول الفلسفة الماركيسة	بول ليزر
الله يتجلى في عصر العلم	لمجموعة من العلماء الطبيعيين
أساسيات المناهج	رالف تايلور
احياء العلوم	للغزالي
آداب المعلمين	حسن حسني عبد الوهاب
الارشاد	لياقوت
أدب الاملاء والاستملاء	عبد الكريم بن محمد السمعاني
الالحاد في الإسلام	عبد الرحمن بدوي
الاعلام	للزركلي
الانوار البهية	للشيخ عباس القمي
الإنسان ليس وحيداً	نيوتن
أدب الدنيا والدين	للماوردي
أهل الذمة في الإسلام	أنس. ترنون

حرف الباء

البيت والمدرسة	محمود الجومرد
بيان الحزب الشيوعي	ستالين
البيان والتبيين	للجاحظ
بلاغات النساء	أحمد طيفور

حرف التاء

تاج العروس	للسيد محمد مرتضى الحسيني
التعليم عند القابسي	للاهواني
التبشير والاستعمار	مصطفى خالدي وعمر فروخ
التكامل في الإسلام	لأحمد أمين
التربية والصراع الاجتماعي	ميريل كيرتي
التربية لعالم حائر	لسير رتشود لنحستون
التفكير الفلسفي الإسلامي	روبرت ميلكان
تطور النظرية التربوية	صالح عبد العزيز
التربية الإسلامية	محمد عطية الابراشي
تربية الإنسان	فرويل
التربية الحديثة	صالح عبد العزيز
تهذيب الأحكام	للشيخ الطوسي
التكيف النفسي	مصطفى فهمي
التربية الجنسية	سيرل بين
تحف العقول	الحسن بن علي الحراني
التربية وسيكولوجيا الطفل	
التعليقة على سفينة النجاة	للامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء
تأريخ التربية	عبدالله مشنوق

التعلم	
التربية الأخلاقية	اميل دور كايم
التخطيط للتربية والتعليم	محمد علي حافظ
التعليم ومعنى الحياة	محمد أحمد بغوتة
تأريخ التعليم	ميجر باسو
التربية الأساسية	المهاتما غاندي
تجربة التربية الإسلامية	محمد سعيد رمضان
التربية عند العرب	خليل طوطح
التربية في الإسلام	أحمد فؤاد الاهواني
التفكير فريضة إسلامية	للعقاد
تدريب الراوي	للنواوي
تهذيب الأخلاق	لابن مسكويه
تذكرة السامع	لابن جماعة
تعليم الكبار والتربية الأساسية	عايف حبيب وجماعة
تذكرة الحفاظ	للذهبي
تأريخ بغداد	للخطيب البغدادي
تأريخ التربية الإسلامية	أحمد شبلي

حرف الثاء

ثروة الشعوب	آدم سميث

حرف الجيم

الجامع في التربية العامة	روينة
جريدة المؤيد المصرية	
الجمهورية	أفلاطون
جامع السعادات	محمد مهدي النراقي

جامع بيانا لعلم	لابن عبد البر
جعفر بن محمد	عبد العزيز سيد الأهل
لجامع الكبير	للترمذي
جامع الأخبار	

حرف الحاء

حقوق الإنسان	محمد الغزالي
حياة الامام الحسن	للمؤلف
حياة الإمام موسى بن جعفر	للمؤلف
الحضارة الإسلامية	آدم متز
حق الناس في التربية والتعليم	جان بياجة

حرف الخاء

خصال الصدوق	للصدوق
الخلق الكامل	محمد أحمد جاد المولى

حرف الدال

دراسة في تنظيم التعليم في مصر	اسماعيل محمود القباني
ديوان الشريف الرضي	للرضي
الدين والإسلام	للامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء
الديمقراطية والتربية	جون ديوي
دراسات مقارنة للمناهج	وهيب سمعان
الدر النضير	للغزي
الدستور السوفييتي	فؤاد محمد شبل
ديوان ابو نؤاس	لأبي نواس
الدعوة إلى الإسلام	توماس آرنولد

دائرة المعارف	محمد فريد وجدي

حرف الذال

الذريعة	للمحق آغا بزرك الطهراني

حرف الراء

الروضة	للشهيدين
رياض الصالحين	محي الدين النووي
روح الدين الإسلامي	عفيف عبد الفتاح طبارة
روح الصلاة في الإسلام	عفيف عبد الفتاح طبارة
روح التربية والتعليم	محمد عطية الابراشي
الرياض النضرة	للمحب الطبري
رعاية الشباب	علي حلمي
الراعي والراعية	توفيق الفكيكي

حرف السين

سنن البيهقي	للبيهقي
سنن ابن ماجة	لابن ماجة
سر انحلال الأمة العربية	محمد سعيد العرفي

حرف الشين

شرح النهج	لابن أبي الحديد

حرف الصاد

الصحيفة السجادية	للامام زين العابدين عليه السلام
صحيح الترمذي	للترمذي

صحيح البخاري	للبخاري
صحيح مسلم	لمسلم

حرف الضاد

ضرب كليم	أكبر آبادي

حرف الطاء

طبقات ابن سعد	لابن سعد
طبقات الشافعية	للسبكي
الطفل بين الوارثة والتربية	محمد تقي فلسفي
طب النبي	
طب الأئمة	عبدالله الزيات
طب الامام الرضا	الامام الرضاعليه السلام

حرف العين

علم الاجتماع	محمد عاطف
عقلي وعقلك	سلامة موسى
عوامل التربية	علي عبد الواحد وافي
علم النفس التربوي	زكي صالح
العمل وحقوق العامل في الإسلام	للمؤلف
علمتني	بأقلام نخبة من الشرق والغرب
علم السياسة	ارسطاطاليس
العفاف بين السلب والإيجاب	لمحمد أمين زين الدين
عيون الأخبار	لابن قتيبة
العلم يدعو للايمان	كريس موريسيون
العدالة الاجتماعية	للسيد قطب

علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية	
علم النفس في الحياة	لماندر

حرف العين

الغارة على العالم الإسلامي	أ.ل. شاتلية

حرف الفاء

فتوح البلدان	للبلاذري
فهرست ابن النديم	لابن النديم
فهرست الطوسي	للشيخ الطوسي
فروع الكافي	للكليني
فن التعليم	جلبرت هايت
في التربية والإرشاد	محمد محمد عطية
فرائد الأصول	للشيخ الانصاري

حرف القاف

قوة الإرادة	اويسون سويث ماردن
القرآن والطب الحديث	محمد الخليلي

حرف الكاف

كيف تساعد أبناءك في المدرسة	ماري فرانك
كراسات فلسفية	لينين
كشف الظنون	الحاج خليفة
الكنى والألقاب	للشيخ عباس

حرف اللام

لسان العرب	لابن منظور

حرف الميم

مجالات في علم النفس	مصطفى فهمي
من لا يحضره الفقيه	محمد بن علي القمي
معاني الأخبار	للصدوق
من أمالي الامام الصادق	محمد الخليلي
مشكلات الأطفال اليومية	دجلاس ثوم
مجلة المختار عدد ابريل لسنة ١٩٥٦ تحت عنوان أقوال مأثورة	
مجلة الهلال عدد ما يو لسنة ١٩٥٧	
المجتمع الإنساني	
مكارم الأخلاق	للطبرسي
المذنبون الصغار	
المحاسن	ابن شداد
مجلة المجلات	مقال لجون سيمون
مجلة المنار	مقال للكاتبة آني رودر
المادية الديالكتيكية والمادية التأريخية	ستالين
مقدمة كتاب لودفيج فيورباخ	انجلز
موت فيلبة	
مسند الإمام أحمد	لأحمد
مسند أبي داود	لابن داود
مقدمات ابن رشد	لابن رشد
المعارف	لابن قتيبة
المقدمة	لابن خلدون

مدخل الشرع الشريف
المكاسب — للشيخ الانصاري
مفتاح السعادة — طاش كبرى زاده
مختصر جامع بيان العلم
المدونة — للامام مالك
محاضرات الأدباء — للراغب الاصفهاني
المعبد — للعاموي
مجمع البيان — للطبرسي
منهاج الصالحين — لفقيه العصر الامام الحكيم
مستدرك الوسائل — للمحدث النوري
مجلة الأقلام — مقال لمحمود شيت خطاب
مجالات في علم النفس — مصطفى فهمي
مجلة العربي — أحمد زكي

حرف النون

نحو التربية الإسلامية الخيرة
النهج الحديث في أصول التربية
وطرق التدريس — لحامد عبد القادر
نحو التربية الإسلامية الحرة — أبو الحسن الندوي
نظم القلادة — للبكري
نظرية العلاقة الجنسية في
القرآن الكريم — مهدي الأصفي
نظام الحكم والإدارة في الإسلام — للمؤلف
نهج البلاغة — محمد عبده
النظام الشيوعي — ماهر نسيم
نهج التعليم — للبوبكاني

النجوم الزاهرة	ابن تغرى بردي
النظام السياسي في الإسلام	للمؤلف

حرف الواو

الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية	جورج شهلا وجماعة
وسائل الشيعة	للحر العاملي
وفيات الأعيان	لابن خلكان
الوثيقة	لابن عبدون
الوجيز في الإسلام والطب	شوكت الشطي

المحتويات

معاني التربية وأهدافها

التخطيط الثقافي في العمليات التربوية الحديثة

التخطيط الثقافي في برامج التربية الإسلامية

التربية الفكرية والنفسية في الإسلام

التربية الصحية والرياضية في الإسلام

التربية الوطنية والعسكرية


رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com